وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية/ كلية الآداب
فرع اللغة العربية

جملة التذييل في القرآن الكريم

(دراسة في ضوء المعايير النّصيّة)

السور السبع الطوال أنموذجاً

رسالة تقدم بها الطالب

عقيل جاسم محمد العنكوشي

إلى مجلس كلية الآداب/ جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

تراث حاكم مالك الزياديّ

رمضان ١٤٣٨ هـ

حزيران ٢٠١٧ م

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ البقرة/٣٢

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـــ ((جملة التذييل في القرآن الكريم دراسة في ضوء المعايير النصّيّة – السور السبع الطوال أنموذجا)) قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب/ جامعة القادسية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها / لغة.

الإمضاء:

أ. م. د. تراث حاكم الزيّاديّ

التاريخ: / / ٢٠١٧

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

الإمضاء:

أ. م. د. حازم كريم الكلابيّ

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠١٧

إقرار لجنة مناقشـــــــــة رسالة ماجستير

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (جملة التذييل في القرآن الكريم دراسة في ضوء المعايير النصية - السور السبع الطوال أنموذجاً التي أعدّها الطالب (عقيل جاسم محمد) ،وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ، وهي جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) للحصول على شهادة الماجستير في (اللغة العربية / لغة)

الإمضاء :
الإسم : ١. د. رياض كريم عبد اللطيف
التاريخ :
رئيس اللجنة

الإمضاء :
الإسم : أ.م. د. سعد حسن جودي عبد
التاريخ :
عضو اللجنة

الإمضاء :
الإسم : ٣.١. د. وصال أحمد نايف
التاريخ :
عضو اللجنة

الإمضاء :
الإسم : أ.م. د. تراث حاكم صالح
التاريخ :
عضواً ومشرفاً

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد الخالدي
عميد كلية الآداب
/ / ٢٠١

شكر وعرفان

لمّا كان واجبا علينا أن نقابل الإحسان بالشكر والامتنان ، لزمني أن أقف هنا وقفة إجلال وإكرام لأبدي اعترافي بفضل أصحاب الفضل عليّ – بعد الله سبحانه وتعالى –.

فاتقدم بالشكر والامتنان لأساتيذي المحترمين في قسم اللغة العربية بدءا بالسيد العميد، **أ.د. ياسر علي الخالدي** ورئيس القسم **أ.م.د. حازم كريم الكلابي** لتذليله الكثير من صعوبات طريق هذا البحث . ولا أنسى أساتيذي في السنة التحضيرية ؛ **أ.د. حامد عبد المحسن الجنابي ، و أ.م.د. عباس أمير ، و أ.د. سعاد كريدي، و أ.م.د. ناهضة ستار ، وأ.د. حيدر حبيب حمزة ، و أ.م.د. حسام عدنان الياسري ، و أ.م.د. لمى عبد القادر خنياب ، و أ.م.د. أسيل سامي أمين ، وأ.م.د. مي علي عبد الأمير**، و **أ.م.د. عمار نعمة الزيادي، و أ.م. علاء حميد جاسم**، أصحاب البذرة الأولى في هذه الشجرة المثمرة إن شاء الله، وشكري لأساتذتي الذين لم يغلق لهم باب في وجهي .

والشكر موصول يكلّله الوفاء لزملائي الكرام ، أحمد عبد الحسين ، واحسان نعيم ، وأخيرا يقف الشكر عاجزا أمام عائلتي : والدي الكريم بدعائه المستديم ، وزوجي وولديّ اللّذَين تترقبني أعينهم لتنقل لي صورة التشوّق وحاجة العطف، عرفانا منّي بالصبر ، واعترافا بالتقصير .

الباحث

المحتويات

الموضوع	الصحيفة
المقـــدمـــــة	أ – ت
التمهيد: في مفهـــــــــوم التذييـــل	١ – ١٦
الفصل الأول : الاتســـــاق النصّـــــي وجملة التذييل في السبع الطوال	١٧- ٩٣
مدخل	١٨
المبحث الأول: الإحـالـــــــــــة	٢٢ - ٤٧
أولاً: الإحالـــــة بالضمائر	٢٧
ثانياً: الإحالة بأسماء الإشارة	٣٥
ثالثاً: الإحالة بالاسم الموصول	٤٢
المبحث الثاني: الاستبدال والحـذف	٤٨ -٦٥
أولاً : الاستبدال	٤٩
ثانياً : الحذف	٥٨
المبحث الثالـث : الـــــــــوصل	٦٦-٧٩
أولاً : الوصل الإضافي	٧٠
ثانياً : الوصل العكسي	٧٣
ثالثاً : الوصل السببي	٧٥
رابعاً : الوصل الزمني	٧٧
المبحث الرابع: الاتســـاق المعجمي	٨٠-٩٣
أولاً : التكرير	٨٣
ثانياً : التضام	٨٩
الفصـــل الثانـــي : الانسجـــام النصيّ وجملة التذييل في السبع الطوال	٩٤- ١٤٢
مدخل	٩٥
المبحث الأول: البنى النصية والعلاقات المفهومية الدلالية	٩٩-١١٦
أولاً: علاقـــــة السببـــيـــــــــة	١٠٦
ثانياً: علاقة العمـــوم والخصوص	١٠٨
ثالثاً: علاقة الإجمـــــال والتفصيل	١١٢
المبحث الثاني : المنـــاسبـــــــــــة	١١٧-١٢٩

أولاً : المناسبة داخل الآية الواحدة	١٢٢
ثانياً : منـاسبـــــــــة الفاصلـــــــة	١٢٤
ثالثاً : المناسبة بين آيتين متجاورتين	١٢٥
المبحث الثالث : السياق اللغوي الداخلي	١٣٠-١٤٢
أولاً : سياق الآيـــة	١٣٧
ثانياً : سياق المقطع	١٤١
الفصل الثالث : الموقفية والقصدية والاعلامية وجملة التذييل في السبع الطوال	١٤٣- ١٧٣
المبحـــث الأول : الموقـفيـــة	١٤٤-١٥١
أسبـــاب النزول	١٤٦
المبحث الثانـــي : القصـــديـــة	١٥٢-١٦٣
القصد والمعنى القرآني	١٥٨
آليات القصـــد القرآني	١٥٩
العدول	١٥٩
إبهام القصد	١٦٠
الإيجاز	١٦١
المبحث الثالـــث : الإعلامـيـــة	١٦٤-١٧٣
آليات الإعلامية	١٦٩
١- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار الألفاظ	١٦٩
٢- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار التراكيب (الجملة الاعتراضية)	١٧١
الخـــــــاتمـــــــة	١٧٤- ١٧٨
المصادر والمراجع	١٧٩-١٩٦
الملخص باللغة الإنكليزية	A

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل من علّيين كتاباً بليغاً معجزاً إماماً وهدىً ونوراً للمتقين، والصلاة والسلام على مبلغ الرسالة ومؤدي الأمانة سيدنا محمد (صلى الله عليه و آله وسلم).

أمّا بعد..

فقد كثُرتِ البحوثُ في القرآنِ الكريمِ وتنوعتْ، وتعددتْ مناهِجُها، ولا يزالُ هذا المَوردُ مَعيناً لا يَنضُبُ على مرِّ الأزمانِ، يرِدُهُ رُوّادُ الفكرِ وأساطينُ البيانِ فيتزودونَ بأعظم زادٍ، ويَمُدون عقولَهم بخيرِ مَدَدٍ، فهو حياضٌ مُترَعةٌ للدَّارِسِيْنَ وأيكةٌ خضراءُ فيها من كلِّ زوجٍ بَهيجٍ. وقد كانت رغبةُ البحثِ في القرآن الكريم تُراوِدُني حِيناً بعد حِين، ولم تزل الروح عطشى للارتشافِ من المنهلِ العذبِ الذي لا كدرَ فيه، وهو القرآنُ الكريمُ، حتى استجابَ الباري عزَّ وجلَّ لِما تطمَحُ إليهِ الروحُ، فتجني الثمارَ من عطاءِ النصِّ القرآنيِّ الشريفِ.

وقَدْ تنوعتِ الرؤى التي اتجهتْ نحو دراسةِ لغةِ القرآنِ الكريمِ، بوصفِها لغةً قادرةً على إقامةِ علاقاتٍ دائمةِ التجددِ مع المتلقّي، و قد أسست علاقاتٍ قائمةً على أُصولٍ تتفاعلُ مع فطرةِ الإنسانِ ووظيفةِ اللغةِ، وتباينتْ تلك الرؤى قرباً وبعداً باعتبار هدف النص ومقاصدهِ (التأثير والإقناع)، وبين هذا وذاك رؤىً تنهَضُ من داخلِ النصِّ تستعينُ بتراكيبِهِ في الكشفِ عن دلالاته، لتُبيِّنَ فعلَ العقلِ في تمثّلِ تلك الدلالات التي تتركها فيه، وتُصبحُ تراكيبُه فكرةً لمحورٍ إشاريٍّ ليرتَهِنَ بها النظامُ الإبلاغيُّ وتفرِضُ على العقل تبَيُّنَ موضوعِهَا .

والنصُّ القرآنيُّ نصٌّ معجِزٌ بلغتِهِ وأسلوبِهِ ونظْمِهِ، فضلاً عن كونه نصّاً لغوياً متجدداً عِبرَ العصورِ ، وعلى الرغمِ من تنوعِ المناهج لدراسةِ لغة القرآنِ الكريمِ، إلا أنّ كلَّ واحدةٍ منها تسعى إلى النهوض من داخلِ النصِّ لبيانِ دلالته ومقاصده ومعانيه.

ومَعَ ولادةِ علمٍ جديدٍ في ميدانِ الدرسِ اللسانيِّ الحديثِ وما تولَّدَ عنهُ من علومٍ في حقلِ المعرفةِ الإنسانيةِ عُرف بـ (علمِ لغة النَّصِّ ، أو المعايير النّصّية)، وهوَ العِلْمُ الذي يُعنى بدراسةِ النصِ وتحليلِ أجزائِهِ للكشفِ عن دلالتهِ بعدِّهِ كلاً مترابطاً، مع ذلك قد برزت الدراسات اللسانية النصّية .

وقد دفعتني رغبتي في دراسةِ القرآنِ الكريمِ نحوَ الاستضاءةِ بهذا العلمِ في دراسة النصِّ الكريمِ، ولم تكنِ الغايةُ هي إخضاعَ هذا المتنِ للمعاييرِ النّصِّية، بل بيانَ طائفة من المعاني والأفكارِ وإيضاحَها في النصِّ الكريمِ، من خلالِ إضاءةِ بعضِ النصوصِ الكريمةِ برؤى ذلك العلمِ، من أجل هذا جاء اختيارُ هذا الموضوعِ ليكونَ عنواناً للدراسة، فوُسِمَ بـ (جملةُ التذييلِ في القرآنِ الكريمِ - دراسةٌ في ضوءِ المعايير النصِّية – السِّوَرُ السبعُ الطوالُ أنموذجاً)، انطلاقاً من الأهمية التي للتذييل في إثراءِ النص.

فجملةُ التذييلِ هيَ جزءٌ لا يتجزّأ من النصِّ، إذ هي جملةٌ تتضمَّنُ تمامَ المعنى وتأكيدَه و ترتبطُ بما يسبقُها من الكلامِ وبِمَا يلحَقُ بهَا مكونةً رابطاً معنوياً ولفظياً بين أجزاءِ النصِّ؛ من أجل ذلك كانت دراسةُ هذه الجملةِ على وفقِ علمِ المعايير النصِّية، وقد ارتأى الباحث أن تكون دراسة جملة التذييل في القرآن الكريم لبيان المعاني والدلالات والمقاصد في النص الكريم. انطلاقاً من الأهمية التي للتذييل في إثراء النص معنوياً، فقد جعل الباحث دراسته في ضوء المعايير النّصّية للكشف عن آليات ترابط النص أفقياً وعمودياً – الروابط السطحية و البارزة في النص – والروابط الداخلية للنص والمضامين الدلالية للنص، إذ إنّه يمثل كلاً آخذاً بعضه ببعضٍ.

وقد اقتصرتِ الدراسةُ على (السور السبع الطوال)، تجنباً للاتساع .

وقد عُنيَ الباحثَ في دراسته بـ (الاتساقِ، والانسجامِ، والقصديةِ، والاعلاميةِ، والموقفيةِ)، إذ نأى البحث عن تناول (معيار المقبولية)، إذ لم يَكُن هدفُ البحثِ إثباتَ إعجازِ القرآنِ في نظمِهِ وبلاغتِهِ لأنه أمرٌ مسلَّمٌ بِهِ، بل كان الهدفُ منصبّاً على بيان وجهِ الإعجازِ، أي: وجه المقبولية، ولا شكَّ في أنّ الاتساقَ والانسجامَ وغيرَهما من المعايير النصية التي قد تُنُوولت مسبقاً في البحث فكانت تمثلُ وجوهاً متعددةً من وجوه قبولِ النصِّ القرآنيِّ التي تمثِّلُ بنفسِها بياناً لوجوهِ الإعجازِ القرآنيِّ، أما التناصُّ، فقد استُبعدَ لتعارُضِهِ مع قدسيةِ النصِّ القرآنيِّ الكريمِ، بحسبِ تعريفِ "جوليا كرستيفيا" لهذا المفهوم، الذي يُعد مفهوماً أدبياً، وقد ذَهَبَ إلى ذلك أغلبُ الباحثينَ .

وفي ضوءِ هذا الفهمِ لعناصرِ الموضوعِ فقد وجّهت عنايتي الباحثِ على محاورِ أخذَ كلٌّ واحدٍ منها فصلاً كاملاً يسبقها جميعاً تمهيد ذُكِرَ فيه مفهومُ التذييلِ وعلاقةِ جملةِ التذييلِ بالمعايير النصِّية وأثرُها في الكشفِ عن معاني النصِّ ودلالاتِهِ، فتناولَ الباحِثُ في الفصل الأول الاتساقَ متضمناً أربعةَ عناصرَ وأخذ كل عنصرٍ- مبحثاً من مباحثِ الفصلِ؛ فتناول المبحث الأول: عنصرَ- الإحالةِ، وتناول المبحث الثاني: عنصرَ الاستبدالِ والحذفِ، وعُنيَ المبحث الثالث: بعنصر الوصلِ، واختصَّ المبحث الرابع: بعنصرِ الاتساقِ المعجميِّ.

في حين عرضت في الفصلُ الثاني: معيارَ الانسجامِ، والذي اشتمل على ثلاثة مباحث ؛ فكان المبحثُ الأولُ: في البنى النصيةِ والعلاقاتِ المفهوميةِ الدلاليةِ، أما المبحث الثاني، فقد توقف عند المناسبةِ، واختص المبحثُ الثالثُ: بالسياقِ اللغويِّ الداخليِّ.

أما الفصلُ الثالثُ، فقد أوردتُ فيه ثلاثةَ معاييرَ ، خصصت لكل مبحث منه معياراً من هذه المعايير، فاشتمل المبحث الأول: معياراً يتصل بالمؤثراتِ الخارجيّةِ للنصِّ، هو (الموقفية)، وفي المبحثين التاليين، معاييرُ تتصل بمستعملَي النصِّ (المتكلم، و المتلقي)، تشمَلُ (القصديّةَ، والإعلاميّةَ)، فكان المبحث الثاني: معيارَ القصديةِ، و المبحث الثالث: معيارَ الإعلاميةِ.

ثم خُتِمَ البحثُ بطائفةٍ من النتائج التي توصَّلَ إليها.

وبعد: فإنّ من بواعث سروري وفخري أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أُستاذي الفاضل الدكتور تراث حاكم الزياديّ على توجيهاته السديدة، واهتمامه بالبحث والباحث غير باخلٍ بوقته أو جهده من أجل العلم والمعرفة ، وقد غمرني بعطفه وتوجيهاته السديدة ، فطالما استمعتُ إليه من حرصه واستمع إليّ من تواضعه ، فله منّي وفاء التلميذ الذي لا ينفكّ تلميذا له إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين..

التمهيد

في مفهوم التذييل

عُرِّف التذييل أنه أحد علوم البلاغة العربية، وكان هناك خلاف بين الدارسين لعلوم العربية في نسبة هذا الفن، فمنهم من ذهب الى أنه أحد العلوم البديعية[١]، ومنهم من ذهب إلى أنه أحد فروع الإطناب وهو من فنون علم المعاني[٢]، ومن خلال تتبع المعنى المعجمي للمفردة الدالة على هذا الفن يمكن معرفة الفائدة أو الوظيفة التي يحققها التذييل في تركيب الجملة، فقد ورد لفظ (التذييل) في المعجمات العربية تحت مادة (ذيل): وهو "ما أُسبِلَ فأصابَ الأرضَ من الرِّداءِ والإزار، وذَيْل المرأة لكلِّ ثوبٍ تلبَسُه إذا جَرَّتْه على الأرض من خَلْفها. وذَيْل الريحِ: ما جَرَّتْهُ على الأرض من التُّرابِ والقَتام... ويقال لذَنَب الفَرَس إذا طال: ذَيْلٌ"[٣]. وقيل هو مشتق من "الذال والياء واللام أصل واحد.. وأذيال الناس أواخرهم"[٤]، وبمعنى آخر هو من "ذيل كلامه تذييلاً، وتذيل في كلامه وتسرح: تبسط فيه غير محتشم"[٥].ومنهم من ذهب الى حمل اللفظ على الاتساع في دلالته فيقال: "للحَلْقَةِ الدَّقِيْقَةِ اللَّطِيْفَةِ من حَلَقِ الدِّرْعِ وغَيْرِه: مُذَالَةٌ. والمُذَالُ في العَرُوْضِ: زِيَادَةُ سَبَبٍ في الضَّرْبِ على الجُزْءِ. واطْوِ الثَّوْبَ على أذْيَالِه ومُنْذَالِه وذائلِه ومُتَذَيِّلِه: أي مُنْجَرِّه وأسْفَلِه... والنّاسُ ذائلُوْنَ إلى بَلَدِ كذا ومُتَذَيِّلُوْنَ: من الانْبِسَاطِ من مَكَانٍ إلى مَكَانٍ"[٦]، وقد جاء لفظ ذيل يحمل دلالة الانتقال من حال إلى حال أخرى، إذ " قيل أَذْيالُ الرِّيح مآخِيرها التي تُكْسَحُ بها ما خَفَّ لها... والمُذالُ من البسيط والكامل ما زِيدَ على وتِده من آخر البيت حرفان وهو المُسَبّغ في الرَّمَل "[٧]، وقيل هو: "آخِرُ كُلِّ شَيْءٍ "[٨]، ويتضح من الدلالة اللغوية للفظ التذييل أن هذا اللفظ قد مرَّ بمراحل معينة اقتضت تضمنه معاني تدل على؛ السعة، أو نهايات الأشياء، أوترك الأثر، أو الوفرة، أو التجمل، أو تدل على الطول، أو اللطف، أو الدقة أيضا، أو البسط، أو الامتداد والنشر ويمكن أن تتعدى هذه المعاني التي تضمنتها إلى دلالة أُخرى على سبيل المجاز وفقا للسياق الذي ترد فيه، وهذا يعني أن لهذا الفن ارتباطاً وثيقاً بسياق النص.

أما المفهوم الاصطلاحي للتذييل، فهو "تتمَّة ليست من صلب النصَّ، وإن كانت مكملة له وهامَّة لِفَهْمه"[٩]، وهو" ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها من الكلام "[١٠]، وهو أيضا "تعقيب الجملة بجملة أُخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام، لإفادة التوكيد، وتقريراً لحقيقة الكلام. وهو معدود من ضروب الإطناب"[١١] فهو وسيلة بلاغية لتأدية المعنى

١) كتاب الصناعتين: ابو هلال العسكريّ: ١١٣.وينظر: تحرير التحبير: ١/٧٧، انوار الربيع:ابن معصوم المدنيّ: ٣/ ٣٦.
٢) الايضاح: القزوينيّ: ١/ ٦٨. ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ٣/ ٤٦.
٣) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي : مادة (ذيل): ٨/ ١٩٨.
٤) مقاييس اللغة: ابن فارس : مادة (ذيل): ٢/ ٣٦٦.
٥) أساس البلاغة: الزمخشري : مادة (ذيل) : ١/ ٣٢٣.
٦) المحيط في اللغة: الصاحب بن عباد:(ذ. ل – وا ي): ٢/ ٤٠٢.
٧) لسان العرب: ابن منظور : مادة (ذيل): ١١/ ٢٦١.
٨) تاج العروس: الزبيدي :مادة (ذيل): ٢٩/ ٢٠.
٩) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب: مجدي وهبة وكامل المهندس: ١٧٢.
١٠) معجم المصطلحات البلاغية: أحمد مطلوب : ٢ / ١٢٢.
١١) معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة: ٢٣٦.

المراد وتحقيق غاية البلاغة وهـو الإفهام، وقد حد مصطلح التذييل الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، بقوله: "التذييل تعقيب جملة بجملة مشتملة على معناها للتوكيد"[١].

والتذييل يؤدي وظيفة بيانية وينكشف عنه نمطٌ إطنابيٌّ تتحدد فيه دلالة المعنى من خلال التركيب اللفظي الذي يُسهم في اتساع دلالة الجملة المُعبَر عنها بأسلوب مختصر بعـد العرض لاحتمالات المعنى وهو بشكل عام يكون مكتفياً بذاته مستقلاً عمـا قبله إذ ، "يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل عن معنى الأول"[٢]، لتحديد المعنى العام، إذ من خلاله يتم توكيد المعنى الخاص المقصود وتبعاً لذلك فإن وظيفته تتقصد ثلاثة أمور هي: التحقيق، أو التوكيد والبيان، أو التوضيح والتعليل للكشف عن المعنى المتقدم.

وقد نال التذييل اهتمام الدارسين القدامى؛ فأبو هلال العسكريّ (ت٣٣٩هـ)، يرى أنه "للتذييل في الكلام موقع جليل، ومكان شريف خطير؛ لأن المعنى يزداد به انشراحا، والقصد اتضاحاً، وهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى لمن لم يفهمه، ويتوكد عند مـن فهمه وهو ضد الإشارة والتعريض، وينبغي أن يسـتعمل فـي المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة"[٣]، وقيل هو: "ضرب من التأكيد وهو ضد ما قدمنا ذكره مـن الإشارة"[٤]، وهذا يعني أن لهذا الفن أثراً في بيان المعنى وتوضيحه ، ، وهو التعبير عن المعنى المراد بألفاظ تزيد عليه[٥]، وهو يتمم ما قبله من المعنى ويؤكده فـ "هـو أن تأتي فـي الكلام بجملة تحقق ما قبلها"[٦]، وعرفه ابن أبي الأصبع (ت٦٥٤هـ) بعبارة أوجـز، فقال: "أن "أن يُذيِّل المتكلم كلامه بجملة، يتحقق فيـها ما قبلها من الكلام"[٧]. وهو بذلك يشـترك مع المفهوم العام العام للإطناب ويتحدد بكـونه أحد أنماطه التي يتم من خلالها التقديم للمعنى بشكل أدق وأوضح إذ يعمد إلـى تحقيق تعدد الألفاظ لبلوغ أقصـى غاية في الفهم ، وجاء في البرهان "هو أن يؤتى بـعد تمام الكلام بكلام مسـتقل في معنى الأول؛ تحقيقا لدلالة منطوق الأول، أو مفهومه؛ ليـكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه"[٨].

والتذييل إتمام الكلام بما يحقق المعنى، ويحقق انسجاما في النص، ويؤكد ما سبـقه، يؤتي "الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السـكوت عليه بجملة تحقق ما قبلها مـن الكلام وتزيده توكيدا وتجري مجرى المثل"[٩]. وقد عرفـه السـيوطيّ بقوله: "أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى

---

١) التعريفات: ٥٠.
٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٤٦.
٣) كتاب الصناعتين: ٣٣٩.
٤) إعجاز القرآن: الباقلانيّ: ١٥٥.
٥) ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي: ٢٥٦.
٦) البديع في نقد الشعر: اسامة بن منقذ: ١٢٥.
٧) تحرير التحبير: ٣/ ٣٨٧.
٨) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ٤٦.
٩) خزانة الأدب وغاية الأرب: ١ / ٢٤٢.

الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه"[١]، ويشترك التذييل التذييل مع المفهوم العام للإطناب ويتحدد بوصفه أحد أنماط الإطناب التي تزيد المعنى وضوحاً لتبلغ أقصى غاية في الفهم؛ لإقناع المتلقي بالدليل الواضح البيّن.

وقد دُرِسَ التذييل عند العلماء في مباحث مختلفة، فمنهم من تناوله ضمن الإطناب على أنه لون من ألوانه، ومنهم من تناوله ضمن مباحث البديع إلا أن أغلب الدارسين جعله ضمن الإطناب؛ إذ إنه يفيد تقرير معنى ما قبله ويزيده وضوحاً وتوكيداً، ويذهب ابن معصوم المدنيّ (ت١١٢٠هـ)، الى أنه ضرب من الإطناب إذ يقول: "التذييل ضرب من الإطناب وهو تعقيب الجملة التامة نظماً كانت أو نثراً بجملة تشتمل على معناها، لتوكيد منطوقها أو مفهومها ليظهر المعنى لمن لم يفهمه، ويتقرر عند من فهمه"[٢]، فهمه"[٢]، وبذلك يشترك فن التذييل مع فن الإطناب من حيث الوظيفة التي يؤديها في تأكيد المعنى، وبيانه.

وقد ورد التذييل عند بعض العلماء تحت باب أسموه (الإكثار) اذ قالوا فيه: "أما الإكثار فمنه ما يقال له الاستكثار، وهو كلام مؤلف من جزأين؛ أحدهما يجري مجرى المقدمة، والثاني يجري مجرى التكملة.. ومنه ما تكون التكملة تجري مجرى الحجة على ما يتقدمها في الجزء الأول، ويسمى التذييل"[٣]، وعمد بعض الدارسين لعقد موازنة بينه وبين الإيجاز فقالوا عنه: "إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيّاً"[٤]، وقال الجاحظ (ت٢٥٥هـ): "درجت الأرض الأرض من العرب والعجم على إيثار الإيجاز، وحمد الاختصار، وذم الإكثار والتطويل والتكرار، وكل ما فضل عن المقدار (...) وربما كان الإيجاز محموداً، والإكثار مذموماً. وربما رأيت الإكثار أحمد من الإيجاز. ولكل مذهب ووجه عند العاقل. ولكل مكان مقال، ولكل كلام جواب. مع أن الإيجاز أسهل مراما وأيسر مطلباً من الإطناب، ومن قدر على الكثير كان على القليل أقدر"[٥]، ونقل ابن رشيق (ت٤٥٦هـ)، (ت٤٥٦هـ)، أن جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي كتب إلى عمرو بن مسعدة قائلاً: "إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عياً"[٦]، وهناك رأيّ يوازن بين الفريقين ما جاء به أبو هلال العسكريّ "القول القصد أنّ الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكلّ نوع منه، ولكلّ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب

---

١) الاتقان: السيوطي: ٢ /١٩٩.
٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ٣٩.
٣) الروض المريع في صناعة البديع: ابن البناء المراكشي: ١٥١.
٤) أمالي القالي: ١/ ١٠٦
٥) رسائل الجاحظ: ١ / ٢٦٧
٦) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ٧٩.

أخطأ"[١]. ومنهم من جعله يقترب من فن الإيغال[*]، من حيث الوظيفة، وهو "تعقيب الجملة بجملة أخرى يشتمل على معناها)، أي: معنى الجملة الأولى (للتأكيد) فهو أعم من الإيغال من جهة أنه يكون في ختم الكلام وغيره وأخص من جهة أن الإيغال قد يكون بغير الجملة ولغير التأكيد (وهو) أي التذييل (ضربان ضرب لم يخرج مخرج المثل بأن لم يستقل بإفادة المراد) بل يتوقف على ما قبله (وضرب اخرج مخرج المثل)"[٢] ومنهم من تناول التذييل ضمن (باب الاعتراض)، إذ قالوا عنه: "فالاعتراض يباين التتميم؛ لأنه إنما يكون بفضلة والفضلة لابد لها من إعراب ويباين التكميل، لأنه إنما يقع لدفع إبهام خلاف المقصود ويباين الإيغال؛ لأنه لا يكون إلا في آخر الكلام لكنه يشمل بعض صور التذييل وهو ما يكون بجملة لا محل لها من الإعراب وقعت بين جملتين متصلتين معنى لأنه كما لم يشترط في التذييل أن يكون بين كلامين لم يشترط فيه أن لا يكون بين كلامين فتأمل حتى يظهر لك فساد ما قيل انه يباين التذييل بناء على انه لم يشترط فيه ان يكون بين كلامين متصلين معنى"[٣]. ومن الدارسين من بين علاقة التذييل بالفنون البلاغية الأخرى[٤]، ويذهب أحد الدارسين إلى أن "الجملة المعترضة في القرآن تكون في كثير من الأحيان جزءاً أساسياً في الكلام الذي تدخل عليه مشكلة معه تلاحماً واتّساقاً، وقد حدد (ديكرو) الاتّساق الحاصل داخل الجملة – ونطبقه من جهتنا على الانسجام الحاصل دلالياً بين الجملة المعترضة والجملة الأصلية – بقوله : الاتساق أن يكون كل مكوّن من مكوّنات الكلام لم يؤت به لذاته. ومعنى ذلك أنّ اختيار كل واحد من تلك المكوّنات يكون محدّداً باختيار مجموعها"[٥]. وعلى ذلك يتبين أن التذييل له علاقة نصية تربطه مع ما قبله من النص، أي: أن له اشتغالاً نصياً ضمن سياقه الذي يرد فيه.

ولم يخرج البلاغيون المحدثون عما ذكره الأوائل في مفهوم التذييل، إذ نجد أن أغلب من تناوله يمضي مع الأوائل في حدّ التذييل، فمنهم من عرفه بأنه "الإتيان بعد تمام الكلام بمشتمِل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد"[٦]، وقيل هو أن: "يعمد إلى ترسيخ المعنى الأول وتأكيده من خلال أعادة أعادة الخبر الثاني والرجوع إلى الخبر الأول الجديد"[٧]، وبذلك يكون الترابط بين الجملة الأساسية والجملة المذيلة، "فالتذييل يتكون من طرفين، الأول: يمثل تركيباً جملياً تام المعنى يقدم حقيقة إخبارية

---

١) كتاب الصناعتين: ١٧١.

*) الايغال: هو ان يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً. [ينظر: كتاب الصناعتين: ٣٤٦] .

٢) مختصر المعاني: سعد الدين التفتازانيّ: ١ / ١٦٨.

٣) نفسه: ١/ ١٧٠.

٤) ينظر: التذييل في القرآن الكريم :دراسة بلاغية : فاطمة الزهراء معزوز: ٣٠.

٥) الحجاج في القرآن: عبد الله صولة: ٣٥٣.

٦) البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الصاوي الجويني: ٤٩، وينظر: الدليل الى البلاغة وعروض الخليل: علي جميل سلوم: ٩٧. و مدخل الى البلاغة العربية، يوسف ابو العدوس: ١٣٦.

٧) ينظر: الإطناب في القرآن الكريم: ٢٣٨.

جديدة، والطرف الثاني: (التذييل) هو جملة تتمتع ببناء تركيبي ودلالي تام المعنى لكنه يضم معلوماً مقدماً له يعود بمفهومه العام على المعنى الأول مؤكداً لدلالته وموضحاً ومعللاً لها"[١] فلجملة التذييل ارتباط دلالي بما قبلها لا تقتصر على توكيد المعنى لما يسبقها من التركيب؛ بل لتوليد معانٍ جديدة ترتبط بما يسبقها بما ينسجم مع بيان النص وتوضيحه وفقا للسياق العام الذي ترد فيه.

ويعتمد التذييل في صياغته على وجود طرفين يمثل كل منهما معلماً ظاهراً من خلال ارتباطهما بعلاقة تفاعلية تكون نتاج علاقة دلالية وتركيبية يتم تحديد مهامها من خلال ما يتمخض عن هذه العلاقة من معانٍ ومعطيات تسهم في توجيه دلالة المعنى وإقراره متخذة سبلاً عدة منها ما يأتي عن طريق التذييل الذي يكون مغايراً، فالجملة المذيلة للمعنى تنطوي على معانٍ عدة محتملة تسير في اتجاه دلالي واحد، ويكون أحد هذه الاحتمالات مؤدياً لمنطوق الجملة الأصلية الأولى مكرراً للمعنى ذاته بشكل صريح أو ضمني[٢]. وتمتاز الأساليب الفنية بكونها تمثل صياغة أسلوبية تأتي لأداء المعاني محققة الجانب البلاغي، وفي ذات الوقت فإن صيغة الجملة التذييلية تكون ذات وظيفة دلالية ناتجة عن التفاعلات المتشعبة[٣]. وإن لموقع "الجملة التذييلية في السياق بالغ الأثر في تحديد الدلالة وتأطيرها من خلال ارتباطها بالمعنى الكلي المتقدم وما يترتب عليه، حيث إنها تمثل خاتمة ونهاية لمطاف مكاني"[٤].

وهي بذلك تحقق وظيفتها في النص من حيث "التحقيق، أو التوكيد والبيان، أو التوضيح والتعليل للكشف عن المعنى المتقدم، فالخبر الأول الجديد والخبر الثاني المزال انما يتوزع في هذه الاتجاهات التي تشترك كلها في وظيفة الإطناب العام للإبانة والتحقيق"[٥]. و التذييل له "أهداف اقناعية وحجاجية في علاقته بمتلقي القرآن"[٦]، ويبدو أن هدف التذييل في بعض دلالاته هو إفهام المعنى وإيضاحه للسامع وإقناعه عن طريق إعادة الألفاظ والمعاني "فالعناصر المعلومة تنهض في الكلام بدور وظيفي إذ هي تمثل دعامة العناصر الجديدة التي يروم المتكلم تبليغها"[٧]، وهو جملة تعقب جملة تقدمتها بالمعنى يؤتى بها على سبيل التحقيق والتعليل والاتساع والزيادة والبيان للمعنى الأول وتأكيده وهذا نفسه ما ورد في المعنى المعجمي للتذييل.

وقد قسم الدارسون التذييل بحسب صوره على أقسام عدة؛ فتارة يقسم بالنظر إلى صور وروده، وتارةً أخرى يقسم بحسب دلالته، أما تقسيمه بحسب صور وروده فيقسم على قسمين:[٨]

- ما يرد في صورة المثل، هذا النوع من التذييل يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به الكلام

---

١) الإطناب في القرآن الكريم: ٢٤٢.
٢) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم : ٣٧٤-٣٧٥.
٣) ينظر: الاطناب في القرآن الكريم :: ٢٣٩.
٤) نفسه: ٢٣٩.
٥) الاطناب في القرآن الكريم: ٢٤٠.
٦) الحجاج في القرآن الكريم: ٣٤٩.
٧) الحجاج في القرآن الكريم: ٣٦٤.
٨) ينظر: معجم البلاغة العربية : ٢٣٦.

السابق ويتميز بالاستقلال التركيبي و علاقة الجملة المتأخرة بالجملة المتقدمة ومرجعية المعنى، التي تختلف باختلاف المقام وطبيعة الترابط بين مكونات الجمل إذ يتضح دور التذييل تبعاً لفهم المتلقي ونوع عائدية المعنى (المرجعية الدلالية)، فإذا كانت "الجملة التذييلية تعود على متعدد داخل السياق تحقق ترابطاً مع الجملة المتقدمة ومتعدداً دلالياً خارجياً متمثلاً في الاقتراب من حالات متشابهة للمعنى خارج السياق، مما يصح أن يعد مضرباً بحيث تكون الجملة التذييلية بؤرة دلالية تستحضر معانٍ موافقة لها في غاية ما"[١]، فالتذييل حينئذ يعد من النوع الاول الجاري مجرى المثل أي الذي: "تكون الجملة الاولى دالة بمنطوقها على المعنى المقصود وتأتي الجملة الثانية لتؤكد وتقرر ذلك على سبيل المثل"[٢]، أي؛ "أن حضور الجملة الثانية حضور سياقي يهدف إلى تعضيد وتوكيد دلالة الجملة الأساسية المتقدمة من خلال دعمها بحضور خارجي مرتبط بسياقات خارجية مشابهة لها في المقام وهي جملة مستقلة مكتفية بذاتها"[٣]، وذلك "بأن يُقصَد بالجملة الثانية حكمٌ كليٌّ منفصلٌ عما قبله جارٍ مجرى الأمثال فـي الاستقلال وفشوّ الاستعمال"[٤]،نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٢١٦].

- وما لم يرد في صورة المثل: وهو "لم يخرج مخرج المثل، بأن لم يستقلّ بإفادة المراد، بل يتوقف على ما قبله"[٥]، إذ اقتصرت مرجعية المعنى للجملة الثانية على علاقة الانضمام والعودة الى الجملة الاولى مكتفية بعلاقة الربط والارتباط داخل التركيب الجملي فإن التذييل يكون من النوع الثاني الذي لا يجري مجرى المثل، وبذا فان الجملة لا تحقق استقلالاً بذاتها، بل إن الإفادة منها تسير باتجاه واحد مرتهنة بعلاقاتها بما قبلها على عكس النوع الأول الذي يسير باتجاهين، واكثر ما ترد تذييلات القرآن الكريم من هذا النوع، ومع كثرة الأمثال القرآنية[٦]، وما يجري مجراها وتنوع صيغها ودلالاتها فيه إلا أن ما يجري يجري مجرى المثل في الجملة التذييلية يكون محدوداً في هذا الموطن ومع ذلك فانه يؤدي دوراً مزدوجاً في بيان دور المثل والدخول إلى أجوائه وعوالمه التي تجمع بين عالمين وبين الوظيفة التذييلية المتعددة مما يكسب التذييل الجاري مجرى المثل التذييلي خصوصية تمتاز بها عن غيرها في مواطن اخرى من السياق القرآني، ويتضح ذلك من خلال بيان علاقة المثل بالجملة التذييلية ثم انصهارهما معاً[٧]. نحو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران / ٩٢].

---

١) الاطناب في القرآن الكريم: ٢٤٣.
٢) انوار الربيع: ٣/٣٩.
٣) الاطناب في القرآن الكريم: ٢٤٣.
٤) معجم البلاغة العربية: ٢٣٦.
٥) نفسه: ٢٣٦.
٦) ينظر: الامثال في القرآن الكريم: محمد جابر الفياض: ٣٨٧-٤٠٢.
٧) ينظر: الاطناب في القرآن الكريم: ٢٤٣.

إن للتذييل "وظيفة دلالية أساسية هي التوكيد وله وظيفة حجاجية"[١]، إذ إن "تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها تترك منزلة الحجة على مضمون الجملة وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الاول وزيادة"[٢]، وقد أكد البلاغيون على وظيفة التأكيد، التوجيه، البيان لما لها من صلة بعملية الفهم، فالتأكيد معناه "التقرير، أي: جعل الشيء ثابتا في ذهن المخاطب"[٣]، وهو يقوم على التعالق التركيبي والدلالي بين طرفين، فكل تأكيد لابد أن يكون متعلقاً بكلام سابق مؤسس له مقدم لمعنى جديد تتعاضد دلالته مع التذييل؛ لأنه يعمد إلى "تقوية نسبة الشيء إلى الشيء وليس تكثيراً في المنسوب ولا في المنسوب إليه... فهو لا يعمل في الاشياء من حيث هي أشياء إنما يعمل في نسبة الحكم إلى الشيء فيزيد تلك النسبة قوة"[٤] محققاً الترابط بين الجملة الاساسية والجملة المذيلة، وهذا يعني أن وظيفة التذييل هي تحديد اتجاه المعنى وتوكيده من خلال ربطه بالمتقدم وتأطير المعنى ورسم حدوده على وفق ما يقتضيه النص فـ "التذييلات القرآنية بمثابة الحجة على ما يقدم في الجملة الاصلية (...)، [هذه الحجة] المستمدة من عالم خطاب المتلقين، وهي مما يمكن أن تخامر كل ذهن ويجري على كل لسان، إن هذه الحجة الواردة في التذييل لهي صوت الحكمة الكونية وصوت العرف والحقيقة التي لا يمكن ان تدفع"[٥].

و ذهب بعض الدارسين إلى تقسيم التذييل حسب دلالته – أي ما تحمله جملة التذييل من دلالة لسابقها من الكلام – بالنظر إلى دلالته على قسمين[٦]:

أولهما: ما يؤكد منطوقاً، ويكون هذا النوع من التذييل قد سيق من "أجل تأكيد منطوق الكلام بمعنى أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمنطوق الجملة الأولى ويشترط أن يكون هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ"[٧]، نحو قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ [النساء / ٨٤]. فإن جملة التذييل ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ جاءت متفقة في اللفظة (بأساً) مع الجملة التي سبقتها.

والقسم الثاني: ما يؤكد مفهوماً، ويكون هذا النوع من التذييل قد سيق من "أجل تأكيد مفهوم الكلام بمعنى أن تكون الجملة الثانية تأكيداً لمفهوم الجملة الأولى اي تأكيد لمعناها دون اشتراكهما في اللفظ"[٨]، نحو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ

---

١) الحجاج في القرآن: ٣٤٨.

٢) التحرير والتنوير: ٦٦٧/١، وينظر: خزانة الادب: ٢٤٢/١، وانوار الربيع في أنواع البديع: ٣٩/٣، ومن بلاغة النظم العربي: ٢٤٢.

٣) كشاف اصطلاحات الفنون: ٦٢/١.

٤) أصول تحليل الخطاب: ٧٥٧/٢.

٥) الحجاج في القرآن الكريم: ٣٦٣.

٦) معجم البلاغة العربية: ٢٣٦.

٧) التذييل في القرآن الكريم، دراسة بلاغية: ١٥.

٨) نفسه: ١٥.

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة / ٤]. فإن جملة التذييل ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أكدت مفهوم النصّ السابق لها.

والجملة التذييلية تعد "وحدة تركيبية خاصة تتنوع حسب المقام والمعنى المقصود والغاية المرجوة بوصفها فناً إطنابياً يؤدي دوره التذييلي من خلال صورتين"[1]، وقد وقع التذييل في القرآن بكثرة، وأكثر من نبَّه عليه من المفسرين الآلوسيّ وابن عاشور. وجاء في القرآن على ثلاثة أضرب:

الأول: في ختام الآيات، وهو الأكثر. ومن أمثلته:

- قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

الثاني: أن يأتي في وسط الآية والمثال عليه:

- قوله سبحانه: ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩١].

والثالث: أن يأتي آية برأسها، قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، فهذه الآية تذييل لسابقتها.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

جملة التذييل ومفهوم النص :

كثرت التعريفات التي شرحت مفهوم النص ومدلوله، ولكن في البداية لابد من الكشف عن الدلالة اللغوية لكلمة (نص) في اللغة العربية وفقاً لما ورد في المعجمات، للوقوف على مفهوم النص في الفكر العربي قديما وحديثا وذلك؛ "لأن اللغة تمثل النظام المركزي الدال في بنية الثقافة بشكل عام"[2].

وقد أورد الفيروزآبادي في مادة (نصص) قوله: "(نص) الحديث رفعه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، والشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلاناً: استقصى مسألته عن الشيء، والعروس أقعدها على المنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، والشيء أظهره، والشواء ينص نصيصاً: صوّتَ على النار، والقدر غلت، والمنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى: أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو

---

١) الاطناب في القرآن الكريم: ٢٤٣.

٢) مفهوم النص دراسة في علوم القرآن: د. نصر حامد أبو زيد: ١٧٨.

قدرن على الحقاق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نصناص أي كثيرة الحركة ونصص غريمه، وناصه: استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله، والبعير أثبتت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض"[١].

وفي لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ):"(النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه. وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ. ووضع على المنصة: أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة. أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"[٢].

إنّ ما جاء من معاني لفظ (نص) في المعجم يدور حول "نص الشيء في اللغة منتهاه. ونص الشيء رفعه ومنه (مِنصَّة) العروس بكسر الميم، ونصنص الشيء حركه، وناصية الشيء رأسه أو أعلاه. كأن اللغة تدلنا عبر الفعل والمصدر والاسم جميعا على جذر المعنى في (المنصوص - المفعول) بما يحتويه من صفَتَي الاكتمال والعلوِّ في آن"[٣].

وإن الوحدة الدلالية للنص ما هي إلا مجموع الوحدات الدلالية لكل جملة من جمل النص ضمن موقف اتصالي مع السياق بوصف النص والسياق يتمم أحدهما الآخر بحسب ما يرى بعض الباحثين: إنّ "النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، والسياقات يجري تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص"[٤]، وإن فهم النص يكون عن طريق السياق لأن؛ "مستعمل اللغة سوف يفهم في الدرجة الأولى الكلمات والجمل ومن ثم متتاليات الجمل (...) أن سياق الفهم يؤول إلى تحليل المعلومات المنقولة بواسطة بنية النص السطحية وترجمتها إلى مضمون، أي إلى معلومات مفهومية، وبهذه الطريقة تحول الجمل إلى سلاسل من القضايا. ففي فهم النص يتعلق الأمرُ على الأخص بحاجة المستعمل إلى إقامة روابط بين القضايا المعبّر عنها بجمل النص المتتالية"[٥]، وإذا ما رجعنا إلى مفهوم التذييل الذي هو " أن تأتي بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومه "[٦]، فيكون بين مفهوم النص والتذييل تقارب شديد و

---

١) القاموس المحيط: مادة (نص): ١/ ٨٥٨.

٢) لسان العرب، مادة (نص): ١٣/ ٩٧-٩٨.

٣) النص القرآني من الجملة الى العالم، وليد منير: ٢٩.

٤) السياق (المفهوم، المنهج، النظرية)، طه جابر العلواني، مجلة الإحياء، عدد ٢٦، ص ٤٩.

٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل: ٣١٥- ٣١٦.

٦) المصباح في المعاني والبيان والبديع: بدر الدين بن مالك: ٢١٦.

ذلك ما ذهب إليه القدماء في مفهوم التذييل ولم يذهب المحدثون بعيدا عنه، بأنه يأتي بعد تمام الكلام بجملة مستقلة عقب الجملة الأولى، التي تشتمل على معناها لتوكيد مفهومها او منطوقها[١]، وما ذهبوا إليه في مفهوم التذييل لم يخرج عما ذكره القزوينيّ في الإيضاح بأنه "تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد"[٢]، والذي يهمنا من ذلك أن اغلب العلماء من قدماء ومحدثين ذهبوا إلى أن التذييل "جملة مستقلة"، وبما أن التذييل هو جملة مستقلة بذاتها فهو لا يختلف عن مفهوم النص كما ذهب الى ذلك بعض العلماء بأن النص هو "القول اللغوي المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته"[٣].

ويضاف إلى ذلك أن علم النص هو من العلوم الحديثة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بعلم النحو، فهو يقوم بـ"فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة إلى سلسلة طويلة، أو قصيرة من الجمل، تؤلف نصا محدداً"[٤]، وهذه الجمل ترتبط بسياقها العام الذي ترد فيه وهذا الترابط ليس "مجرد سمات او خصائص بل [هو] أمر ضروري لتأويل النص وإدراك معناه"[٥]، وهو بذلك يحقق التماسك، والتراتب للنص من حيث الشكل والمضمون فيكون بذلك عاملا أساسيا في توضيح الدلالة التي ينطوي عليها ذلك النص؛ لأن دراسة اللغة تقوم على "النظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى"[٦]، بل يمكن القول إن "الوحدة اللغوية لا تُعرف إلا بغيرها من الوحدات بل يجب أن نقول إنها مكونة من مجموعة علاقاتها بباقي الوحدات"[٧]، وهذه الوحدات لذاتها لذاتها تحمل دلالة خاصة بها؛ فإذا ما دخلت في نص ما شكلت لبنة أساسية من الدلالة الكلية له، وفقا للسياق الذي ترد فيه لكونه يمثل" إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبنية لغوية، وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[٨]، فالسياق أحد الركائز الأساسية في تحليل أي نص وهو "المعنى الذي يفهم من الكلمة بين الكلمة السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب"[٩]، للكلام وغايتُه الوصول إلى مراد المتكلم والظروف المحيطة به، وإن له "دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب، وفي انسجامه بالأساس وما كان ممكناً ان يكون للخطاب معنى لولا الإلمام بسياقه"[١٠]، فعناصر النص ترتبط بالسياق

١) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد: مصطفى الجويني: ٤٩. ينظر: الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل: علي جميل سلوم: ٩٧.

٢) الايضاح في علوم البلاغة: ٢٠٠.

٣) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ٢٩٩. ينظر: النص القرآني من الجملة إلى العالم: وليد منير: ٢٩.

٤) في نظرية الادب وعلم النص: ابراهيم خليل: ٢١٦. ينظر: علم لغة النص: سعيد حسن بحيري: ١٥٥.

٥) أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ١/ ١٥٠.

٦) العربية وعلم اللغة البنيوي: د. حلمي خليل، ١٠٠.

٧) علم لغة النص: د. سعيد بحيري: ٢٧.

٨) أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بودرع، مجلة الاحياء، الرابطة المحمدية، المغرب، ع٢٥، يوليو، ٢٠٠٧، ٧٣.

٩) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين: عبد النعيم خليل: ٣٣.

١٠) لسانيات الخطاب: محمد خطابي: ٥٦.

للوصول إلى الدلالة التي لا تتحقق إلا "بائتلاف الكلام وضم بعضه الى بعض على وجه من الوجوه النحوية المألوفة ... لكي يكون الكلام تاماً من اشتماله على علاقة الإسناد، وهو محكوم في كل ذلك بالغرض الابلاغي الذي يعبر عنه"[١]، وتتحقق الفائدة من الدلالة بتوافر عنصر الإسناد في الكلام؛ لأن الوحدة الإسنادية "وحدة بنائية إخبارية يعبر بها الإنسان عن حدث او موقف يعيشه، يخالج وجدانه وباطنه، يتفاعل معه ويخامر ذهنه"[٢]، فالإخبار يراد منه الإبلاغ الذي يعد من أهم وظائف اللغة التي تتصل اتصالا وثيقا بالدلالة[٣]، وعلم الدلالة يعنى بدراسة معنى الكلمات، والمعنى يتحدد من خلال النص الكلي[٤].

وثمة مفهوم آخر للنص ألا وهو النظر إلى ظهور المعنى، فالنص هو ما يظهر به المعنى[٥]، ولظهور المعنى آليات وطرق متعددة تختلف باختلاف الباحثين ولا ينظر للحجم في تسمية الملفوظ نصاً، فكل ملفوظ مهما طال أو قصر حجمه يمكن أن يعد نصاً، فالنص قد يكون جملة واحدة أو عدة جمل أو سلسلة متوالية من الجمل تقصر وتطول بحسب تلبيتها للسياق[٦]، إذ ينظر إلى النص هنا بوصفه وحدة وحدة كاملة أو وحدة دلالية[٧]، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص[٨].

وهذا النظر إلى معنى النص لا يبتعد كثيرا عن مقوم آخر للنص وهو تأكيد أثره التواصلي، إذ يؤكد العلماء والدارسون لـ (نحو النص) على هذه المسألة فالنص عندهم "حدث اتصالي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي: الربط، والتماسك، والقصدية، والمقبولية، والإخبارية، والموقفية، والتناص"[٩]، أي: أن الحدث التواصلي يقوم بالربط بين خصائص النص والمتلقي ليتحقق التفاعل، إذ إن إن كل حدث لغوي هدفه توصيل معلومة ما للمتلقي عن طريق التفاعل بين النص ومتلقيه بصفة التفاعل نشاطا تواصليا.

وللوصول إلى دلالة نص ما، لابد من الإلمام بالعلاقات التي تربط بين أجزائه، للكشف عن نظام بناء اللغة فيه، وطريقة تركيبه، والنحو من أهم مرتكزات التحليل النصي فهو يشكل "البنية العميقة التي تعطي الجملة معناها، والنحو كما قدمه علماؤنا الأوائل علم نصي، لأنه يتعامل مع التراكيب، ولا يمكن فهم تركيب ما الا من خلال بنيته النحوية، والمفردات التي تشغل هذه البنية، والتفاعل القائم بين المفرد

---

١) المعنى وظلال المعنى: محمد يونس: ٣١٥.
٢) تحديث النحو العربي: موضة أم ضرورة: ٤٨.
٣) ينظر: المعنى وظلال المعنى: ١٧٨.
٤) تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص: د. فايز الكومي: ٢١١.
٥) ينظر: نسيج النص: الازهر الزناد: ١٢.
٦) ينظر: الخطاب القرآني: خلود العموش: ٨. ينظر: سيميائية النص الادبي: أنور المرتجي: ٨٦.
٧) ينظر: علم لغة النص: سعيد حسن بحيري: ١١٧.
٨) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٣.
٩) ينظر: نحو اجرومية للنص الشعري: سعد مصلوح، فصول، مجلد ١٠، العدد ٢٠، لسنة ١٩٩١ م، ١٥٤.

ووظيفته النحوية من خلال سياقه النصي"[١]، وهـو ما يقوم عليه علم النص فهو يراعي العلائق بين الكَلِم، وهو الأساس الذي تقوم عليه نظرية النظم التـي قال بهـا عبد القاهر الجرجانيّ (تـ٤٧١هـ)، بأنـه "تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضهـا بسبب مـن بعض"[٢]، ويـقـول أيضا: "اعلـم أن ليس النظم النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علـم النحو، وتعمـل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[٣]، ووفقا لـهذا المفهوم نجد أن علم النص يتعلق بمفهوم السياق بمـا يقتضيه علم النحو، ويؤكد الجرجانيّ تعلق معاني الكلم بمعاني النحو، بقوله "ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يتصور أن يتـعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة مـن معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح فـي عقل أن يتـفكر متفكر في معنى "فعل" من غير أن يريد إعماله في اسم ولا أن يتفكر في معنى اسم مـن غير أن يريد أعمال فعل فيـه وجعله فاعلا له أو مفعولا"[٤]، وهو بذلك يبين تنظيم العلاقة بين العناصر اللغوية، اللغوية، ودور السياق فـي بناء المعنى بما يحققه الانسجام بين هذه العناصر؛ فاللغة "مجموعة من العلامات... والعلامة هي اللفظ المستعمل، أي الموضوع بإزاء معنى"[٥]، وأن الغاية من الوصول إلـى الدلالة الأصلية لنص ما أو الغرض المقصود منه وفقا للظروف المحيطة به هو لبيان مراد النص.

فالبيان "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى (...) لأن الغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هـو الفهم والإفهام"[٦]، وهو الهدف الذي يقوم عليه علم البلاغة ويسـعى إلى تحقيقه، ولمّا كانت "حيوية الأنموذج البلاغي العربي وشموليته على انـه أصـلا وليد أو منبثق عن نص كوني، وهـو النص القرآني، ثم أنه أصـلا نظرية فـي الإدراك الإنساني للحياة والكون من خلال المظهر اللغوي"[٧]، صـار لزاماً الوقوف علـى البناء اللغوي للنـص القرآني لجملة التذييل لتبيين المعنى وفقا لشروط أو معايير النص؛ لأن من شروط إنتاج الخطاب البياني "تحقيق التـوافق والانسجام في اللفظ / المعنـى، أي فـي أحد "الأزواج" الرئـيسية المكونة للنظام المعرفي البياني"[٨]، وفن التذييل مـن الفنون البلاغية التي وظيفتها الوقوف على معنى النص وبيان المراد منه، وفقا لقواعد النـحو العربي وهي ومـن خلال هذا الارتباط بإنتاج المعنـى تحقق العلاقة بين البلاغة وبين علم النص؛ فالبـلاغة "هـي الصورة القديمة لقواعد نحو النص"[٩].

---

١) منهج في التحليل النصي: د. محمد حماسة: ١١٥.
٢) دلائل الاعجاز: ٤.
٣) نفسه: ٨١.
٤) نفسه: ٤١٠.
٥) المعنى وظلال المعنى: ٣٤.
٦) اصول البيان العربي: د. محمد حسين الصغير: ١٦.
٧) العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل: عباس أمير: ١٩.
٨) بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري: ٣١.
٩) في نظرية الأدب وعلم النص: إبراهيم خليل: ٢١٩.

والنص القرآني، محبوك بوصفه نصاً لغوياً مؤلفا من جمل مترابطة يحكمها سياق معين، ولكل جملة من تلك الجمل دلالة خاصة بها، ترتبط بالسابق لها من الكلام وما يلحقها من جمل تحمل قصدية معينة ترتبط بالظروف المحيطة لهذا القول؛ فإن عملية البحث في تركيب الكلام وصوره البيانية، ومحسناته اللفظية والمعنوية وتحليل هذا النص لغوياً وتركيبياً لا يتحقق الا من خلال "تحليل العلاقات القائمة بين الوحدات النصية التي تضم مجموعة من القضايا أو الجمل، لأن البناء الشامل للنص له دلالة كلية تتجاوز دلالة مجموع مفرداته أو جمله هذه الدلالة تتحقق من خلال التفاعل بين بنياته الصغرى التي تتآزر وتتداعى فيما بينها من أجل أن تؤدي دورها التركيبي والدلالي في تحقيق البنية الكبرى للنص أو الخطاب"[١]، وهذا يعني أن العلاقة بين أجزاء النص تكشف عن دلالته وتسهم في تحقيق وحدة النص التركيبية، وهذا يعني عدم إمكان دراسة جزء من النص بعيدا عن البناء الكلي له؛ وكذلك ارتباطه بالعلوم الأخرى، والمناهج التحليلية التي تتضمن دراسة النص وعلاقته بهذه العلوم؛ فقد أجمع الباحثون المحدثون على أن "التطور في العقدين الأخيرين من هذا القرن هو الذي أدى إلى أن تصبح مشكلات التحليل وأهدافه الموزعة على العلوم المختلفة موضوعا لدراسة متكاملة جديدة، مشتركة بين تلك العلوم، توصف أساسا بأنها دراسة (عبر تخصصية)"[٢]، وبذلك يشترك علم النص بعلم البلاغة البلاغة بوجهها القديم والحديث وعلى وجه الخصوص ما تجلت عنه الدراسات الحديثة للبلاغة التي تعنى بدراسة التراث البلاغي القديم بالإفادة من المناهج النقدية الغربية فـ "البحث البلاغي ينبغي أن يشمل الكلمة والجملة والفقرة والقطعة لا البحث في الجملة والجملتين"[٣]، وهذه الدراسات تقوم على "الإحساس بالجمال والتعبير عنه وهي تتعلق بعلم النفس"[٤] وهذا يعني أن دراسة النص تتعلق بأثره بأثره في متلقيه والذي يرتكز على التذوق والإحساس بما فيه من روعة في البناء وجمال في التصوير وهذا يعني ارتباط العلوم البلاغية بالعلوم اللغوية والأدبية والنفسية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية "على أن البلاغة هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية وعلم النص والسيميولوجيا، وهي النموذج المؤمل عليه للعلم الإنساني في إطاره الشامل الجديد"[٥]، إن ما انماز به الفن البلاغي من وصف النصوص وتحديد وظائفها ما هو إلا دليل على أن علم النص انبثق من البلاغة؛ بل يمثل الإطار العام لها، وما اكتسبه من تجديد في المصطلح "محاولة كسر طوق الدراسات التاريخية لمشكلات الخطاب النصي، وإتاحة الفرصة لمعطيات الألسنية الشعرية وتقنيات البحث الدلالي أن تجدد في مفاهيم بلاغتنا

---

١) العلاقات النصية في القرآن الكريم: ١٠٩-١١٠.

٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ٣١٩.

٣) فن القول: أمين الخولي: ٢١٦.

٤) نفسه

٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ٣٢٣.

العربيـة وإجراءاتها"[١]، وهـذا التطور في العلوم، والانسجام فيما بينها يجعل مـن دراسة الفنـون البلاغية وفقا لمعايير علم النـص يكشف الانتاج المتجدد للنصوص وما تكتنزه من دلالة ومعانٍ.

ولمـا كان فـن التذييل من الفنون البلاغية، وإن كان يعنى بتوكيد ما سـبقه من الكلام، وتقريراً لحقيقة سابقة؛ إلا أنه لا ينفك أن يكون تابعاً له في التركيب والمعنى ومنسجما تماما مع السياق العام له فإن دراسته وفقـاً لمعايير علم النص له أثر في الـكشف عن مضامينه الكامنة، ولاسيما في دراسة النص القرآني لفهم معانيه، وضبط دلالته، والكشف عـن مضمونه، والسياق القرآني له ارتباط وثيق بمـا يحيط بالنص مـن عوامل داخلية، وخارجية فهو نص "يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه مـا، وذلك انه يبين بعضه بعضـاً؛ حتى أن كثيراً منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضـع آخر أو سورة أخرى... فإذا كان كذلك؛ فبعضه متوقف علـى البعض فـي الفهم، فلا محالة أن مـا هـو كذلك فكلام واحد؛ فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار"[٢]، أي أن: ترتيب سـور النص القرآني وآيـاته معجز وتناسبه هو أحد جوانب إعجازه، فكل آية فيه مكملة لما قبلها متـصلة بما بعدها "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم بـه السـورة قبلها"[٣]، وذكر الرازيّ (ت ٦٠٦هـ)،أنّ "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٤]، هذا بمـا يتعلق بسياق النص الداخلي، أما السياق الخارجي فلا يكاد يختلف عن سابقه من الترتيب والتناسب فـي "معرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن مترتبة على معرفة الغرض او الأغراض التي سيقت لهـا السورة"[٥]، فهذه تشكل عوامل خارجية تحيط بالنـص القرآني ويكون لها أثر كبير فـي فهم النص وبيان المراد منه، وهي عنصر فعال في تحليل النص والوقوف على مضامينه وتفسيره مـن خلال مكوناته فضلاً عن كشـف أسراره اللغوية، وطريقة تركيبه؛ فإن سمـة النص الكريم "إن مـا أُجمل في مكان فإنه قد فسر فـي موضع آخر وما اختصر في مكان فانه قد بُسط في موضع آخر لأن القرآن كتاب متشابه المعاني والأهداف"[٦].

والتذييل فـي النص القرآني يأتي جملة في نهاية الآية أو نصف آية أو آية بكاملها أو قد يأتي تذييلان فـي الآية الواحدة تحقيقا لكلام سابق له، والباعث على ذلك سياق الآية أو سبب نزولها ويأتي التذييل تأكيدا أو تحقيقا لمعنى سابق له؛ وهو بذلك يوافق السياق الخارجي ويكون منسجما تماما مع البناء اللغوي وتركيب النـص داخلياً، فهو يشتمل علـى تقرير معنى الجملة الأولى، ويزيد عليـه بفائدة جديدة

---

١) نفسه: ٣٢٦.
٢) الموافقات للشاطبي: ٤/ ٢٧٥.
٣) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٨ .
٤) التفسير الكبير: ٥/ ٢٦٢.
٥) نظم الدرر: البقاعي: ١/ ١٧.
٦) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: محمد الغزالي: ٢٣.

لها تعلق بفائدة الجملة الأولى التي قبلها فتكون بمنزلة الحجة أو الدليل، وبهذا كان، تعقيب الجملة بجملة مشتملة على معناها، تتنزل منزلة الحجة على مضمون الجملة، وبذلك يحصل تأكيد معنى الجملة الأولى. وهو لا يتقيد بلفظ، بل يتعداه إلى الجملة التي تعود على ما قبلها، فالنص "وحدة لغوية متكونة من أكثر من جملة"[١]، وهذه الجمل في النص القرآني منسجمة ومترابطة مع بعضها كأنها قطعة واحدة و"كأنك تنظر الغرض الذي سيقت له الصورة، وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة وسورة"[٢]، وهذا الترتيب والتناسب بين الآيات والسور يبين ما تضمنه النص القرآني من النظم الذي هو سر إعجازه، ولدراسة جملة التذييل وفقا لمعايير علم النص تسهم في الكشف عن وجه الإعجاز القرآني في وجودها.

وفي بعض المواضع التي تتطلب ذلك فإذا كانت بؤرة السور المكية هي العقيدة والحديث في محاورها؛ فإن البؤرة الرئيسة للسور المدنية هي الشريعة ومحورها فن التنظيمات والتشريعات والجهاد في سبيل الله، وكل واحد من هذه النصوص يتطلب الإيجاز في موضع والإطناب في آخر تبعا للظروف التي كان يعيشها النبي الكريم محمد ﷺ، ولأن "طبيعة الموقف القرآني الذي يستهدف التغيير، وطبيعة الأهداف والغايات التي يرمي القرآن الى تحقيقها قد تفرض هذه المراعاة، حيث تُحدّد الغاية والهدف، شاكلة الأسلوب الذي يجب سلوكه للوصول إليه"[٣]، فإن طبيعة المجتمع في مكة كان مجتمعاً أُمّيّاً لذا تتطلب نزول الآيات في مكة ان يكون فيها عرض الأدلة والبراهين، وقد ورد فيها تذييل ليكون تأكيداً وتحقيقاً لمنطوق سابق له في النص الكريم لإثبات الدليل وتأكيد الحجة؛ اما السور المدنية التي تضمنت الأحكام والتشريعات ورد فيها تذييل لأن الدعوة في حالة الهدوء بالنسبة لما كانت عليه في بدايتها فقد ورد التوسع والتفصيل والبسط فيها "فإن مجتمع مكة لما كان مجتمعاً أمّيّاً لم يكن النبي بقدرته التبسّط في شرح المفاهيم وتفصيلها وإنما واتته القدرة على ذلك عندما أخذ يعيش مجتمع المثقّفين المتحضّر في يثرب"[٤]، وتأتي جملة التذييل في هذه الآيات تأكيدا وتحقيقاً وتقريراً لما سبقها من الأحكام والتشريعات والتنظيمات الاجتماعية، والفقهية، والجهادية في السور المدنية، والحث على العقيدة والجهاد في السور المكية بما ينسجم مع السياق العام لها.

---

١) أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ١/ ٨٣.

٢) نظم الدرر: البقاعي: مقدمة الكتاب تح: عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية بيروت.

٣) التمهيد في علوم القرآن: محمد هادي معرفة: ١/ ١٦٥

٤) نفسه: ١/ ١٦٦.

الفصل الأول

الاتّـساق النصّي وجملة التذييل في السبع الطوال

المبحث الأول: الإحالة
المبحث الثاني: الاستبدال والحذف
المبحث الثالث: الوصل
المبحث الرابع: الاتّساق المعجمي

مدخل في مفهوم الاتّساق[١]:

يتمثلُ الاتساق النصّي في الدراسات النصيَّةِ المعاصرة بوجود أَدواتٍ ماديةٍ ظاهرة تحقق للنصِّ تماسكه، يُطلق عليها: البني الصغرى المُؤَلِّفة للنَّص، "ولكي تكونُ لأيِّ نصٍّ نصّيّة ينبغي أَنْ يعتمدَ على مجموعةٍ من الوسائلِ اللغويةِ التي تَخْلقُ النصَّ، بحيثُ تُسهمُ هذهِ الوسائل في وحدتهِ الشاملة"[٢]، ولأن الاتساق النصيّ هو موضوع أساس في اللسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها في سبيل التكونّ والتأسيس والتطور، الانطلاق من فرضية التوسع، توجب عليها الانتقال من دراسة الجملة بوصفها وحدة لغوية كبرى، تبنى عليها نظريات اللغة ومدارسها واتجاهاتها، إلى النص؛ بوصفه ممثلاً شرعياً للغة، ينماز بكل خصائص ومميزات الاتساق والانسجام.

إنَّ الرُؤى المُوحدة لأغلبِ علماء النص تؤكد أنَّه بفقدانِ هذه الخصائص يَفْقِدُ النصَّ وحدَتَهُ اللغوية، ويصبحُ مجردَ كلماتٍ وجُملٍ مُفَكَّكَةٍ، فتنتفي عنه بذلك صفةُ النَّصيّة، والنصيّة هو ما تقوم عليه الدراسات الحديثة والأبحاث اللغوية المعاصرة، لأنه بنية منتظمة متسقة ومنسجمة، تحتكم إلى علاقات معينة بين متتالياتها الجملية في أداء معناها، بالصورة التي تكون فيه قابلة للقراءة والفهم والتأويل؛ ويمثل الاتساق المعيار الأول من المعايير النصية السبعة التي وضعها (دي بوجراند) وقد نال هذا المصطلح عناية كبيرة من لَدُن اللسانيين النصيين، بتوضيح مفهومه وأدواته وإبراز عوامله وشروطه، فضلاً على أن اختيار كلمة (اتّساق)، بُني على أُسس منها ما توحيه دلالة الكلمة في المعجمات العربية من ناحية ومن ناحية أخرى ورودها في مؤلفات العلماء العرب القدماء ومن بينهم الجرجاني[٣].

وإذا ما رجعنا إلى المعجمات العربية، سنجد تعدد معاني (الاتّساق) في المعجمات العربية ينحصر بين (الانضمام، والاستواء، والامتلاء، والاجتماع، والانتظام، والاطراد، والجمع، وكثرة الحمل)، ويُلمح منه أنه يتطابق مع المعنى الاصطلاحي لـ (الاتّساق) من جانب وينسجم مع دور (الاتّساق) ووظيفته في نحو النص من جانب آخر[٤].

ويُستشَف من المعنى اللغوي للاتّساق أن اتّساق النصّ؛ يعني أيضا جمع أجزاء النص المكونة له،

---

١) تترجم كلمة (Cohesion) غالبا في العربية بـ (تماسك)، وهناك من يترجمها بـ (السبك)، وبعض منهم يترجمها بـ (الترابط)، وآخرون يترجمونها بـ (التماسك النصي الشكلي)، للتفريق بينها وبين كلمة (Coherence)، إذ يترجمونها بـ(التماسك الدلالي). وبعضهم يترجمها بـ(الربط) وهناك من يترجمها بـ (التماسك النصي الشكلي) وذهب بعضهم الآخر إلى ترجمتها بـ (التضام) وغير ذلك وجاء اختيار كلمة (اتّساق) ترجمة للكلمة، مبني على أُسس منها؛لكون من معانيها في العربية هو الجمع والانضمام والامتلاء، وهو ما توحي به دلالة الكلمة، في المعجمات العربية من ناحية ومن ناحية أخرى ورودها في مؤلفات العلماء العرب القدماء. [ينظر: نحو النص: احمد عفيفي: ٣١. وانظر: النص والخطاب والاجراء: ١٠٣. وينظر: مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٧١].

٢) لسانيات النص: ١٣.

٣) دلائل الاعجاز: ٦٤ – ٦٥.

٤) ينظر: لسان العرب: مادة (وسق): ١٠/٣٧٨ وما بعدها.

وضمّ بعضها إلى بعض، واستواءه من حيث الدلالة، ليكون وحدة دلالية مترابطة لا تنافر بين مكوناتها، لأنّ ذلك التنافر يُخرج النصّ من دائرة النصّيّة، ولا يُعدّ نصّا.

ويدور هذا المصطلح حول البنية السطحيّة للنصّ؛ أي: العلاقات والروابط التي تشكّل بنية النصّ، وقدعرف دي بوجراند هذا المصطلح بقوله "الاتّساق: هـو ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على هيئة وقائع يؤدي السابق منهـا [إلى] اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، إذ يمكن استعادة هـذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمـور مثـل؛ التكرار، والألفاظ الكنائية، والأدوات، والإحالـة المشتركة، والحذف والروابط"[١].

ويُعرَّف الاتساق بأنه "مفهوم دلالي ويقصد به العلاقات المعنوية الموجودة داخل النص، والتي تعرّفه كنص"[٢]، فالاتساق بحسب هذا التعريف يظهر حينما يكون تأويل بعض العناصر في النص مُعتمِداً على الآخر، فالأول يعيد اقتراح الثاني، ويعني الاتساق عند البعض أنه " مجمـل الوسائل اللغويّـة التـي تضمن العلاقـات بيـن الجمـل، ممّـا يمكّن الملفوظ الشفـوي أو المكتوب مـن أن يكـون نصّا"[٣].

ويتأسس مـفهـوم "الاتّساق علـى الترابط الشكلي للنص، أو ما يجعـل سطح النص مترابطاً ترابطاً يفضي أولـه إلى آخره"[٤]، فهو: يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص[٥].

وبناءً على ذلك فإن الاتّساق، بوصفه مفهوماً لسانياً هو :" التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ / خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتّساق الخطاب/ النصّ يسلك المحلل الواصف طريقة خطيّة، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحيلة، إحالة قبليّة أو بعديّة، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة، كالعطف، والاستبدال، والحذف (...)، كلّ ذلك من أجل البرهنة على أَنَّ النصّ/الخطاب (المعطى اللغوي بصفة خاصّة) يشكّل كلاّ متآخذا"[٦].

وقـال أحد الدارسين "إن الاتساق ينتج عـن تسلسل الجمـل وخطيـة النص... والمقصود بتحليل اتساق النص هـو الإحاطـة بـه مـن حيث هو تسلسل ونسيج"[٧].

وبناءً على هـذا فالاتساق لا يتحقق بوجـود عنصر واحد مـن عناصره وإنما بورود العنصر في سياق العناصر المتعالقة وهذا التعالق بين العناصر هو الذي يهيئ الاتّساق، ويعطي للمقطع صفة النص، فالاتّساق يعدّ شرطاً ضرورياً وكافياً للتعرف على مـا هـو نص وعلى مـا ليس بنص[٨].

---

١) النص والخطاب والاجراء: دي بوجراند؛ ترجمة: د. تمام حسان: ١٠٣.

٢) مفهوم الاتساق (مايكل هاليداي ورقية حسن): أ. بلحوت شريفة: مجلة الخطاب، ع٩،٢٠١١م،ص: ٢١٤.

٣) معجم السرديات: إشراف محمد القاضي، تأليف مجموعة من المؤلفين: ٤٠.

٤) لسانيات النص: النظرية والتطبيق: ليندة قياس: ٢٧.

٥) ينظر: علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم الفقي: ١/ ٩٥.

٦) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥.

٧) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغونو؛ ترجمة: محمد يحياتن: ١٨-١٩.

٨) ينظر: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص: محمود سليمان الهواوشة: ٥٧.

من هذه الزاوية ينظر إلى الاتّساق على أَنَّه علاقة نحويّة – تركيبيّة تقتصر على البنية السطحيّة للنصّ، أي على العلاقات التي توجدها الأدوات الرابطة لأجزاء النصّ[١]، في حين نجد أَنَّ تعريف هاليداي ورقية حسن للاتّساق يتمثل في كون "مفهوم الاتّساق مفهوما دلاليّا يشير إلى علاقات المعنى الموجودة بين طيّات النصّ"[٢]، يؤكّد ذلك (هاليداي) في كتاب آخر بعد أن أدرك أنّ هذا المفهوم قد تعرّض إلى كثير كثير من سوء الفهم الناجم عن استعمال الاتّساق بوصفه طريقة لتحليل النصّ، في حين أَنَّ الاتّساق يعدّ خاصّيّة جوهريّة للنصوص، فالاتّساق - كما يرى هاليداي - ليس مجرد خاصّيّة ترتبط بالبنية السطحيّة للنصّ في مستوياتها النحويّة المعجميّة فحسب، بل هو خلق دلاليّ ناتج عن عمل نحويّ بشكل واسع، ويمثل إدراكا تلقائيّا للخيارات الدلاليّة[٣].وأشار أحد الدارسين إلى أن الاتّساق؛ من خلاله يتم النظر إلى أن النص يشكل كلا متآخذا[٤].

وقد أفاض الباحثون بما يتعلق بمفهوم سطح النص أو ظاهر النص؛ أي "العناصر اللغوية التي نتلفظ بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نكتبها أو نراها بما هي سلسلة من الملفوظات المنتظمة على صفحة الورق، وهذه العناصر أو الأجزاء ينتظم بعضها مع بعض تبعا للقواعد النحوية، ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا توفر لها من أدوات الاتّساق ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته"[٥]، ولا يُنظر للنص على أنه مجرد جمل مفردة مجمّعة، أو مجرد جمل جمعت جمع بسيط، إنما هو مجموعة من الجمل المتماسكة[٦].

ويتبين مما مرّ بنا؛ أنّ اتّساق النص، يعني أيضا جمع أجزائه المكونة له، وضم بعضها إلى بعض، واستواءه من حيث الدلالة، ليكون وحدة دلالية[٧]، مترابطة لا تنافر بين مكوناتها وتنسجم مع السياق العام الذي ترد فيه، لأن ذلك التنافر يخرج النص من دائرة النصية ولا يُعد نصا، و"لكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[٨].

---

١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٢.
٢) الاتساق في العربية: جبار سويس حنيحن: ٤٠.
٣) ينظر: تحليل الخطاب في الدراسات الإعلاميّة، دراسة في الأسس النظرية: صفاء صنكور : ٢٠٨.
٤) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥.
٥) لسانيات النص: ليندة قياس: ٢٨.
٦) ينظر: نحو نظرية أسلوبية لسانية: فيلي ساندريس: ترجمة: د. خالد محمد جمعة: ١٤٦.
٧) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٣.
٨) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٣.

وذهب أحد الدارسين إلى أنه لا تشكل كل متتالية من الجمل نصاً، إلا إذا كان بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة[١].

وفي إطار هذه المعالجات فإنّ البحث سيعمد إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في جمل التذييل في النص القرآني من خلال النظر إلى بنية النص من الداخل، وهذا يقتضي وضعاً وتحليلاً للنظام الذي تأتلف فيه البنى النصية، بحيث يتم تمحيص علاقات الارتباط الأفقية التي تنشأ بين مكوناتها، وبيان مقوّماتها التي تحكم النص[٢]. وقد اختلف الدراسون في تحديد وسائل الاتساق النصي، لذلك اعتمدت على على نصوص التذييل في تحديدها، وهي تتوزع على مستويين (معجميّ، ونحوي)، وكل منها يرتكز على وسائل عدّة ومظاهر لغوية تنسج العلاقات بين البنى الداخلية وبين وظائفها.

إن هذه الوسائل في النصوص المنجزة جميعها هي الروابط "والروابط هذه علامات على علاقات بين الجمل"[٣]، وهذه العلاقات أو الروابط التي يتحقق بها الاتساق لا تكون في المستوى الدلالي، وإنما تكون في مستويات أخرى نحوية ومعجمية، وقد حدد النصيّون هذه الوسائل الاتساقية[٤]: بـ (الاحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي)[*]، وما يتفرع منها.

---

١) ينظر: لسانيات النص : د. محمد خطابي: ١٣.

٢) ينظر: نسيج النص: ٢٥، وينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: د. مصطفى حميدة: ٢.

٣) نسيج النص: ٢٥.

٤) ينظر: لسانيات النص: ليندة قياس: ٢٨.

*) في كتاب علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق في : ج٢/ ٨٣-٨٤ ، عدَّ الدكتور صبحي إبراهيم الفقي المناسبة أحد وسائل الاتساقية، ويرى البحث أنّ المناسبة دُرِسَت في علوم القرآن وهي تعني الانسجام بالمفهوم الحديث كونها تبحث في الوسائل التي جعلت آيات القرآن الكريم مترابطة بعضها مع بعض.

المبحث الأول

الإحالة

أولاً: الإحالة بالضمير
ثانياً: الإحالة بأسماء الإشارة
ثالثاً: الإحالة بالاسم الموصول

مفهوم الإحالة:

يطلق على مفهوم الإحالة أكثر من تسمية فهناك من يسميها (الإعادة) ويريد بها الإحالة والتكرار معاً[١]، ومنهم من يسميها (المرجعية)[٢]، وتُعد عنصراً أساسياً يَعتمد عليه محلل النص لتبيّن اتساق النص، وهي من أهم الأدوات التي تحقق الاتساق؛ إذ "تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة"[٣]، إذ إن الإحالة من أكثر الوسائل الاتساقية أهمية في الربط بين أجزاء النص، بل إن أغلب الوسائل الأخرى تعتمد عليها أو داخلة فيها، ولا غلو إن قيل: إن نظرية الاتساق تعتمد بدرجة كبيرة وأساسية على مفهوم الإحالة ووظيفتها.

و الإحالة هي أُولى الوسائل التي قدَّمها اللسانيّون، وهي الأعمُّ بين كلّ الوسائل وأكثرها شيوعا في الكلام عموما، وهي - كما يرى البعض - خاصّيَّة تمتلكها جميع اللغات، إذ إنَّ مستعملي اللغة عند استعمالهم لها، يستعملونها في معنى محدَّد - ألا وهو التأويل أو التفسير الدلاليّ - ويعني ذلك أنهَّم يجعلون الإحالة على شيء آخر لغرض التأويل؛ أي: أنَّ ما يحيل على شيء ما في النصّ سابقا كان، أو لاحقا يساوي دلاليًّا ما أحال إليه، وإنَّ معنى المحيل معروف ومحدَّد لدى مستعملي اللغة، و أَنَّ المحال إليه يستعملها لغرض تأويل أو تفسير العنصر المحيل، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها[٤]، فالضمير مثلا إذا أحال على اسم ما فإنـه يكتسب تأويله من الاسم الذي أحال إليه، وكذا أسماء الإشارة وسائر أدوات الإحالة، وسيحاول البحث تتبع مفهوم الإحالة بوصفها من عناصر الاتساق النصّي وأدواتها وأنواعها ووظيفتها في جمل التذييل في النص القرآني.

إن كلمة (إحالة) في المعجم تدل على التَغَيْر والتغيير والتحويل في الجهة والتبعية والعدول بالكلام عن وجهه وإزالة الشيء والتحويل من موضع إلى آخر والتحرك والنقل[٥]، وهو بذلك لا يبتعد عن المعنى الاصطلاحي للإحالة إذ يُقصد بالإحالة "أن العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[٦].

---

١) ينظر: التحليل اللغوي للنص: كلاوس برينكر: ٣٨-٦٢.

٢) ينظر: علم اللغة النصي: د. صبحي إبراهيم الفقي: ١/١٢١.

٣) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٧.

٤) ينظر: نفسه : ١٧.

٥) ينظر: العين: مادة (حول): ١/ ٢٣٤.وينظر: الجيم: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني:مادة (أحال): ١/ ٣١- ٣٥. وينظر: تهذيب اللغة: مادة (حال): ٢/ ١٨٨. وينظر: لسان العرب: مادة (حول): ١١/ ١٨٤. وينظر: تاج العروس: مادة (حوقل) : ١/ ٧٠١٥. وينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: مادة (الحاء مع الواو وما يثلثهما): ٢/٤٨٩.

٦) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٦.

وقد ورد لفظ (الإحالة) فـي معجم المصطلحات الأساسية بأنها العلاقة أو "هي تعني العملية التي بمقتضـاهـا تحيل اللفظـة المستعملـة علـى لفظـة مـتقدمـة عليهـا، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، وصورة الإحالة استعمال الضمير ليعود على اسم سابق، أو لاحق لـه بدلاً من تكرار الاسم نفسه"[١].

ويعرّفها أحد الدارسين بأنها "علاقات بين عناصر السياق اللغوي بمستوييه الشكلي والدلالي على مستوى الجملة والنص بأسره وارتباط تلك العناصر بالعالم الخارجي فيرتبطان ارتباطاً سببياً، قصد المنشئ بها تماسك النص واتساقه، وفسح المجال للمتلقي للقراءة والتأويل"[٢].

وتطلق تسمية العناصر الإحالية - حسب الأزهر الزناد - "على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك"[٣]، وبها تترابط أجزاء النص مع بعضها ببعض فتؤدي اتساق النص ويتصل "النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يمتلك نفوذاً داخل النص(...)، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي وسياق النص"[٤]، ولذلك عُدّت الإحالة علاقة "بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يُدَل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص[٥]، وبهذه الوظيفة تجعل النص متسقاً.

والإحالة كما عبر عنها بعض الدارسين ؛ هي تلك العلاقة الدلالية التي" تشير إلى عملية استرجاع المعنى الإحالي في الخطاب مرة أخرى، فيقع التماسك عبر استمرارية المعنى"[٦].

وطبيعة هذه العلاقة دلالية تقتضي التطابق بين العنصر المُحيل والعنصر المُحال عليه من حيث الخصائص الدلالية[٧]، إذ إنّ العناصر المحيلة لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل بل تكتسي دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه لذا وجب قياسها "على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميّز بالإحالة على المدى البعيد"[٨]، وهناكَ قيدٌ دلاليٌّ تَخضَعُ

١) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: د. نعمان بوقرة: ٨١.
٢) الإحالة في القرآن الكريم: ١٧.
٣) نسيج النص: ١١٨.
٤) تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، فتحي رزق الخوالدة، (رسالة ماجستير): ٤٥.
٥) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.
٦) علم لغة النص: النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد: ١١٩.
٧) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٧، وينظر: نظرية علم النص: حسام أحمد فرج: ٨٤.
٨) نسيج النص: الازهر الزناد: ١١٨.

الإحالة إليه، هو "وجوب تطابق الخصائص الدلالية للعنصرِ المحيل والعُنصر المُحال إليه، ويُلاحظُ أَنَّ هذا التطابق يتمُّ بصرفِ النظرِ عن موقعِ المحال إليه بالقياسِ إلى المحيل، سواءٌ كان سابقاً عليه أو لاحقاً له"[١].

وتقسم الإحالة إلى أنواع مختلفة اعتمادا على موقع العنصر الإشاري؛ فإذا كان العنصر الإشاري خارج النص سميت الإحالة بالمقامية أو الخارجية، وإذا كان داخل النص سميت الإحالة بالنصية أو الداخلية[٢]، الداخلية[٢]، والإحالة أنواع هي[٣]:

١- إحالة مقامية: وهي تكون إحالة إلى خارج النص[٤]، وتتم بـ "إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم"[٥]، وأن "ما يُعد أساسياً بالنسبة لكل حالة من الإحالة هو؛ وجود عنصر مفترض ينبغي أن يستجاب له، وكذا وجوب التعرف على الشيء المحال إليه في مكان ما"[٦]، إلا أن الإحالة المقامية تختلف عن الإحالة النصية في كون الأولى؛ "تساهم في خلق النص، لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم فـي اتّساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال فـي اتّساق النص"[٧].

٢- إحالة داخل النص أو (داخل اللغة): وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سابقة كانت أم لاحقة؛ فهي إحالة نصية؛ وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمناً، وهذه تنقسم بدورها على قسمين[٨]:

أ- الإحالة القبلية (إحالة على سابق): وهي إحالة على السابق أو إحالة بالعودة: وهي تعود على (مفسِّر) سبق التلفظ به[٩]؛ وفيها يجري تعويض لفظ المفسِّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد يرد المضمر، وفيها تستعمل كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

ب- الإحالة البعدية (إحالة على لاحق): وتكون فيها كلمة ما بدلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص[١٠]، و"أبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها (ضمير الشأن)"[١١]، وهي إحالة على

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٧.
٢) الإحالة في القرآن الكريم من خلال التحرير والتنوير: الزهرة توهامي: ٢.
٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١٢٥. ، وينظر: لسانيات النص النظرية والتطبيق: ٩٩-١٠٠. ، وينظر: تفسير من وحي القرآن دراسة في ضوء علم اللغة النصي: ٩٦. ، وينظر: نسيج النص: ١١٨-١١٩.
٤) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي، ١٧.
٥) نسيج النص: ١١٩.
٦) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٧.
٧) نفسه: ١٧ - ١٨.
٨) نسيج النص: ١١٨.
٩) نحو النص: أحمد عفيفي: ١١٧.
١٠) ينظر: نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٠٦.
١١) علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم الفقي : ١/ ٤٠.

اللاحق: وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها[١]، وإن الأدوات التي تحيل إلى إلى داخل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها لا على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر، فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها[٢].

وتتفرع (أدوات الاتّساق الإحالية)[*] إلى ثلاثة أنواع: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة[٣]، الموصولة[٣]، وسيتناولها البحث على هذا الترتيب المشار إليه:

١) نحو النص: أحمد عفيفي: ١١٧.

٢) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: د. عزة شبل محمد: ١١٩.

*) أشار كلّ من هاليداي ورقية حسن إلى أدوات الإحالة تحت عنوان (أدوات الاتساق)، أمَّا روبرت دي بوجراند فأطلق عليها تسمية (الألفاظ الكنائية)، وهذه التسمية اعتمدها، د. تمام حسان في مؤلفاته، واعتمد د. سعيد البحيري عنوانًا لها (صيغ الإحالة)، أمَّا د. الأزهر الزناد فسماها (العناصر الاحالية) وعدّ بعضها من قبيل المعوضات؛ لأنها تأتي عن وحدات معجمية التي سماها (العناصر الاشارية) وقد فضَّل البحث اعتماد لفظة (الأدوات) تماشيا مع بعض الآراء في استعمال هذا المصطلح، نتيجة لِما تحققه هذه اللفظة من معنى الربط بين الكلام أو الدلالة على معنى في غيرها، إذ تطلق لفظة (الأدوات)على ما هو مشترك في المعنى والعمل، فهي تضم ألفاظا ليست من جنس واحد، فلكلِّ أداة من أدوات الاحالة قواعدها وخصائصها ولذلك نجد هذا الاستعمال موافقا للواقع. [ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٦، وينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠، وينظر: البيان في روائع القرآن: ٧/٢، وينظر: أساسيات علم لغة النص: ٢٤٨، وينظر: نسيج النص: ١١٨.]

٣) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٨.

أولاً: الإحالة بالضمير:

وتُعدُّ الضمائر من أبرز أدوات الاتّساق الإحالية؛ لأنها نائبة عن الكلمات والعبارات والجمل المتتالية، فضلاً عن وظيفتها كونها تربط بين أجزاء النص المقامية أو المقالية القبلية أو البعدية[١]، والضمائر أهم أدوات الاتّساق الاحالية، إذ هي أشبه بالخيط الذي تنتظم فيه حبات العقد، ولذلك لابد من أن يتحد المرجع مع الضمير حتى يتم الاتساق ويتحقق ذلك عبر جانبين أساسيين، هما؛ الجانب الموضوعي، والجانب الشكلي.

فمن حيث الموضوع يؤدي الضمير "إلى عدم تفكك النص الواحد فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أن المتحدَث عنه في بداية الكلام - على سبيل المثال - هو نفسه في وسطه أو آخره، وهو في الوقت نفسه، جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص"[٢]، ولا يخلو نص من وجود الضمائر، لذا قيل: إنّ "الضمائر أشهر نوع من الكلمات الكنائية"[٣].

وقد تكون دلالة النص غامضة في بعض الأحيان، والضمير هو الذي يوضحها من خلال التعرف على المرجع الذي يحيل إليه، وبهذا يجمع ما تناثر من عبارات وجمل ليربط بينها[٤]، وإنّ الأمر الذي جعل الضمائر الشخصية بهذه الأهمية في اتساق النص هو أن الضمائر الشخصية الأخرى تحيل إلى أشياء معروفة فضمائر المتكلم وضمائر المخاطب تحيل إلى طرفي المحادثة، وهما معروفان غالباً؛ إذ لا يمكن تصور محادثة ما، من دون حضور هذين الطرفين أو تصورهما، وعلى هذا الأساس فان ضمائر الغيبة "مع غيرها من الوسائل تكوّن نسيجاً نصياً عالياً... لذا إن ظهرت الضمائر فإنها لا تشير إلى أناس وأشياء فقط، بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق"[٥].

بذلك يتبين إن للضمائر دور مهم في ظاهرة الربط الاحالي في النصوص وذلك بحسب طبيعة الضمائر، وتنقسم الضمائر إلى؛ "الضمائر الوجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن،...، وإلى ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا..."[٦].

يضاف إلى ذلك أن الضمائر ذات أهمية بالغة في ربط وتماسك النص لأنها "تدل دلالة وظيفية على مطلق غائب أو حاضر، فهي لا تدل على مسمى كما تدل الأسماء؛ فإذا أُريد لها أن تدل عليه؛ فتنقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية، كان ذلك بواسطة المرجع، فدلالتها على المسمَّى لا تتأتى إلا بمعونة

---

١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي ابراهيم الفقي : ١/ ١٣٧.
٢) من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف): ٥٧.
٣) النص والخطاب والاجراء: ٣٢١.
٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي ابراهيم الفقي : ١/ ١٦٢.
٥) ينظر: الاحالة دراسة نظرية: شريفة بلحوت: ١٥٠.
٦) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٨.

الاسم... لا شكَّ أن الضمائر تلعب دورًا هامًّا جدًّا في علاقة الربط، فعودها إلى مرجع يغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه"[١]، وهذا يؤدي إلى تماسك النص، وأن أهمية الضمائر تكمن في ما تحققه من اتّساق في النص من خلال نيابتها عن الأسماء، وما تقوم به من ربط بين أجزاء النص المختلفة[٢]، والضمائر عناصر لغوية تحتاج إلى مفسِّر تعود عليه، يوضحها ويكشف عن مدلولها، وهي أكثر الأدوات الإحالية فعالية في تماسك النص[٣].

وهذا ما أشار إليه هارفج، أن "الإضمار يضمن بعد تحققه وحدة سياق النص؛ بل إن سلاسل الإضمار حسب نظريته الأساسية هي الوسيلة الحاسمة في بناء النص، لذلك يعرف النص بأنه وحدات لغوية متتابعة مبنية بسلاسل إضمار متصلة"[٤]، فإن الإحالة الداخلية وحدها هي التي تؤدي وظيفة التماسك، وأن التطابق بين الضمير ومرجعه يُعيِّن على ترابط أجزاء النص، وانسيابه؛ لذا تبدو الحاجة ملحة في البحث عن وسيلة لإزالة اللبس ليس في مرجعية الضمير فحسب، بل في مواضع أخرى قد يستعان فيها بالضمير في رفع الإبهام، وتوضيح المقصود، و"المعاني التي تحملها الضمائر من ثلاثة أنواع هي:- النوع (التذكير والتأنيث)- العدد (الافراد والتثنية والجمع) - الوضع(التكلم والخطاب والغيبة) وهذه المعاني مما يتوقف عليه فهم الضمير في الخطاب"[٥]، وأن الضمائر أشهر نوع من أنواع الكلمات الكنائية، ويشاركها في الإحالة بصفة عامة ما يوجد في النص من أسماء[٦]، فالعنصر الاشاري يحكم عمل الضمائر ووجودها، والضمير عادة يفسِّره ظاهر يتقدم عليه، خاصة ضمائر الشخص، فلا يجوز الإضمار إلا بعد معرفة من السامع، والمضمر يشبه الحرف في أنه لا يستبد بنفسه أو أنه يدل على معنى في غيره، وبذلك يُعد المضمر جزءاً من المظهر[٧].

وسيتناول البحث الإحالة بالضمير الدال على الغيبة بنوعيها؛ الإحالة القبلية والإحالة البعدية في جمل التذييل في القرآن الكريم والوقوف على وظيفة الإحالة بالضمير وبيان اتّساق النصّ من خلالها ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]، ففي الآية الكريمة تذييل هو ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فيه أكثر من إحالة ضميرية على السابق، أي: إحالة قبلية مما يسهم في ترابط النص واتّساقه.

---

١) اللغة العربية معناها ومبناها: د. تمام حسان: ١١٣.
٢) ينظر: علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم الفقي: ٢/ ١٣٧.
٣) ينظر: نسيج النص: ١١٧ – ١١٨.
٤) مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من وديترفيهفيجر: ترجمة: د. فالح بن شبيب العجمي: ٢٧.
٥) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم: د. تمام حسان: ٣٥.
٦) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ٣٢١.
٧) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية: سعيد حسن بحيري: ٩٧.

ويُلحظ أن ثمة ضمائر متعددة في جملة التذييل تعود أو تحيل إلى مرجعية سابقة في صدر الآية فهي: (الضمير المستتر - فاعل يحكم، والضمير- هم - في كلمة بينهم، و- واو الجماعة في كلمة كانوا، و- الهاء - في كلمة فيه، و- واو الجماعة - في كلمة يختلفون) فالضمير المستتر يحيل إلى لفظ الجلالة (الله) تعالى والضمير (الهاء) المجرور بحرف الجر (فيه) يحيل إلى الاسم الموصول (ما) المجرور بحرف الجر هو الآخر وباقي الضمائر التي في جملة التذييل تحيل إلى مجموعة محددة من الناس، وجميعها إحالات على السابق إحالة قبلية، فالضمير (هم) في (بينهم) يحيل إحالة قبلية على الفرق الثلاثة السابقة الذكر في صدر الآية، إذ جاء في تفسير الآية الكريمة أن "الضمير المجرور بإضافة (بين) راجع إلى الفرق الثلاث و(ما كانوا فيه يختلفون) يعم ما ذكر وغيره والجملة تذييل"[١].

وذكر المفسرون عن الإحالة بالضمير في (بينهم) أن مرجعيته لا تعود على اليهود والنصارى فحسب، بل تشمل الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون والمسلمين كذلك؛ "﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي بين اليهود والنصارى يوم القيامة (...)، يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار، ويجوز أن يرجع الضمير إلى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإلى المسلمين، ويحكم بين المحق والمبطل فيما اختلفوا فيه، فينتصر من الظالم المكذب للمظلوم المُكذَب، أو يريهم من يدخل الجنة عياناً ويدخل النار عياناً"[٢]، ومما أشار إليه النيسابوريّ في كلامه السابق بجواز رجوع الضمير إلى الكافرين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وإلى المسلمين، تتبين أهمية الإحالة بالضمير (هم) وليس غيره من الضمائر ليشمل جميع المخالفين وهذا لا يتحقق من دون الضمير (هم)، إذ إنّ وظيفة الإحالة في النص أنها تشير إلى ما سبق، والتعويض عنه بالضمير؛ تجنباً للتكرار فتُحقق بهذا الاقتصاد في اللغة [٣]، والتطابق بين عنصري الإحالة الإحالة وقد أحال الضمير (هُم) إلى النواة الرئيسة في النص - المُعبَّر عنه - بجملة (قَالَتِ الْيَهُودُ... وَقَالَتِ النَّصَارَى... كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) والقصد هم الكفار؛ لأنَّ سياق الحديث انقطع عن الاسم الظاهر بإنابة الضمير (هم) عن هذا الاسم، فكانت نسبة تحقيق الاتساق النصي كبيرة بَرزَتْ على فقرات النص بشكل واضح من خلال الابتعاد عن التكرار الذي لا يقصد به هنا غاية أسلوبية، وتختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الاشارية، وتُجنب مستعملها إعادتها عن طريق "الذاكرة البشرية، التي يمكنها أن تختزن آثار الألفاظ السابقة، وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها"[٤]، وعلى هذا تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص[٥]، كذلك ضَمَّ النص في الوقت نفسه ضميراً آخرَ هو الضمير المتصل بحرف الجر في (الهاء) فجاءَ دالاً على اعتقادهم الذي أَزال وجوده إبهام ضمير الغيبة وغموضه.

---

١) التحرير والتنوير: ابن عاشور: ١/ ٤٤٥. وينظر: التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي: ١/ ١٩٠.

٢) تفسير النيسابوري: ١/ ٣٠٤.

٣) ينظر: علم لغة النص: النظرية والتطبيق: د. عزة شبل محمد: ١٢٠.

٤) نسيج النص: الأزهر الزناد: ١٢١.

٥) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٧١-٧٢.

وهنا يتضح أثر الإحالة في اتّساق النص، إذ إن الإحالة بالضمير تُغني عن إعادة أو تكرار الألفاظ، لأن الإحالة تحقق الاختصار في النص السابق، ويتجه هذا النص من القرآن الكريم في تتابع لفظي أبرزته الإحالة الضميرية؛ إذ يحيل إلى مرجعيات لفظية صريحة وأخرى مستترة يفسرها التركيب النحوي ضمن إطار النظم النصي العام، فتحدد لنا صيغ الغائب (هو) و(هم) غياباً حقيقياً تتطابق صورته السمعية مع المرجعية القبلية وهذا يجلي حقيقة ضمير الغائب (هم) ويتآزر معه ضمير الغائب (الهاء)؛ إذ مثّلا عنصران أساسيان في تكوّن وحدة المعنى الدلالية وائتلاف المعاني الجزئية داخل النص، إن اللجوء إلى الإحالات المتعددة قد أعطى النص حيوية واستمراراً، ذلك أنّ هذا النوع من الإحالة يعلن عن وجود صورتين مستمرتين في النص ما يولد حركة تفاعلية بين الصورتين، فكانت جملة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ...) بؤرة مركزية في النص ارتبطت بها كل الجمل اللاحقة؛ إذ كانت فكرة (نقض دين الآخر) المرتكز الذي تدور حوله مكونات النص، فدَلَّ هذا التوازي بين ضميرين وجوديين أحدهما مفرد والآخر دال على الجمع، على عمق الترابط من خلال تحكُّمه في النص وبنائه، فأحدثَ الثبات اللازم لمتابعة المتلقي لأحداث الخطاب والتواصل مع المُتحَدِّث.

وقد حقق الضمير (الغائب) فـي هـذه المواطن أثره في الربط بين أجزاء النص، فـ "بناء النص على هذا الشكل واعتماده على ضمير شخصي... بهذا القدر يبين قدرة الضمير على تطويع الجزئيات المتناثرة التي كانت أفكاراً مجردة بعيدة عن الترويض والتواصل وجعلها نسيجاً موحداً منتظماً"[١]، وتلك ملاحظة تنبّه إليها (جوفري ليتش وميخائيل شورت) إذ قالا: "إنّ الاتساق يتضمن- بشكل مستمر- مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا، متقين - بذلك - التعبير المكرر عن الأفكار المعادة"[٢]، وعليه فقد أسهم الضمير في اتساق النص وتماسكه؛ وذلك من خلال البعد عن التكرار الذي لا يقصد به هنا غاية أسلوبية؛ إذ قامت الإحالة بضمير الغيبة باختزال العنصر (الاشاري) الذي لو تكرر في النص بدل ضمائر الغيبة لكان ذلك سبباً في ضعف النص وهلهلته.

ومن الإحالة البعدية بالضمير ما يتحقق من خلال ضمير الشأن إذ إنّ له استعمالاً خاصاً، قال ابن يعيش: "اعلم أنهم إذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير وتفسيراً له ويوحدون الضمير لأنهم يريدون الأمر والحديث، لأن كلّ جملة شأن وحديث، ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم"[٣]، وأنه كناية عن الجملة بعده، وتكون الجملة خبراً له وتفسيراً، وفيه توكيد للمحال إليه، وعودتـه على الظاهر اللاحق تفسير وتوضيح[٤]، كمـا في قولـه تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

١) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١١٠.
٢) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢٨.
٣) شرح المفصل: ٣ / ١١٤.
٤) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية: سعيد حسن بحيري: ١٠٩.

الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، فقد ورد في الآية تذييل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وهو معلل لما قبله، وأن الضمير(الهاء) في (إنّه) يحيل إحالة بعدية على الجملة بعده.

وقد يَقصد المتكلم تعظيم مضمون كلامه قبل النطق به، فيُقدم ضميرًا كضمير غائب يسمى ضمير الشأن، (...) ويجعل الجملة بعده متممة لمقتضى العامل"[١]، وفي البداية قد تضمنت الآية الكريمة على إحالات نصية داخلية في (إنه، هو) ومجيء الضمائر في جملة التذييل وفيهما إحالة على السابق (ربه) وإحالة على اللاحق (هو– التواب الرحيم) كل هذا قد شكل منظومة ربط ذيل الآية بصدرها من خلال الإحالة بالضمائر وهذه الإحالة على السابق وعلى اللاحق في النص من خلال اجتماع ضمير الشأن مع ضمير الفصل(هو)قد حققت الاتّساق في النص من دون تكرار الأسماء، مما يفهم أن الأمر يتعدى الجانب الشكلي والجمالي، بل يحقق وظيفة الربط والتوكيد وأشار بعضهم إلى وظيفة التهيئة؛ أي تهيئة (إنَّ، أن) للدخول على الجملة[٢]، وأن "التلقي للكلمات كان: (مِن رَّبِّهِ)...، ويلاحظ: أن هذه الكلمات قد تلقاها آدم عليه السلام من موقع الربوبية التي توحي بالرعاية والتنشئة الحريصة على مصلحته، والمهتمة بحفظه على وفق الحكمة، والتدبير الصحيح، وتحت رعاية عين العلم الثاقبة والنافذة إلى الأعماق، والمحيطة بأسرار كل هذا الوجود، ومن هنا نجده تعالى يقول:(مِن رَّبِّهِ)... ولم يقل من الله... ولا بد أن تكون الكلمات المذكورة كلمات عظيمة، تلمح إليه كلمة التلقي، كذلك يشير إليه تنوين التنكير الذي جيء به – في ما يظهر – لإفادة التعظيم، بالإضافة إلى كونها آتية إليه من جانب العزة الإلهية، والفيض الربوبي، الذي ينتظره، وهو في أمس الحاجة إليه، بعد أن حدث له ما حدث"[٣].

وهكذا تكون الإحالة بالضمائر على السابق أو اللاحق، وتقوم الضمائر بأكثر أدوار الإحالة" وتكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية؛ فقد يحل ضمير محل كلمة، أو عبارة، أو جملة، أو عدة جمل"[٤]، ومن الأثر الدور الإحالي النصي للضمائر يظهر أثر تقسيماتها، فتقسيمها إلى ضمائر ظاهرة ومستترة، ومن حيث الاتصال؛ إلى منفصلة ومتصلة، ومن حيث المدلول؛ إلى ضمائر الحضور والغيبة، ومن حيث الجنس؛ إلى مذكر (هو)، ومؤنث (هي)، ومن حيث العدد؛ إلى الافراد والتثنية والجمع، مما يجعلها قادرة على تخصيص العنصر الاشاري المحال عليه بدقة أكثر من الاسماء الإحالية، كأسماء الاشارة مثلا[٥]، وكما تُحقق الضمائر الاتّساق في النص دون تكرار الأسماء، فإنها تسهم في ربط الجمل دلالياً، ووظيفة الإحالة لا تقتصر على الاتّساق الشكلي بين الجمل، بل هي علاقة وظيفتها الاساسية دلالية إذ إن الضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل، ومن الباحثين من جعل

---

١) شرح الكافية الشافية: ابن مالك: ١ / ٢٣٤.

٢) ينظر: الضمائر في اللغة العربية: ١٤٢.

٣) براءة آدم حقيقة قرآنية: ٨ /٣- ١٣.

٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : صبحي ابراهيم الفقي : ١/ ١٣٧.

٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٢/ ١٠٩٨.

الإحالة رابطاً دلالياً يربط العناصر المتباعدة للنص[1]، وبتأمل النص السابق، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ نجد أن "التوبة أصلها الرجوع وإذا أسندت إليه سبحانه كانت عبارة عن قبول التوبة والعفو عن الذنب ونحوه (...)، وأتي بضمير الفصل وعرف المسند وأتى به من صيغ المبالغة إشارة إلى قبول التوبة كلما تاب العبد، ويحتمل أن ذلك لكثرة من يتوب عليهم، وجمع بين وصفي كونه تواباً وكونه رحيماً، إشارة إلى مزيد الفضل، وقدم التواب لظهور مناسبته لما قبله، وقيل في ذكر الرحيم بعده إشارة إلى أن قبول التوبة على سبيل الترحم والتفضل"[2]، والإبهام في الضمير إنما يزول بجملة تستعمل في مواضع تفخيم الشأن وتعظيم الأمر، وهذا ما تحقق بوجود هذا الضمير، وجاء أيضا في تفسير هذا النص الكريم" وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ تذييل وتعليل للجملة السابقة وهي ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، لأنه يفيد مفادها مع زيادة التعميم والتذييل من الإطناب كما تقرر في علم المعاني ومعنى المبالغة في التواب أنه الكثير القبول للتوبة"[3].

وذهب بعض المفسرين إلى أن عِلّة مجيء اسم من أسماء الله تعالى في ذيل الآية إلى أنه "تعليل فعله تعالى بشيء من أسمائه وصفاته المناسبة له كتعليله تعالى مضامين كثير من الآيات"[4]، وإن الربط الحاصل بين جملة التذييل ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ وصدر الآية الكريمة يكون من خلال الإحالة بالضمائر أي عود الضمير (الهاء) في (إنه) على كلمة (رَبِّ) في صدر الآية ومجيء لفظة (رَبِّ) لما تضمنه من دلالة العناية واللطف والرعاية الربانية للنبي (آدم) عليه السلام ومجيء الضمير (الهاء) متصلاً بكلمة (الرب) كل هذا يُنبيء ويشير إلى قرب آدم عليه السلام من الحضرة القدسية وشموله باللطف الإلهي، ثم جاء الضمير الآخر (الهاء) في (إنه) وقد أُكد بضمير الفصل (هو) الذي جاء لتوكيد القصر الحقيقي[5]، فضلاً على دلالة صيغة المبالغة في لفظ (التواب) مشفوعاً بصفة (الرحيم) ليكون النص متسقاً في شكله الظاهر ومن ثَم محققاً انسجامه مع مضمون النص في سياقه العام وهو بيان الرعاية الإلهية لآدم عليه السلام.

ويُلحظ أن النص يوجه الخطاب للمتلقي فيجعله في تشوق لمعرفة الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلام فهذا تفخيم وتعظيم لأمر يشدَّ الأذهان إلى الخبر لم يكن ليتحقق لولا وجود ضمير الشأن، فكان الإبهام الذي تتشوق النفس لإزالته يحتاج إلى جملة تفسّره وتوضح معناه، وذلك باستعمال هذا الضرب من صور الضمير، مما أفاد دلالة تفخيم الأمر وتعظيم شأن الخبر؛ ذلك أنَّه عندما يطرق ذهن السامع الخبر لأول وهلة يذهب به كل مذهب ويوقعه في حيرة وتفكر فتأتي الجملة لتزيل الإبهام عن المقصود.

---

١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : صبحي ابراهيم الفقي : ١ / ١٦٤.

٢) تفسير الألوسي: ١/ ٢٨١.

٣) التحرير والتنوير: ١/ ٢٤٣.

٤) الميزان في تفسير القرآن : ١٩ /٤٧.

٥) ينظر: معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائيّ: ١/ ٥٢.

وكذلك لو تأملنا دور الضمير في جملة التذييل في ربط النص واتساقه من خلال الإحالة البعدية بضمير الشأن كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:٢١]، فالضمير(الهاء) يحيل إحالة بعدية على جملة (لا يفلح الظالمون)، فهي التي تفسره، وفي هذه الحالة تنتقل دلالة الضمير من الإحالة على الاسم الظاهر إلى الكناية عن مضمون الجملة التي بعده[١]، وتؤدي الجملة بعده وظيفة تفسيره، ويسمى في هذه الحالة عند النحاة بـ (ضمير الشأن)[٢]، و"تقوم الإحالة الضميرية من خلال وظيفة ضمير الشأن بربط الكلام السابق باللاحق"[٣]، وجاء في الطراز: "إن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله، إنما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة، وتفخيم شأنها، وتحصيل البلاغة فيه، من جهة إضماره أولاً، وتفسيره ثانياً، لأن الشيء إذا كان مبهما فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوّق إليه"[٤]، وهذا الكلام إنْ دل على شيء فإنما يدل على اتّساق النص وترابطه وتواصل السامع مع النص وفي هذه الآية فقد أفاد الضمير العناية بهذا الخبر عناية تحقيق كما ذهب لذلك ابن عاشور: "وجملة: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تذييل، أي: إذا تحقّق أنّهم لا أظلم منهم فهم غير مفلحين، لأنّه لا يفلح الظالمون فكيف بمن بلغ ظلمه النهاية، فاستغنى بذكر العلّة عن ذكر المعلول، وموقع (إنّ) في هذا المقام يفيد معنى التعليل للجملة المحذوفة،... وموقع ضمير الشأن معها أفاد الاهتمام بهذا الخبر اهتمام تحقيق لتقع الجملة الواقعة تفسيراً له في نفس السامع موقع الرسوخ"[٥]، فابن عاشور يبين دور الإحالة في إبراز الخبر والاهتمام به، وتأثير هذه الإحالة على السامع وتمكّنها من نفسه.

وإن ضمير الشأن يكون بلفظ الإفراد والغيبة كما في الآية السابقة وقد يؤنث لما بعده، وقد يتعدد مرجع الضمير عند بعض المفسرين كما في " ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ أي: لا أظلم ممن تَقَوَّل على الله، فادّعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته، ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يفلح هذا ولا هذا، لا المفتري ولا المكذب"[٦]، و"أنه تعالى لما حكم على أولئك المنكرين بالخسران في الآية الأولى بيّن في هذه الآية سبب ذلك الخسران، وهو أمران: أحدهما: أن يفترى على الله كذباً، وهذا الافتراء يحتمل وجوهاً...، والنوع الثاني: من أسباب خسرانهم تكذيبهم بآيات الله، والمراد منه قدحهم في معجزات محمد (صلى الله عليه وسلم)، وطعنهم فيها

---

١) ينظر: شرح المفصل: ٢/٣٣٥.

٢) ينظر: شرح جمل الزجاجيّ: ابن عصفور: ٢ /٩٨. وينظر: ضمير الشأن في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية، عمار نعمة الزياديّ، مجلة جامعة كربلاء، مج ٤، ع ٣، ايلول ٢٠٠٦م، ٢٣٨.

٣) الإحالة في القرآن الكريم من خلال التحرير والتنوير: الزهرة توهامي: ٣.

٤) الطراز: العلوي: ٢/١٤٢.

٥) التحرير والتنوير: ٤/ ٣٩٠.

٦) تفسير القرآن العظيم: ٣ / ٢٤٥.

وإنكارهم كون القرآن معجزة قاهرة بينة، ثم إنه تعالى لما حكى عنهم هذين الأمرين قال: ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون﴾ أي: لا يظفرون بمطالبهم في الدنيا وفي الآخرة بل يبقون في الحرمان والخذلان"[١]، وجاء فيها أيضا"(إِنَّهُ) الضمير للشأن، ومدارُ وضعه موضعَه ادِّعاءُ شهرتِه المُغْنية عن ذكره، وفائدةُ تصديرِ الجملة به الإيذانُ بفَخامة مضمونِها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فإن الضمير لا يُفهم منه من أول الأمر إلا شأنٌ مُبهمٌ له خطرٌ فيبقى الذهن مترقباً لما يعقبُه فيتمكّن عند وروده له فضلُ تمكُّنٍ فكأنه قيل: إن الشأن الخطيرَ هذا هو ﴿لاَ يُفْلِحُ الظالمون﴾ أي لا ينجُون من مكروهٍ ولا يفوزون بمطلوب، وإذا كان حالُ الظالمين هذا فما ظنُّك بمن في الغاية القاصيةِ من الظلم"[٢]، وإلى مثل هذا الرأي ذهب الألوسي؛"(أَنَّهُ) أي الشأن، والمراد أن الشأن الخطير هذا وهو (لاَ يُفْلِحُ) أي لا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مكروه (الظالمون) من حيث إنهم ظالمون فكيف يفلح الأظلم من حيث إنه أظلم"[٣]، و"لما كان التقدير: خسروا ففاتهم الإيمان، لأنهم ظلموا بكتمان الشهادة، فكان الظلم سبب خسرانهم، فمن أظلم منهم، عطف عليه ما يؤذن بأنهم بدلوا كتابهم، أو نسبوا إليه ما ليس فيه، فقال واضعاً للظاهر موضع ضميرهم لذلك: ﴿ومن أظلم ممن افترى﴾ أي تعمد ﴿على الله كذباً﴾ كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا إلى الله ما لم يقله، زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل ها، إضلالاً منهم لعباده ﴿أو كذب بآياته﴾ أي الآتي بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات كالمشركين، لا أحد أظلم منهم فهم لا يفلحون ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي فكيف بالأظلمين"[٤].

وضمير الشأن "على اختلاف أحواله، إنما يراد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها، وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً، وتفسيره ثانياً، لأن الشيء إذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه"[٥]، وهو الضمير الذي لم يتقدمه ما يعود عليه[٦]، وهذا ما وظّفّ ضمير الشأن له في هذه الآية فقد أفاد العناية بهذا الخبر عناية تحقيق، لتقع الجملة التي بعده تفسيراً له في نفس السامع موقع الرسوخ[٧]، وتعد هذه الإحالة بضمير الشأن في جملة التذييل من نوع الإحالة البعدية فالضمير (الهاء) في إنه، يحيل على جملة (لا يفلح الظالمون)، فهي التي تفسره، وهنا تنتقل دلالة الضمير من الإحالة على الاسم الظاهر إلى الكناية عن مضمون الجملة التي بعده ودور الجملة التي بعده تفسيره.

---

١) التفسير الكبير: ٦/ ٢٤٦.
٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/٣٤٣.
٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٥/٢٧٣.
٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣/٣٧.
٥) الطراز : ٢/ ٧٦.
٦) ينظر: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية: د. محمد ابراهيم عبادة: ١٨٣.
٧) ينظر: التحرير والتنوير: ٧ / ١٧٢.

ثانياً: الإحالة باسم الإشارة:

أسماء الإشارة ألفاظ تدلّ على وجود شيء حاضر محسوس وهذا هو الأصل في استعمالها، فالأصل ألا يشار بأسماء الإشارة إلى الأشياء المعنوية والعقلية إلاَّ على سبيل المجاز، وإلى ذلك ذهب الرضيّ، بقوله: "إنَّ استعمال اسم الإشارة يكون مجازيا فيما لا تدركه الإشارة الحسية كالشخص البعيد والمعاني؛ ذلك بأن تجعل الإشارة العقلية كالحسية فيحتاج اسم الإشارة حينئذ إلى مذكور قبله، فيكون كالضمير راجع إلى ما قبله"[١].

ونجد أن الرضيّ قد لاحظ الربط بين أسماء الإشارة والضمائر في الإحالة، والعودة إلى مرجع متقدم يحتاج إليه كل واحد منهما؛ لربط أجزاء القول والجمل النصية لتحقيق التماسك، وكذلك إشارته إلى استعمال هذه الأسماء في التعبير عن أشياء غير محسوسة، فهي ملمح مهم من الرضيّ ورؤية ثاقبة منه ومتقدمة.

فإذا كان التقسيم الذي اعتمدوه في تصنيف الضمائر هو الحضور والغياب، فإنَّ الأساس الذي اعتمدوه في تقسيم الإشارة هو المسافة إلى المشار إليه أي القرب والبعد، فذكروا مستويين في استعمالها: المستوى الأول: قريب يتمثل بـ (هذا) وفروعه ، أما المستوى الثاني فهو بعيد ويتمثل بـ (ذلك) وفروعه.

إنّ أسماء الإشارة ألفاظ يجتمع فيها الإبهام والتعريف، وقد سمّاها سيبويه (ت١٨٠هـ) الأسماء المبهمة فقال: "الأسماء المبهمة: هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء، وذلك،..."[٢]، وهذا الإبهام هو الذي جعل ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) يعدها من روابط الجملة[٣]، إذ إن أي إبهام في الجملة يجعل المتكلم يعمد إلى تفسيره ليكون الكلام واضحاً ويشد السامع أو المتلقي للكشف عن هذا الغموض أو الإبهام مما يجعل عملية التواصل مستمرة بين المتكلم والمتلقي، وهو الهدف من إنشاء الكلام، وإن هذا التناقض بين الإبهام والتعريف يزول؛ "لأنّ الإبهام الذي فيها وصفاً يرفعه الاستعمال تحققاً"[٤].

وتعدّ أسماء الإشارة في اللسانيات الحديثة الوسيلة الثانية من أدوات الاتّساق الإحالية وتنتمي إلى الكنائيات مثل الضمائر إذ "المقصود بالكنائيات: الضمائر والإشارات والموصولات"[٥]، فإذا كانت "الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فإن أسماء الاشارة... تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تُشير إليه"[٦]، إذ ترتبط أسماء أسماء الإشارة بالإبهام، وهذا الإبهام بحاجة لوجود ما يزيله فأسماء الإشارة لا تؤدي المعنى منفردة

---

١) شرح الرضي على الكافية: ٢/٤٦٨.
٢) الكتاب: ٢/٧٧.
٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري: ٥/ ٥٨٧.
٤) أصول تحليل الخطاب: ٢/١٠٦٩.
٥) مقدمة: النص والخطاب والاجراء: تمام حسان: ٣٢.
٦) نسيج النص: ١١٧ -١١٨.

وإنما تحتاج إلى مفسر أو موضح هو المشار إليه، فهي مثل الضمائر لا تفسَّر إحالتها إلا إذا ارتبطت بما تشير إليه و"إذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه فإن أسماء الإشارة (...) تحدّد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تماماً مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه"[١].

ويذهب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى "أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها، إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، وغدا...) والمكان (هنا، وهناك...)، أو حسب الحياد، أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...) أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا...)"[٢]، في حين صنفها أحمد عفيفي تصنيف آخر[٣].

وبغض النظر عن تصنيفاتها والإيغال في ذلك، فإن ما يجب التركيز عليه هنا الوظيفة الإحالية لأسماء الإشارة ودورها في تحقيق الاتّساق والتماسك في النص، وتُعدّ الإحالة الاشارية صورة من صور الإشارة اللفظية، لأن المتكلم يحدد المحيل عليه عن طريق تحديد مكانه من حيث القرب والبعد[٤]، وهي من العناصر اللغوية غير القائمة بذاتها بدليل إشارة المتكلم إلى كذا، ولابد من توافر أركانها، وهي المشير، والمشار إليه، والمشار له، بالمشار إليه وعبارة الإشارة: اللفظ الذي تحقق به، وعمل الإشارة: الحاصل معنى وخارجا من الإشارة[٥]، وتستعمل ضمائر الإشارة كروابط بين أجزاء النص، إذ تُعين "مستعملي النص على الاحتفاظ بالمحتوى... دون حاجة منه لإعادة ذكر كُلّ شيء بتفصيلاته"[٦].

ولأسماء الإشارة وظيفة مميزة في اتساق النص وترابطه؛ إذ تجسد عناصر الإشارة محطات اتساق واتصال في النص تصل بعضه ببعض، وتدخل في تشكيل الترابطات والعلاقات الداخلية التي تبني النص، ويتم فيها دمج مكوناته الداخلية والمعطيات المطروحة فيه"[٧]، فيستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط، فينقل معنى ما يسبقه إلى ما يلحقه ويكون تعويضا عن لفظ ، أو جملة، أو نص؛ وهذا الاستعمال يجعل من مدى الإحالة باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسّره، إلى نوعين[٨]:

أحدهما: إحالة ذات مدى قريب، وتجري في مستوى الجملة الواحدة.

والآخر: إحالة ذات مدى بعيد، وتجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص. وتستعمل

---

١) نسيج النص : ١١٧ -١١٨.

٢) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٩.

٣) ينظر: الإحالة في نحو النص: أحمد عفيفي: ٢٤ – ٢٥.

٤) ينظر: نسيج النص: ١٢٤.

٥) ينظر: نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٠٨.

٦) مدخل إلى علم لغة النص، الهام ابو غزالة وعلي خليل حمد: ٩٢.

٧) الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النّص): ورود سعدون عبد: ٨٠.

٨) ينظر: نسيج النص: ١٢٣-١٢٤،وينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٠،و ينظر: دراسات لغوية تطبيقية: سعيد حسن بحيري: ١٥٠ -١٥١.

ضمائر الإشارة بوصفها روابط بين أجزاء النص، إذ تُعين "مستعملي النص على الاحتفاظ بالمحتوى... دون حاجة منه لإعادة ذكر كُلّ شيء بتفصيلاته"[١].

أما الوظيفة الإحالية لأسماء الإشارة فتكون من خلال تحديد موضع العنصر الإشاري وهي مثل الضمائر يمكن أن تحيل على عنصر مفرد أو عناصر متعددة، إنَّ اختلاف وظائف أدوات الإحالة الإشارية وتعدد أنواعها يجعل منها مفصلاً أساسياً في عقدِ صلةٍ وثيقةٍ بين أجزاء النص، وجعلها متسقة ذات وسائل متلاحمة.

وتعدُّ الإحالةُ بأسماء الاشارة من بين أكثر عناصر الاتّساق انتشاراً في جمل التذييل في النصّ القرآني؛ لأنّها تدعم التحكّم في مسار الرسالة النصية المبثوثة مما ينشط ذاكرة المتلقي والتنقّل في فضاء النصّ، الأمر الذي يسهم في تماسك النصّ.

وكذلك يمتلك اسم الإشارة إمكانية الإحالة إلى أشياء متعددة وقد وردت أسماء الإشارة في جمل التذييل في القرآن الكريم على نحو كثير مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٧- ٧٠]، فنجد أن اسم الإشارة (أُولَئِكَ) قد أحال إلى أسماء متعددة (النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) وفي النص نفسه نجد أن اسم الإشارة (ذَلِكَ) قد أحال إلى خطاب سابق إذ إن أسماء الإشارة فيها إمكانية الإحالة إلى خطاب كامل .

وبذلك ربط اسم الإشارة بين الذي يطع الله والرسول والذين أنعم الله عليهم، وكذلك أغنى عن التكرار، والغاية من استعمال (أُولئك) دون غيرها من اسماء الإشارة لما تحمل من معنى التعظيم، وقد أفاد استعمال اسم الإشارة بُعداً دلالياً في التنبيه على جدارة المشار إليه بما بعده من أوصاف وتتمثل هذه الدلالة في "أن تذكر أوصافاً عديدة للشيء ثم تذكره باسم الإشارة جاعلاً ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً إلى هذا الاسم، واسم الإشارة هذا يفيد أن ما يرد بعده فالمشار إليه جدير به"[٢]، وهذا ما تحقق في في الآية.

ويمكن ملاحظة الأثر الذي تحققه أسماء الإشارة في اتساق النصّ في ضوء ما يحمله من المعاني الإضافية والمقاصد والدلالات الفنية بما تؤديه من معاني القرب والبعد والتوسط، وهذا التنوع في توظيف الاحالة الاشارية يكسب النص ثراءً فـي الدلالة والتأثير النفسي لما فيه من "قوة وتحديد وتعيين وإفراغ للنفس ممّا تحسّ به"[٣]، عبر التوظيف لأغراضه[٤]، التي تستشف من السياق والمقام الذي تأتي فيـه، إذ إذ "إنّ وفرة أسماء الاشارة التي تحيل إلى شيء داخلي في النص متأثرة بطبيعة النص؛ فهو مكتوب كتابة،

١) مدخل إلى علم لغة النص: الهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٩٢.
٢) خصائص التراكيب: ٢٠٦.
٣) من بلاغة النظم العربي: دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١/ ١٤٩.
٤) ينظر: معاني النحو: د. فاضل السامرائي: ١/ ٨٢-٨٣.

والنص المكتوب يتميز عن المنطوق عادة بوفرة أدوات التعليق بين وحداته، أو ما يسمى بعلامات ما وراء اللغة مثل: ذلك أن، وحتى إن وغيرها"[1].

ومن الإحالات الموسعة بـ (اسم الإشارة) على خطاب تام ما ورد في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٧- ١٣٨]، فإن اسم الإشارة (هذا) قد أحال إلى خطاب تام ويسمى هذا النوع من الإحالة بالإحالة الموسعة، وهي إحالة على خطاب سابق فإن مفسر اسم الإشارة هو الخطاب السابق وجاء اسم الإشارة مؤكد معنى مجموعة الجمل السابقة المعطوفة ويقوم بالربط بين الآية السابقة والآية التي يتصدرها اسم الإشارة وهي تذييل، وبذلك تتحقق وظيفة الاحالة الإشارية من الاختصار وعدم التكرار والربط بين أجزاء النص.

ويُلحظ؛ أن أسماء الإشارة تقوم بدور الربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة تحيل إحالة قبلية، أي: أنها تقوم بربط جزء لاحق بجزء سابق، لتسهم في اتّساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد ينماز من بينها بما يسميه البعض بـ (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو جمل عدة[2].

والإحالة الموسعة نوع من الإحالة يتمُّ بأدوات الإشارة، تقوم هذه الأدوات بسبك النصّ عن طريق الإحالة على السابق أو إلى اللاحق في النصّ، وتنماز هذه الأدوات بإمكانيةً الإحالة على جملة كاملة أو فقرة كاملة، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٥- ٥٨]، فنلحظ في هذا المثال أنَّ اسم الإشارة (ذلك) قد أحال على آيات سابقة في النصّ هي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، وما قبلها، فقد جاء في تفسير هذه الآية أنها "تذييل: فإنّ الآياتِ والذكر أعمّ من الذي تُلي هنا، واسم الإشارة إلى الكلام السابق من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وتذكير اسم الإشارة لتأويل المشار إليه بالكلام أو بالمذكورِ"[3].

وذهب إلى مثل ذلك بعض المفسرين في تفسير الآية بقوله: "اسم الإشارة وهو "ذلك" مشار به إلى المذكور من قصة آل عمران وقصة مريم وأمها، وقصة زكريا وندائه لربه، وقصة عيسى وما أجراه الله - تعالى - على يديه من معجزات وما خصه به من كرامات، أي: ذلك القصص الحكيم الذي قصصناه عليك يا محمد ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ أي: نقصه عليك متتابعا بعضه تلو بعض من غير أن يكون لك اطلاع

---

١) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ٢٤٢.

٢) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٩.

٣) التحرير والتنوير: ابن عاشور: ٣/ ١١٤.

سـابق عليه"[1]، يُلحظ مما سبق أن اسم الإشارة (ذلك) في جملة التذييل قد تطابق مع مفسره وقد اختزل مجموعة من الجمل، أو الآيات؛ فحقق بذلك ترابطاً نصياً من خلال اختزاله لتراكيب نحوية، لو ذُكِرت لتحمل النص عبء الركاكة والاختلال، ولكان تكرار.

وقد أسهمت الإحالة الإشارية في خلق الخاصّيَّة الاتّساقيَّة للنصّ عن طريق ربط أجزائه وقد تحيل هذه الأدوات أو بعضها على أكثر من جملة إذ إنَّ الحقّ تبارك وتعالى أشار إلى الكلام الذي هو في الآيات السابقة فمن الجلي هنا أَنَّ اسم الإشارة (ذلك) أحال على مجموعة جمل سابقة المتمثلة في الكلام السابق، ولا يخفى أَنَّ مثل هذه الأدوات لها هذه الخاصّيَّة وهي واحدة في معظم اللغات إذ إن خاصّيَّة الإحالة التي تملكها هذه الأدوات تربط أجزاء النصّ وتغني عن تكرار المفردات أو الجمل داخل النصّ، إذا ما علمنا أَنَّ مستعملي اللغة يميلون غالبا إلى الإيجاز والابتعاد عن التكرار... فتستخدم (أسماء الإشارة) في تكثيف النص؛ لأنها تُشير إلى عدد من الأحداث فتفيد الاختصار والبعد عن تكرار الأحداث السابقة، فأفاد اسم الإشارة (ذلك) دلالة الإيجاز وتأكيد المعنى (التحقيق والتثبيت) ونعني بها أن يرد اسم الإشارة مشاراً به إلى كلام سابق له قاصداً تحققه، فيسلك المتكلم بذكر اسم الإشارة سبيل الإيجاز تجنباً للتكرار وتأكيد المعنى، فأسماء الإشارة "تعين المتكلم على التركيز والإيجاز وتفادي التكرار الذي يترهل به الأساليب ويتثاقل به وثوبها إلى القلوب"[2].

فجاء "﴿ذَلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما سلف من نبأ عيسى عليه الصلاة والسلام، وما فيه من معنى البُعد للدِلالة على عِظَمِ شأنِ المُشار إليه وبُعدِ منزلتِه في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمرِ ونباهةِ الشأن بمنزلة المشاهَد المعايَن، (...)، وصيغةُ الاستقبال إما لاستحضار الصورةِ أو على معناها إذ التلاوةُ لم تتِمَّ بعدُ ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي المشتملِ على الحِكَم أو المُحكمِ الممنوعِ من تطرُّق الخللِ إليه، والمرادُ به القرآنُ"[3]، و"كان هذا القرآن العظيم قد حاز من حسن الترتيب ورصانة النظم بوضع كل شيء منه لفظاً ومعنى في محله الأليق به المحل الأعلى، لا سيما هذه الآيات التي أتت بالتفصيل من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، (...)، منبهاً على عظمة هذه الآيات الشاهدات الآتي بها صلى الله عليه وسلم بأوضح الصدق بإعجازها في نظمها وفي العلم بمضامينها من غير معلم من البشر كما تقدم (...)، وأشار بأداة البعد تنبيهاً على علو منزلته ورفيع قدره"[4].

وتعدّ (أسماء الإشارة) من الوحدات اللغوية التي تتحكم بها قواعد الاستعمال السابق واللاحق، وينبني هذا المنطلق من حيث اعتمادها على غيرها سابقاً كان أو لاحقاً، ويعتمد هذا على اختلاف طبيعة الدور الدلالي وعلى الصور التي يؤديها كل صنف من الوحدات اللغوية في النص، وتجدر "الاشارة ان اختيار المتكلم / الكاتب لأسماء الإشارة يكون وفقا لمقاصد تخاطبية وأغراض يرمي إليها، ومن أغراض

---

١) التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي: ١/ ٦٢٨.

٢) خصائص التراكيب، (دراسة تحليلية لمسائل المعاني): د. محمد أبو موسى: ٢٠٧-٢٠٨.

٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ابو السعود: ١/ ٤٠٢. وينظر: روح المعاني : ٣/ ٧٠.

٤) نظم الدرر : ٢/ ٦٣.

استعمال اسماء الإشارة؛ إرادة تمييز المتحدَّثِ عنه أكمل تمييز يُحْضِرُهُ في ذهْنِ المتلَقِّي، مبالغةً فِي تعيينه، وقد يحسُنُ هذا في الإطراء، أو في الهجاء، ومعلومٌ أنّ من طبيعة دلالة اسم الإشارة تحديد المشار إليه تحديداً ظاهراً متميّزاً عن غيره وهذا قد يكون من مقاصد المتكلّم"[١].

وأن اسم الإشارة (هذا) عنصر إحالي يحتاج لبيان دلالته إلى عنصر آخر، وقد جاء هذا العنصر بعده ليفسره ويرفع ابهامه و"الغرض من الإبهام ثم التفسير، إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم، لأن النفوس تتشوق، إذا سمعت المبهم، إلى العلم بالمقصود منه، وأيضا من ذكر الشيء مرتين: مبهما ثم مُفسرا توكيد ليس ذكره مرة"[٢]، وإرادة تمييز المشار إليه ومن أمثلة ذلك في جمل التذييل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، فقد أحال اسم الإشارة (هذا) إحالة بعدية، (أي: على اللاحق)؛ لأن مفسره بعده، وفي الآية اقتضى تمييز النبي محمّدﷺ باسم الإشارة مع وصفه بالنبوّة مرة، فقال تعالى: ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، و مرة بوصفه من المؤمنين، وأيضا من دواعي استعمال أسماء الإشارة، إرادة بيان أنّ المتحدَّثَ عنه واضح جليّ حاضرٌ قريب التناول لا يحتاج إلى بَحْثٍ وَجَهْدٍ للوصول إليه وهذا ملمح إعجازي لينبه من كان حول النبي بقربه منهم ويكون حجة عليهم في الوقت نفسه، فإذا نظرنا إلى هذه الإحالات الإشارية وجدنا أن لها أثراً بارزاً في اتساق النص، وهذا الاتساق يتطلب من القارئ (المتلقي) أن يسير مع النص موحّداً فينظر في داخله لمعرفة المحال إليه، والتعرف على علاقات الترابط التي تنظم وحداته الداخلية، فمهما "تعدّدت أنواع الإحالة الإشارية، واختلفت وظائف أدواتها، فإن لها وظيفة أساسية في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص، وصنع وحدة نصية وسائلها متلاحمة، وأجزاؤها متماسكة"[٣] فأفاد اسم الإشارة بناء النص واتساقه وانسجام معانيه عندما أغنى عن إعادة وتكرار للألفاظ التي أحال إليها.

ومما يُلحظ؛ إن أسماء الإشارة تقوم بدور الربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة تحيل إحالة قبلية، أي: أنها تقوم بربط جزء لاحق بجزء سابق، لتسهم في إتّساق النص، فإن اسم الإشارة المفرد ينماز من بينها بما يسميه البعض (الإحالة الموسعة)، أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو جمل عدة[٤]، كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فنرى اسم الإشارة (هذا) عنصراً إحالياً يحتاج لبيان دلالته إلى عنصر آخر، وقد جاء هذا العنصر بعده ليفسره ويرفع ابهامه وهو (صراطي) وأنه "هذا القريب منكم جدّاً، والظّاهر بما أنزلت عليكم من بيان حوله، والذي يتلائم مع فطرة عقولكم ونفوسكم، وهو دين الإسلام هو صراطي حالة كونه مستقيماً لا اعوجاج فيه"[٥].

---

١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني: ١/ ٤٢٠.

٢) شرح الرضي: ١ / ١٩٩.

٣) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٢٠.

٤) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ١٩.

٥) البلاغة العربية: عبد الرحمن الميداني: ١ / ٤٢٦.

وقيل "وَأَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً الإشارة فيه إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة"[١]، و"الْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَى جُمْلَةِ: أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً [الْأَنْعَام: ١٥١] لِتَمَاثُلِ الْمَعْطُوفَاتِ فِي أَغْرَاضِ الْخِطَابِ وَتَرْتِيبِهِ، وَفِي تَخَلُّلِ التَّذْيِيلَاتِ الَّتِي عَقِبَتْ تِلْكَ الْأَغْرَاضَ بِقَوْلِهِ: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [الْأَنْعَام: ١٥١] - لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الْأَنْعَام: ١٥٢] - لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وَهَذَا كَلَامٌ جَامِعٌ لِاتِّبَاعِ مَا يَجِيءُ إِلَى الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ فِي الْقُرْآنِ"[٢]، وقد يكون اسم الإشارة أحال إلى كافة التعاليم الاسلامية الواردة في القرآن، بدليل قوله في جملة التذييل ﴿ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، "وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ: أَيْ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ صِرَاطِي فَالْإِشَارَةُ إِلَى حَاضِرٍ فِي أَذْهَانِ الْمُخَاطَبِينَ مِنْ أَثَرِ تَكَرُّرِ نُزُولِ الْقُرْآنِ وَسَمَاعِ أَقْوَالِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِحَيْثُ عرفه النّاس وتبيّنوه، فَنَزَلَ مَنْزِلَةَ الْمُشَاهَدِ، فَاسْتُعْمِلَ فِيهِ اسْمُ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعُ لِتَعْيِينِ ذَاتٍ بِطَرِيقِ الْمُشَاهَدَةِ مَعَ الْإِشَارَةِ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْإِشَارَةُ إِلَى جَمِيعِ التَّشْرِيعَاتِ وَالْمَوَاعِظِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، لِأَنَّهَا صَارَتْ كَالشَّيْءِ الْحَاضِرِ الْمُشَاهَدِ"[٣]، وبذا يكون اسم الاشارة ربط بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل.

ويُلحظ الدور الاتساقي الذي حققه اسم الإشارة من اختصار وتكثيف لغة النص، ونجد أن هذه المسألة تأخذ مجال أهميتها عند الذين اهتموا بدراسة النص، وذلك لدور الربط الذي تحققه هذه الوحدات إذ "إن أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدالة على الاتجاه، تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهي تماماً مثلها لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه"[٤].

وعليه فقد أدت أسماء الإشارة دوراً بارزاً في تماسك النص فهي من جهة رفعت إبهام وخصصت وحددت مشار إليه، ومن جهة أخرى هي نفسها تحتاج إلى عنصر آخر ليرفع عنها الإبهام فتبادل الأدوار داخل النسق النصي في القرآن الكريم أسفر عن ذلك التماسك، وكذلك إحالتها القبلية، والبعدية، والموسعة داخل النص دعَّم وظيفتها المبتغاة، فهي ألفاظ يجتمع فيها الإبهام والتعريف، وهو أمر يبدو من قبيل الجمع بين الضدين المتناقضين، وهذا الجمع بين المتناقضين يكون إذا كانت أسماء الإشارة مفردة غير مركبة، أما إذا رُكّبتْ وكانت في الاستعمال اللغوي فإن هذا التناقض بين الإبهام والتعريف يزول، لأن الإبهام الذي فيها وضعا يرفعه الاستعمال تحققا[٥].

وبعدِّ أسماء الإشارة من الألفاظ الكنائية، فإنه تتضح كفاءة الألفاظ الكنائية وفاعليتها عندما تستعمل في النصوص للدلالة على قطع طويلة من الخطاب الذي يُنَشِّط مساحات كبيرة من المعلومات[٦]، المعلومات[٦]، و نجد أن هذه الوسيلة الاتساقية تؤدي دورا مميزا في ترابط النص في جمل التذييل في

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ٢ / ١٨٩.
٢) التحرير والتنوير: ٨ / ١٧١.
٣) نفسه: ٨ / ١٧٢.
٤) نسيج النص : ١١٧- ١١٨.
٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ٢ /١٠٦٩.
٦) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ٣٢٣.

النص القرآني.

ثالثا: الإحالة بالاسم الموصول:

يُعد الاسم الموصول من وسائل التماسك النصي؛ فإنّه يستلزم وجود جملة بعده، تكون هذه الجملة صلة، ولا يمكن عدّهُ من الكلام المفهوم إلّا بحضور صلته بعده[١]، وقد يعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويكون نصًا كاملا، ويبقى هذا النص مرتبطًا بالاسم الموصول الأول، ومن جهة أخرى يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطًا بهذا المذكور السابق محدثًا نسقاً واحداً للنص كله، أي: أنّ هناك علاقة ترابط بين الصلة وموصولها والذي يحقق ترابطا وسبكا بين أجزاء النص الواحد، فالموصولات تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، أو بين الجمل المختلفة.

ويمتلك الاسم الموصول قابلية في ربط الكلام بعضه ببعض مما يلفت النظر إلى "ما في الموصول من طاقة الربط بين أوصال الجملة أو السياق القائم على أكثر من جملة"[٢]، والدليل على "أن الموصول رابط كما قال البلاغيون حل محل الضمير، فلو عدلت عن الموصول واستعملت الضمير المطابق له لحدث الربط المطلوب"[٣]، فالموصولات تؤدي وظيفة الاتّساق في النص فهي تربط أجزاء النص بعضها ببعض، أو بين الجمل المختلفة، وإن احتفظت بافتقارها إلى صلة وعودة الضمير في الصلة عليها، وقد صارت هذه الصلة معرِّفة للموصول؛ لأن "تعريف الموصول بوضعه معرفةً مُشاراً به إلى المعهود بين المتكلم والمخاطب بمضمون صلته، فمعنى قولك لقيتُ مَنْ ضربتُهُ، إذا كانت (مَنْ) موصولة: لقيتُ الانسانَ المعهود بكونه مضروباً لك"[٤]، وهي أسماء غامضة المعنى مبهمة الدلالة، وغموضها هذا يجعلها دائمة الربط بعنصرٍ آخر يُزيل هذا الغموض، ويوضح الدلالة، والاسماء الموصولة تؤدي من خلال الإحالة وظيفة السبك للنص عامة، فهي تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، أو بين الجمل المختلفة، وقد أشار أحد الدارسين إلى ذلك بقوله: "أنّها من الألفاظ الإحالية التي لا تملك دلالة مستقلة، بَلْ تعودُ إلى عنصر أَو عناصر أُخرى مذكورة في أجزاءٍ أُخرى من الخطاب"[٥]، فهي تقوم على مبدأ التماثل والتطابق كذلك تربط النص بسياقه المقامي الذي قيل فيه[٦]، والاسم الموصول له دور كبير في سبك النص، إذ إن اختيار الموصول ليحل محل ضمير شخصي، سببه مطابقة القصد واختلاف اللفظ، وكلا الضميرين في النهاية

---

١) ينظر: معاني النحو: ١ / ١١٢.

٢) مقالات في اللغة والأدب: ١/ ٢٠٠.

٣) مقالات في اللغة والأدب : ١/ ٢٠٠. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [العنكبوت ٣٢] أي به وبغيره.

٤) شرح الرضي: ٣ /٨.

٥) نسيج النص: ١١٨.

٦) ينظر: مقالات في اللغة والأدب: ١/ ٢٠٠.

عِوَض عن إعادة الذكر[١]، وقد صُنفت الأسماء الموصولة على أسس متنوعة منها تقسيمهم إياها على قسمين: الأول: خاص، والآخر: مشترك.

وهذا التقسيم يشير إلى الدلالة النحوية للألفاظ، ويحقق غاية أخرى للموصول وهو التقسيم على أساس المعنى الذي يؤديه[٢]، الاسم الموصول.

أمَّا تفسير هذا الجمع بين هذه الأصناف المختلفة : (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) فهو اشتراك الجميع في الاستغناء عن تكرار الاسم الظاهر، وحاجتهم إلى قرائن دلالية، فإذا كانت ضمائر الحضور تفتقر إلى قرينة الحضور، فإنَّ أسماء الموصولة تفتقر إلى الصلة، وعبّر عن ذلك البعض بقولهم: "فما يسمى بالضمير، وألفاظ الإشارة، والموصولة، والأعداد، ليس في الحقيقة إلا رموزًا لغوية يستعاض بها عن تكرار الأسماء الظاهرة، وأن كان لكلٍّ منها استعمالها الخاص"[٣]، فهي تشترك مع الأسماء في وظيفة الربط، والإحالة، والتعويض، والاختصار، وهو ما أكده أحدهم، في أنَّ وظيفة الإشارة والموصولات تؤدي وظيفة الضمائر نفسها من حيث المرجعية والربط[٤]، فالاسم الموصول يربط بين جملتين؛ أي بين ما تقدم ذكره وما يراه المتكلم، وما يضمنه إلى ما سبق العلم به، فهو يربط بين السابق باللاحق ويحيل إليه ويعوضه.

إذن فالإحالة بالموصول تكون لها بنية لغوية، كالآتي:

منعوت	الاسم الموصول	جملة الصلة
↓	↓	↓
عنصر محال إليه	عنصر إحالي	صلة وتوضيح

فالموصول يشير أو يربط بين ما تقدمه، وما يأتي بعده عن طريق الضمير الواجب تواجده في جملة الصلة، هذا ما جعل البعض يعد الأسماء الموصولة من عناصر الإحالة[٥]، ولفت النظر إلى ما للموصول من طاقة الرَّبط بين أوصال الجملة بعضها ببعض، أو بين عدد من الجمل، كما تربط النَّصّ بمقامه الذي قيلت فيه[٦]، فهي تقوم بالربط الاتساقي من خلال ما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تحقق " ربطاً ربطاً مفهومياً بين ما قبل (الذي) وما بعده، إذ إنّ تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقي قبل ذكر اسم الموصول"[٧].

---

١) ينظر: البيان في روائع القرآن: ١ / ١٤١.
٢) ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٣/١٦- ١٧، وينظر: همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو: ١/١٩٩.
٣) من أسرار اللغة: ٢٤٩.
٤) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : صبحي ابراهيم الفقي : ١/١٩٨.
٥) ينظر: مقالات في اللغة والادب: ١/ ١٩٥.
٦) ينظر: نفسه: ١ / ٢٠٠.
٧) مقالات في اللغة والادب: ١/ ٢٠٠.

فالموصول من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره، والعلم به، لذلك لابد له من صلة مشتملة على ضمير ليحقق الإحالة إلى ما يقصد المتكلم، والاسم الموصول هو الذي اجتلب ليكون وصلة إلى وصف المعارف بالجمل[١]، فتكون الإحالة بالموصول إحالة مزدوجة يقوم بها الاسم الموصول بالاشتراك مع صلته التي تحتوي على عائد يحيل على ما يستحضر في ذهن المتلقي، وهذا الاستحضار يكون بقصد المتكلم، ويعد أسلوب التعريف بالموصول أشيع المعارف استعمالا (...)، لأنه مفرد متضمن جملة، ولذلك يتسع لكثير من أحوال المعارف، بخلاف الضمير والعلمية فإنها محددة في دلالة واحدة[٢].

ويرى أحد الدارسين، أنّ الاسم الموصول قد يؤتى به في التركيب مؤدياً الوظيفة نفسها التي تؤديها الضمائر وأسماء الإشارة وهي (الاختصار)؛ بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول: "أمّا الأسماء الموصولة، فهي كالضمائر وأسماء الإشارة، تؤدي ما تؤديه من وظيفة ... ولكنها أقوى من الضمائر وأسماء الإشارة في تحقيق الاختصار"[٣].

ولما كانت الإحالة لا تتم إلا بقصد المتكلم، فإن استعمال الموصول يفيد أغراضا مختلفة كالتعظيم، والتعليل، والتعيين، والإيجاز... وغيرها، وقد تم ربط التذييل بصدر الآية بوساطة الموصول وفي أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦١]، بدأت جملة التذييل بإحدى المؤكدات (إنّ)، وقد دخلت على الاسم الموصول، وهو "استئناف كلام لإفادة حال فريق آخر مشارك للذي قبله في استحقاق لعنة الله واللاعنين وهي لعنة أخرى... وهذا الفريق هم المشركون فإن الكفر يطلق كثيراً في القرآن مراداً به الشرك ،...، (الذين كفروا) عام وهو شامل للذين يكتمون وغيرهم والجملة تذييل أي لما فيها من تعميم الحكم بعد إناطته ببعض الأفراد ،... ، المراد من (الذين كفروا) خصوص الذين يكتمون وماتوا على ذلك"[٤]، وجاء في تفسيرها"(إن الذين كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ) الموصول للعهد كما هو الأصل، والمراد به الذين كتموا وعبر عن الكتمان بالكفر نعياً عليهم به، (...)، وقيل: الموصول عام للذين كتموا وغيرهم كما يقتضيه ظاهر الصلة، والآية من باب التذييل فيدخل الكاتمون الذين ماتوا على الكتمان دخولاً أولياً؛ واعترض بأن تقييد الوعيد بعدم التخفيف أعدل شاهد على أن الآية في شأن الكاتمين الذين ماتوا على ذلك لأنهم أشد الكفرة وأخبثهم"[٥]، ويلحظ أن الاسم الموصول قد أحال على (الذين يكتمون) في صدر الآية (١٥٩) وقد أحال على السابق إحالة نصية مقالية وفي الوقت نفسه فإن (الذين يكتمون)،

---

١) ينظر: دلائل الاعجاز: ١٠٥.

٢) ينظر: البلاغة العربية: طالب اسماعيل الزوبعي: ٢٠٥.

٣) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٠٠.

٤) التحرير والتنوير: ٢/ ٦٣.

٥) روح المعاني: ٢ / ٧٨.

أحالت إحالة مقامية إلى أحبار اليهود، وبهذا يكون الاسم الموصول قد أفاد تعيين الملعونين وقد أسهم بترابط النص داخليا وكذلك مقاميا بدليل ما ورد في أسباب النزول[١].

ومن خلال تأمل النص السابق يستشف أن الاسم الموصول قد أسس نقطة محورية في ترابط النص، إذ تم تصنيف (الذين يكتمون) إلى فئتين باستعمال الموصول ومن خلال الإحالة بالاسم الموصول باعتباره وسيلة من وسائل التماسك النصي؛ لأنه يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية، وقد يعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام، ويصير نصا كاملا، ويبقى مرتبطا كله بالاسم الموصول الاول، وفي الوقت نفسه يعد الاسم الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق، وقد يتكرر بصورة واحدة، ويظل مرتبطا بهذا المذكور السابق مشكلا نسقا واحداً للنص كله، ومن ذلك ما مرّ علينا في النص السابق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ... وَالنَّاسِ أَجْمَعِين﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦١]، إذ إن جملة التذييل ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا...﴾ ورد فيها الاسم الموصول وفيه إحالة نصية على أحبار اليهود"(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) نزلت في علماء أهل الكتاب وكتمانهم آية الرجم"[٢]، فقد أحال الاسم الموصول الوارد في جملة التذييل المعنى على ما ورد في أسباب نزول هذه الآية وهو بذلك قد حقق تناسبا بين التذييل الواردة في الآية وبين سبب نزولها فضلا عن التكرار في الاسم الموصول وهو يحيل إلى المذكور نفسه وهو محور النص، وقد حقق هذا للنص تماسكا قويا يناسب السياق العام للنص، مِمَّا سبق يتبين لنا، الأثر الكبير الذي تلعبه الأسماء الموصولة في ترابط النَّصّ القرآني عن طريق الإحالة إلى المنعوت، في علاقة التطابق والتماثل، مع ربطه بجملة الصلة عن طريق الضمير العائد، المطابق تركيبيًّا للعنصر المحال إليه، وتم الربط الاتساقي في النص عن طريق اشتراك الاسم الموصول بالاسم الذي قبله من خلال التطابق الإحالي بينهما، وجملة صلة الموصول التي بعده في جعل النص على مستوى واحد من الاتساق والتماسك فيدركه المتلقي حال النظر إليه، فضلاً عمّا يتمتع النص به من توازٍ تركيبي يؤدي أثراً أساسياً في اتساق النص ، إذ يظهر الاتساق في النص من خلال الربط بين أجزاء النص واشتراك الاسم الموصول بالاسم الذي قبله (بأنهما يحيلان إلى مرجع واحد)، وجملة صلة الموصول التي بعده، والضمير العائد فيها، مما يحقق إحدى وظائف الإحالة وهي الايجاز والاختصار وعدم التكرار وجعل النص على مستوى واحد من التماسك .

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٥ – ١٣٦]، يُلحظ تضمن الاسم الموصول (الذي) إمكان الربط بين الخطاب الموجه

1(ينظر: أسباب النزول: للواحدي: 1 / 92.

٢) نفسه.

للذين آمنوا وأمرهم بالإيمان بالله ورسوله والكتاب وبين (نَزَّلَ على رسوله) في المرة الأولى، ثم جاء الاسم الموصول (الذي) معطوفاً في المرة الثانية على الخطاب السابق ليربط بين الكتاب وبين جملة (أنزل من قبل) وكان للاسم الموصول أثر كبير في اتساق النص وتماسكه، وذلك لربطه ما تقدم من الكلام بما تأخر عنه.

زيادة على ذلك أن الاسم الموصول قد حدده استعمال المتكلم، فهو أحال في كل مرة إلى كتاب فإن "الكتاب الذي نزل على رسوله وهو القرآن، والكتاب الذي أنزل من قبل هو التوراة والإنجيل"[1]، والآية "تذييل عُقّب به أمر المؤمنين بأن يكونوا قوّامين بالقسط شهداء لله، فأمرهم الله عقب ذلك بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والشهادة لله: بأن يؤمنوا بالله ورُسُلِه وكُتبه، ويدُوموا على إيمانهم، ويَحذروا مَساربَ ما يخلّ بذلك"[2]، وجاء الاسم الموصول (الذي) في المرة الأولى صفة للكتاب - القرآن - و(الذي) في المرة الثانية صفة للكتاب المنزل من قبل، وهنا تكرر الاسم الموصول (الذي) إلا أنه قد اختلف فيما يحيل إليه فذكر المفسرون فيه أن "الكتاب الأول القرآن، والمراد من الكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية، ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد: (وَكُتُبِهِ) والمراد بالإيمان بها في ضمن الإيمان بالكتاب المنزل على الرسول ﷺ، على معنى أن الإيمان بكل واحد منها مندرج تحت الإيمان بذلك الكتاب"[3]، فهذا يؤكد أن الاسم الموصول قد أحال في المرة الأولى إلى القرآن وفي المرة الثانية إلى الكتب السابقة مما يبين الربط الذي قام به الاسم الموصول، والإحالة بالاسم الموصول شكلت توسعا بالنص بكونها ربطت السابق باللاحق، فخطاب المؤمنين بأن يؤمنوا بالكتب السابقة هو امتداد ومتمم ومكمل للإيمان بالقرآن فجاءت الإحالة بالاسم الموصول نفسه (الذي) في الأمرين.

فكل موصول في النص ارتبط وتماسك لذاته بجملة الصلة لكي توضح المقصود منه لأنه اسم مبهم ويعتريه الغموض، وقد بينت جملة الصلة في كل مرة إبهام موصولاتها، فعلاقة الصلة بالموصول علاقة ترابطية مهمة، وان كل موصول في النص قام بربط جملة الصلة اللاحقة له بالجمل التي قبله، فالموصول (الذين) عائد على (المسلمين) وربطه بالصلة (آمنوا)، وكذلك عاد الموصول (الذي)على (القرآن - الكتاب) وربطه بالصلة (نَزَّلَ) وأيضا الاسم الموصول (الذي) الثاني في الآية الكريمة يعود على (التوراة، والانجيل، والزبور) وربطه بجملة الصلة (أَنْزَلَ) ولولا الموصول الاسمي لما حصل الربط بين أجزاء الكلام وليتسنى لنا معرفة قيمة الربط بالاسم الموصول نقوم بحذفه من التركيب الذي ورد فيه؛ لنرى كيف يفقد هذا النص أهم مقومات صحته وجماله اللغوي ويفقد أيضا اتّساقه النصي.

وكذلك نجد أن الضمير الذي اشتملت عليه جملة الصلة عائد على اسم موصول ورابط بينهما، فلولا هذا الضمير لوجدنا تنافرا بين العناصر اللغوية، فقد اشتملت الصلة الاولى على ضمير متصل وهو (واو

---

١) مجمع البيان : ٣ / ١٩٠.

٢) التحرير والتنوير: ٤ / ٥٧.

٣) روح المعاني : ٤ / ٢٦٨. وينظر: التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي: ١/ ١١٠٢.

الجماعة) يعود على الموصول (الذين) وفي الصلة الثانية ضمير مستتر يعود على الموصول (الذي)، وكذلك في الصلة الثالثة فقد اشتملت على ضمير مستتر يعود على الموصول (الذي)، وقام هذا الرابط بشد الثاني بالأول ومد أواصر التلاحم بين الاسم الموصول والصلة ولو لم تقترن هذه الصلات بالضمير الرابط لكان النص مفكك الأجزاء مبعثر العناصر اللغوية، وهذا يبين ما للضمائر التي تربط الصلة بالموصول من الأهمية بمكان في تماسك النص واتّساقه.

فأثر الموصول في السبك يكمن في أن المحال إليه لا يمكن تحديده إلا بالنظر لما بعد الاسم الموصول فهو يربط ما قبله بما بعدهُ فيكون وسيلة ربط شكلي بغية الوصول إلى الدلالة، فلا رابط دلالي من غير أن يرافقه رابط شكلي.

في ضوءِ ما مَرَّ بنا من أنواع الإحالة المتمثلة بالألفاظ الكنائية،(الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة)، تُلحظ أهميتها في تحقيق الاتساق للنصوص بوصفها أدوات إحالية، هذه الأدوات التي مَرَّتْ بنا كان لها أثرٌ رئيسٌ في اتساق النصوص، وتُعدُّ ضمائر الغيبة الوسيلة الأقوى في الربط يليها بعد ذلك بقية الأدوات التي تصنع اتساقاً ولكن بشكل أقل من ضمائر الغياب، أما الوسائل التي لا تحقق اتساقاً للنصوص فهي: ضمائر المتكلم والمخاطب لأنّها تُحيلُ إلى شيءٍ خارج النص[١].

ختاماً ومن خلال الإحصاء للآيات المتضمنة للتذييل وَجد البحث أَنَّ عُنصر الإحالة وبأنواعها كافة كان أبرز أنواع الاتساق النحوي وجوداً في النصوص، فلا يكادُ نصّ يخلو من نوعٍ من أنواع الإحالة، وهذا يُلفِتُ النظر إلى شيء مهم، هو أنَّ الاتساق النحوي أبرز أنواع الاتساق ظهوراً وفاعلية في نصوص التذييل، فبرزَت الضمائر بوصفها نوعاً من أنواع الإحالة على سطح النصوص؛ والسبب وراء ذلك كُلّه "أنَّ الضمائرَ تُعدُّ من أبرزِ الأدوات التي يستعملها المتكلمون أو الكُتّاب للإحالة على كياناتٍ معطاة"[٢]؛ والسببُ كما يُشير براون ويول، "أنّ الضمائر تُلفَظُ بطبقةٍ صوتية منخفضة في اللغة المنطوقة أي ليسَ لها بروز صوتي ولفظي ملحوظ؛ ونظراً لفراغها من محتوى"[٣] ومن ذلك يستشف البحث أنَّ الضمائرَ أصبحت الأدوات التي لا غنى لأيِّ نظريةٍ في الإحالة عن تفسيرها[٤].

ممّا سبق نجد أنّ الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول كل هذه الألفاظ قد ساعدت "مستعملي النص على الاحتفاظ بالمحتوى دون حاجة منه لإعادة ذكر كل شيء بتفصيلاته"[٥]، إذ نجد أنّه باستخدام اللفظ المحال قد أغنى عن إعادة استعمال العبارات الطويلة كما مرّ في النصوص السابقة، وما يلحظ على الأمثلة السابقة أنّ بعض الإحالات لا تشير إلى أناسٍ أو أشياء فقط، بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق من النص.

---

١) ينظر: نسيج النص: ١١٨، وينظر: الإحالة في نحو النص: ٢٦-٢٧.

٢) الإحالة في نحو النص: ٢٦-٢٧.

٣) تحليل الخطاب: براون ويول: ٢٥٦.

٤) نفسه: ٢٥٦.

٥) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٩٢.

المبحث الثاني

الاستبدال والحذف

أولاً : الاستبدال
ثانياً : الحذف

أولاً: الاستبدال:

جاء في المعجمات العربية من معاني الاستبدال ما يمكن حصره بـ (الإبدال، والتبديل، والمبادلة، وتغيير الشيء عن حاله) وهي تعني تبديل الشيء بغيره واستبداله منه، وجعل شيء مكان شيء آخر، وتغيير صورة الشيء مع الاحتفاظ بالجوهر وكذلك التنحية وغيرها[١].

والاستبدال اصطلاحاً هو "صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي المعجمي، بين كلمات أو عبارات، وهو عملية تتم داخل النص، أنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر، وصورته المشهورة إبدال لفظة بكلمات مثل: ذلك وأخرى وأفعل، مثال: هل تحب قراءة القصص؟ نعم أحب ذلك"[٢]، ويعد الاستبدال من أهم عناصر الاتساق النصي، لما له من أثر في سبك النص من خلال العلاقة بين عنصرين وهي؛ علاقة قبلية بين عنصر سابق (المستبدَل) وعنصر لاحق (المستبدِل) في النص بما يحقق نوعاً من التلاحم والاستمرارية في النص[٣]، ويعرفه النصيون بقولهم: "هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص، ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المُستَبدل منه والآخر الذي حل محله المستبدل به، وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصية متوالية فأنهما يقعان حسب هارفج - في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض"[٤]، أما "العلاقة بين عنصري الاستبدال (المُستَبدَل والمُستَبدَل به) علاقة تقابل تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد"[٥].

وقد تناوله النّصيّون بوصفه وسيلة من وسائل التماسك النصي، مع ملاحظة اختلاف الاستبدال عند النّصيين عن البدل عند النحويين العرب[٦]، ويعد الاستبدال وسيلة لغوية نصية أساسية وهو الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق، إذ يتم الاتساق باستبدال عنصر لغوي بآخر، وهذه العملية "تتم داخل النص إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[٧]، ويسهم الاستبدال في الترابط النصي ويشمل ويشمل المستوى النحوي والمعجمي بين مفردات أو عبارات[٨].

---

١) ينظر: تهذيب اللغة: مادة (بدل): ٤ / ٤٦٠. وينظر: لسان العرب: مادة (بدل): ١ / ٢٣١.
٢) المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٣.
٣) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٠.
٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. نادية النجار، مجلة علوم اللغة ، المجلد التاسع، العدد الثاني، ٢٠٠٦، ١٩.
٥) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢١.
٦) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي ابراهيم الفقي: ٢/١٩٩.
٧) لسانيات النص: محمد خطابي: ١٩.
٨) ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٢.

ولا يتم ذلك إلا من خلال الدور الذي يقوم به الاستبدال في اتساق النص ومن خلال العلاقة بين العنصر المستبدل والعنصر المستبدل به، والتي هي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق في النص[١]، وهذا يوحي بـ "إن معظم حالات الاستبدال النصي قبلية؛ أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم"[٢].

وذلك يقودنا إلى "الحديث عن الاستمرارية أي وجود العنصر المستبدل، بشكل ما، في الجملة اللاحقة"[٣]، وهذه الاستمرارية دلالية تتم داخل النص من خلال تعويض عنصر بعنصر آخر[٤]، وتقوم وتقوم العلاقة الاستبدالية "على مبدأ الاحتفاظ بجزء من المعلومة في مقطع نصي سابق وإدراجها في وضع جديد"[٥].

ويشير بعض الدارسين إلى معنى الاستبدال إذ ينبغي "البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص"[٦]، ولّما كانت العلاقة بين عنصري الاستبدال (المستبدَل والمستبدِل) علاقة تقابل فإنها تقتضي إعادة التحديد والاستبعاد (أي: استبعاد وصف وإحلال وصف آخر محله).

وبناء على ما سبق فإن المستبدَل يحتفظ بجزء من المعلومة السالفة مستبعداً جزءاً آخر ومن هنا يتضح أن العلاقة الاستبدالية تقوم على التقابل والاختلاف الذي ينتج عنه الاستبعاد دون أن يلغي ذلك وظيفة الاتساق التي تقوم بها العناصر(الاسمية والفعلية والقولية) بل من تلك العلاقة تستمد هذه العناصر قيمتها الاتساقية[٧]، ومن هنا فإن الاستبدال يمثل العلاقة النصية بين عنصر متقدم وعنصر آخر متأخر، إذ يكون هذا العنصر المتأخر بديلاً للعنصر المتقدم ، وهذا ما يجعل هذه العناصر قادرة على تحقيق الترابط والاتساق داخل النص.

ويرى البعض أن الاستبدال يلتقي مع الحذف من الناحية الإجرائية، إذ لهما الدور نفسه في الاتساق ، فالحذف يمكن أن يؤول على أنه شكل من أشكال الاستبدال، إذ إن المادة اللغوية فيه تستبدل بلا شيء وكلاهما علاقة على المستوى النحوي / المعجمي، فالحذف؛ في هذا المجال يعد نوعاً من أنواع الاستبدال إذ يمكن أن يعرف على أنه استبدال بدرجة الصفر[٨].

---

١) ينظر: لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٠.
٢) نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٢.
٣) لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٠.
٤) ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٣.
٥) التماسك النصي في ديوان اغاني الحياة: ٧٨.
٦) لسانيات النص: محمد خطابي: ٢٠.
٧) ينظر: نفسه : ٢١- ٢٢.
٨) ينظر: نفسه : ٢١.

ويُشار إلى "أن العلاقة بين الاستبدال والحذف هي علاقة التضمين فالاستبدال يتضمن الحذف"[١]، ويشيران إلى الفرق بين الاستبدال والإحالة فـ" الاستبدال علاقة بين العناصر اللغوية أو الشكل اللغوي؛ أي بين الكلمات والعبارات، في حين الإحالة علاقة بين المعاني، فالإحالة علاقة على المستوى الدلالي، أما الاستبدال علاقة على المستوى المعجمي – النحوي "[٢]، فعلاقة الاستبدال تقوم على قاعدة عامة وهي" أن الكلمة البديلة يكون لها نفس الوظيفة التركيبية"[٣].

ويذهب الباحثان (هاليداي ورقية حسن) إلى أنّ الاستبدال "علاقة نحوية بين الكلمات أكثر من كونها بين المعاني، وعلى هذا يقسمان أنواع الاستبدال على أساس الوظيفة النحوية لعنصر الاستبدال وهي: (الاسم والفعل والجملة) ووفقا لهذا فالأنواع الثلاثة للاستبدال هي: استبدال اسمي، واستبدال فعلي، واستبدال قولي"[٤]، وأول نوع من أنواع الاستبدال الوارد في جملة التذييل هو:

١- الاستبدال الاسمي:

الاستبدال الاسمي وهو: "مجموعة المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤدية وظيفته التركيبية"[٥]، وله عناصر لغوية إسمية مثل "واحد، واحدة، آخر، أخرى، آخرون، نفس، وغيرها"[٦]. و"كلا، ومثل"[٧]، وقد جاء في أكثر من موضع في جمل التذييل ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، هذه الجملة تذييل ثان لجملة: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ...﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقد حصل استبدال اسمي في الآية الشريفة بين لفظ (نِسَاؤُكُمْ)، ولفظ (حَرْثَكُمْ)، إذ حل الاسم (حرث) محل (نساء)، وهو استبدال على المستوى المعجمي، و"ذلك على سبيل التشبيه، فبالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان، كما أنّ بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم"[٨]، ويبدو أنّ الاستبدال هنا لأجل الاتساع من جهة والتخصيص من جهة أخرى إذ جاء في التفسير: "الآية: مبيحةٌ لهيئات الإتيان كلِّها، إذا كان الوطء في موضع الحرثِ، ولفظة (الحَرْث) تعطي أنَّ الإباحة لم تقعْ إلا في الفَرْجِ خاصَّة؛ إذ هو المُزْدَرَعُ"[٩].

وإذ تقرر سابقا أن علاقة الاستبدال علاقة تقابل تقتضي التحديد والاستبعاد، فإنّ التقابل في هذا المثال حاصل بين عنصري الاستبدال (المستبدل والمستبدل به)، فهما يدلان على الشيء نفسه وهو سبب

---

١) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٣.

9(علم لغة النص: عزة شبل : 111.

٣) نفسه: ١١٣.

٤) نفسه : ١١٤. وينظر: نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٣- ١٢٤.

٥) نحو النص عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

٦) ينظر: نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٣- ١٢٤، وينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٥٠.

٧) الرصف وعلم النص: ١٢٢.

٨) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ٢٢٦.

٩) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد الثعالبي: ١/ ١٢٩. وينظر: نظم الدرر: ١/ ٣٤٣.

بقاء النوع، بلفظين مختلفين، وقد استُبعِدَ لفظ (نسائكم) وجيء بما يقابله (حرثكم) لحكمة أشار إليها الزمخشري؛ بأنها من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة التي ترد في القرآن[١].

وكذا في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٦]، يُلحظ وقوع الاستبدال الاسمي بين اللفظ (أجر) في جملة التذييل و(جزاء) في صدر الآية الشريفة إذ حل اللفظ في قوله تعالى: (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) محل (جزاء) وذلك لحكمة وسر إعجازي، يتضح مما ذهب إليه المفسرون بقولهم "إنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل، وأجر مستحق عليه"[٢]، ومن اللطيف ما ذكره الراغب الأصفهاني "الأجر والأجرة يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد، ولا يقال إلا في النفع دون الضر (...)، والجزاء يقال فيما كان عن عقدٍ وغير عقد، ويقال في النافع والضار"[٣]، مما سبق يتضح أن استعمال (الجزاء) في صدر الآية لما فيه من العموم، إذ إنّه يستعمل مع العقد وعدمه وللنافع والضار، أما (الأجر) فقد استعمل لما فيه من الخصوص إذ إنّه يستعمل مع العقد وما يجري مجراه وفي النفع فقط. والنكتة الإعجازية تبدو جلية في كلام البيضاوي بقوله: "فصل آية هؤلاء بقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، لأن المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه، وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والأجير، ولعل تبديل لفظ الجزاء بالأجر لهذه النكتة"[٤]، وأن "قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ تذييل لإنشاء مدح الجزاء (...)، وسمِّي الجزاء أجراً لأنَّه كان عن وعد للعامل بما عمل"[٥].

إنّ الدور الذي قام به الاستبدال في الربط بين جملة التذييل وصدر الآية الشريفة من خلال الاستمرارية واضح، وجاز هذا الاستبدال؛ لأن توافقا حاصل بين مدلولي اللفظين في هذا السياق ولتبقى عملية الاتصال في النص قائمة، وأيضا لأن "الاستبدال الذي مجاله الاستخدام لا التقدير، لا يسمح بالجمع بين المستبدل والمستبدل منه معا في موقع واحد، كما لا يسمح بحذفهما معا، والغاية منه إما الإيجاز والاختصار، أو الاتساع والتجوّز أو التفصيل زيادة في البيان"[٦].

يُضاف إلى ذلك أنّ الاستبدال في هذا المثال حدث ضمن المجموعة الاسميَّة، إذ إنَّ الاسم (جزاء) استبدل باسم آخر هو (أجر) نتيجة التقابل بينهما من حيث الاسمية وأنهما يدلان على نفس الشيء غير اللغوي في الآية وهو (المغفرة والجنات)، وهما مختلفان في اللفظ.

وهنا يظهر الاختلاف بين الإبدال والإحالة. ففي الإحالة المحيل عادة ما يشير إلى المحال عليه نفسه، بخلاف الإبدال الذي يتمُّ بإبدال شيء آخر غير المبدل منه، وهذا الذي أجاز هذه العملية اللغوية التي من

---

١) ينظر: الكشاف: ١ / ١٩٦.
٢) الكشاف : ١ / ٣٨٩.
٣) المفردات في غريب القرآن: ٦٤.
٤) انوار التنزيل واسرار التأويل: البيضاوي: ١ / ٣٩١.
٥) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٢٠.
٦) نحو النص: عثمان أحمد ابو زنيد: ١٢٣.

خلالها تقر لسانيات النص بوجود الاتساق داخل التراكيب التي فيها هذه الصور.

ومن هنا يُستشف أنّ الاستبدال قد مثّل العلاقة النصية بين عنصر متقدم وعنصر آخر متأخر، من خلال العلاقة القبلية بينهما إذ يكون هذا العنصر المتأخر بديلاً للعنصر المتقدم، وهذا ما يجعل هذه العناصر قادرة على تحقيق الترابط والاتساق داخل النص.

٢- الاستبدال الفعلي:

الاستبدال الفعلي: "وهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية"[١]، وهو الذي "يعبر عنه بالفعل البديل / الكنائي (فعل)، (...) حيث يأتي إضماراً لفعل أو لحدث معين أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل / العبارة الفعلية الأكثر تحديداً"[٢]، يمثله استخدام صيغة الفعل (فعل - عمل - يفعل) و"يجوز استبدال الفعلين المترادفين مثل: (أنهى) بـ(أنجز)، لترادف المعنيين"[٣]، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٣- ١١٥]، يتجلى الاتساق في عملية الاستبدال الفعلي الذي حصل بين جملة التذييل والآيات السابقة لها وأنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ هو: "تذييل للجمل المفتتحة بقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ [آل عمران: ١١٣] إلى قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]"[٤]، فقد ورد فيها استبدال فعلي؛ إذ استبدلت الكلمات التي تصف أفعالهم وهي (يتلون، ويؤمنون، ويأمرون، وينهون، ويسارعون) بكلمة (يفعلوا) التي شملت كل ما يقومون به من أفعال إذ "عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود، لأنه أبين لما يفعلون"[٥]، يُلحظ أن كلمة (يفعلوا) عوضت عن تكرار أفعالهم السابقة الذكر التي أُختُزلت بهذه الكلمة؛ وذلك "ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل / العبارة الفعلية الأكثر تحديدا"[٦] وعدم التكرار.

ولما "كان التقدير: فما فعلوا من خير فهو بعين الله سبحانه وتعالى، يشكره لهم، عطف عليه قوله: (وما تفعلوا) أي أنتم (من خير) من إنفاق أو غيره (فلن تكفروه)، بل هو مشكور لكم بسبب فعلكم"[٧]،

---

١) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

٢) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٤.

٣) نحو النص: عثمان أحمد ابو زنيد: ١٢٣.

٤) التحرير والتنوير: ٣ / ١٩٣.

٥) الكشاف: ١ / ٣١٣

٦) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٤.

فعلكم"[1]، أي: بسبب أفعالكم السابقة، وبهذا الاستبدال الفعلي هنا قد تحقق نوع من الاتساق النصي من خلال إحدى غايات الاستبدال وهي الإيجاز والاختصار فكلمة (يفعلوا) في جملة التذييل أغنت عن التطويل والتكرار في الكلام إذ تم استبعاد ما قبلها من كلمات، مع الحفاظ على معانيها، واستمرارية محتوى الأفعال (يتلون، ويؤمنون، ويأمرون، وينهون، ويسارعون)علاوة على ما فيها من ربط مع جملة التذييل واتساق النص.

ومن أمثلة الاستبدال الفعلي قوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، فيتجلى الاتساق في عملية الاستبدال الفعلي الحاصلة في هذه الآية الشريفة، إذ استُبدِلَ الفعل (أمر)، بلفظ (يفعل) الواقع في جملة التذييل، و"الكلام تذييل للاستثناء، وكان الظاهر ومن يأمر بذلك ليكون مطابقاً للمذيل (...)، وجوز أن يكون عبر عن الأمر بالفعل إذ هو يكنى به عن جميع الأشياء، ولعل نكتة العدول عن يأمر إلى (يَفْعَلُ) حينئذ الإشارة إلى أن التسبب لفعل الغير الصدقة والإصلاح والمعروف بأي وجه كان كاف في ترتب الثواب، ولا يتوقف ذلك على اللفظ، ويجوز جعل ذلك إشارة إلى الأمر فيكون معنى من أمر ﴿وَمَن يَفْعَلْ﴾ الأمر واحداً"[2]،وجاء في تفسيرها أنه "بني الكلام على الأمر ورتب الجزاء على الفعل (...)، وأن العمدة والغرض هو الفعل"[3].

والاستبدال بهذا المعنى قد شكل بديلا في النص، وهو "وسيلة هامة لإنشاء الرابطة بين الجمل، وشرطه أن يتم استبدال وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة حيث ينبغي أن يدل كلا الشكلين اللغويين على الشيء غير اللغوي في نفسه"[4]، ومن خلال علاقة التقابل في الوظيفة بين الفعلين وأنهما يعودان على الشكل غير اللغوي نفسه فكلمة (يفعل) وكلمة (أمر) الواقع بينهما الاستبدال دالتان على تلك الأعمال الواقعة في الخارج من (أمر بصدقة، أو معروف، أو إصلاح بين الناس)، فقد تحقق شرط التقابل في الوظيفة وحصل الربط بين جملة التذييل وما قبلها.

وقد تحققت وظيفة الاستبدال من (استمرارية وتلاحم) إذ "عبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن سائر الأفعال"[5]، من خلال اتحاد السياق وعلاقة التقابل الوظيفي بين الفعلين التي تقتضي التحديد والاستبعاد، مما برزت عنه وظيفة الاستبدال وهي الإيجاز والاختصار في هذا المثال.

---

١) نظم الدرر: ٢/ ٩٩.
٢) روح المعاني: ٣ / ١٤٠.
٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١ / ٤٩٨.
٤) نحو النص: أحمد عفيفي: ١٢٤.
٥) الكشاف: ١/ ٤٦٢.

٣- الاستبدال القولي أو الجملي:

الاستبدال القولي: هو الاستبدال الذي يكون استبدال لجملة بكاملها إذ تقع أولاً جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة مثل (هذا، وذلك، ولا)[١].

والاستبدال على نحو أساسي "علاقة نصية سابقة حيث يتم الربط من خلال وقوع العنصر المستبدل أولا، ثم استخدام العنصر البديل بعد ذلك"[٢]، ومن أمثلة الاستبدال القولي، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۝٥٧ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، الاستبدال القولي حاصل في اسم الإشارة (ذلك) في جملة التذييل وهي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾، وبين المشار إليه مما ذكر في الآيات السابقة.

وقد حقق اسم الإشارة (ذلك) استبدالاً نصيا من خلال اختزاله لتراكيب نحوية وهو ما تقدم، كما جاء في التفسير "ذلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ نَبَأِ عِيسَى وَزَكَرِيَّا وَغَيْرِهِمَا"[٣]، فإنّ اسم الإشارة (ذلك) قد جاء اختصارا لتركيب نحوي يمكن أن يُقدر بـ (هذا الذي قصصناه عليك يا محمد ﷺ...) إذ جاء في تفسير ابن كثير ما يدل على هذا الاختصار؛ "أَيْ: هَذَا الَّذِي قَصَصْنَاه عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فِي أَمْرِ عِيسَى وَمَبْدَأِ مِيلَادِهِ وَكَيْفِيَّةِ أَمْرِه"[٤]، وبذلك استُغني عن إعادة الوحدات النصية السابقة، إذ قام اسم الإشارة (ذلك) مقام هذه الوحدات النصية ويُلحظ على (اسم الإشارة) في هذا النص أنّه قد استُبدِلَ به ليعوض عن مجموعة من الجمل كما يبدو من كلام المفسرين: "يعني بقوله جل ثناؤه: (ذلك)، هذه الأنباءَ التي أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمِّه مريم، وأمِّها حَنَّة وزكريا وابنه يحيى، وما قصَّ من أمر الحواريين واليهودَ من بنى إسرائيل (نتلوها عليك)، يا محمد"[٥].

وبذلك يكون اسم الإشارة قد حقق نوعا من التماسك النصي والترابط بين الكلام السابق وجملة

---

١) ينظر: علم لغة النص: عزة شبل: ١١٥. وينظر: نحو النص: احمد عفيفي: ١٢٤.
٢) نفسه : ١١٣.
٣) التفسير الكبير: الرازي: ٨/ ٢٤٢.
٤) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٢ / ٤٩.
٥) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري: ٦ / ٤٦٦.

التذييل ولولا ذكر اسم الإشارة (ذلك) لما تبيّنت أهمية الأنباء المتلوة لما "فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنِ الْمُشَارِ إليهِ وبُعْدِ منزلتِه في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمرِ ونباهةِ الشأن بمنزلة المشاهَد المعايَن"[1]، ومن خلال علاقة التقابل بين عنصري الاستبدال وهما هنا اسم الإشارة (ذلك)، والوحدات النصية (المشار إليه) قد اقتضت تحديد (المشار إليه)، وهو الأنباء المتلوة واستبعادها، لأن عنصري الاستبدال يتحدان في السياق اللغوي ذاته، وبذا يكون الاستبدال قد حقق أموراً عدة منها الاتساق النصي، والتلاحم من خلال الاستمرارية في النص، وحقق الاختصار والإيجاز، وأيضاً هو مظهر مهم من مظاهر التوسع اللغوي ، وهذا من أهم غايات الاستبدال.

ومن أمثلة الاستبدال القولي ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨]، فالاستبدال حاصل بين أسم الاشارة (هذا) الذي ورد في جملة التذييل ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾، والقول السابق في الآية (١٣٧)، فقد جاء عند المفسرين أنه؛ "إشارة إلى ما تقدم ذكره في قوله: (قد خلت من قبلكم سنن...) الآية، أي: هذا الذي عرفتكم بيان للناس"[2]، وأن جملة ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هي "تذييل يعمّ المخاطبين الحاضرين ومن يجيء بعدهم من الأجيال (...)، فإن جعلت الإشارة إلى مضمون قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ [آل عمران: ١٣٧] الآية فإنَّها بيان لما غفلوا عنه"[3]، تكون الإشارة للدلالة على أن المشار إليه من أخبار سابقة صار حريا بها أن توصف بما وصف به هذا البيان بعد اسم الإشارة، فالاستبدال - مما سبق - ليس مجرد وسيلة أو علاقة نحوية – معجمية فقط؛ بل لتحقيق علاقة دلالية كذلك، وجاء في تفسيرها أيضا أن " اسم الإشارة يعود إلى ما تقدم هذه الآية الكريمة من أوامر ونواه"[4].

وعليه "يكون قوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ﴾، إشارة إلى ما لخص وبين من أمر المتقين والتائبين والمصرّين"[5]، وهو من الوسائل التي تُوظف لتجنب تكرار التعبير نفسه، وبذا قد تحصلت غاية الاستبدال من إيجاز واختصار وزيادة في تأكيد المعنى عند المتلقي مع تحقق أثره من التلاحم والاستمرارية التي تؤدي إلى الربط بين السابق واللاحق.

فقد عوض اسم الإشارة (هذا) عن إعادة القول السابق وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، فحقق اسم الإشارة ترابطا نصيا من خلال اختزاله لتركيب نحوي، لو ذكر بدلا من اسم الإشارة لحصل تكرار في النص وانقطعت استمراريته ولتفكك تلاحمه وترابطه، كما ترجع أهمية الاستبدال في تحقيق سبك النص من خلال ملاحظة التقابل،

---

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢ / ٤٥.
٢) التبيان: الطوسي: ٢ / ٥٩٨.
٣) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٢٣.
٤) التفسير الوسيط: سيد طنطاوي: ١ / ٧٤٧.
٥) الكشاف: ١ / ٣٢٦.

بين عنصري الاستبدال (اسم الإشارة في النص السابق والكلام الذي يسبقه)، والاستغناء عن إعادة وحدات نصية سابقة، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق (تركيب نحوي) في النص وعنصر لاحق فيه.

قد تبين أنّ الاستبدال يُسهم في الترابط النصي ويشمل المستوى النحوي والمعجمي بين مفردات أو عبارات، ولا يتم ذلك إلا من خلال الدور الذي يقوم به الاستبدال في اتساق النص ومن خلال العلاقة بين العنصر المستبدل والعنصر المستبدل به، والتي هي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق في النص.

وتبين أن أهمية الاستبدال ترجع إلى أنه يحقق سبك النص من خلال ملاحظة التقابل بين عنصري الاستبدال، والاستغناء عن إعادة وحدات نصية سابقة، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق (تركيب نحوي) في النص وعنصر لاحق فيه.

وأن الاستبدال يؤدي إلى الإيجاز ومن ثَمّ تسهيل المعنى وتقريبه للقارئ، ويهدف إلى توليد الجمل في الإطار القرآني بإحلال عنصر لغوي مكان آخر مما يؤدي إلى تغيير في البنية الشكلية في العبارات، وأنه يحقق تنويعاً في الشكل على مستوى الاستبدال الاسمي، والاستبدال الفعلي، والاستبدال القولي، ويسهم في تحقيق الترابط والتواصل النصي، ومن خلال إسهام كل من (فعل وفاعل، واسم وضمير، وتركيب وقول وغيرها) بدورها في النص لتؤدي أثرها في الاتساق النصي ويتبين للمتلقي النص والمعنى المراد منه.

ثانياً: الحذف:

يعد الحذف من وسائل الاتساق النحوي، والحذف كما يراه البعض : "هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"[١].

والحذف عملية تتم بين الكاتب والقارئ أو المرسل والمتلقي إذ يقوم منتج النص بحذف ما كان معلوماً عند المتلقي أو القارئ وحين ما توجد قرينة تدل على المحذوف[٢]. وهذه الوسيلة من وسائل الاتساق هي علاقة نحوية معجمية تتم داخل النص ويشبه الاستبدال من حيث طريقة الاستعمال. إذ إنّ الحذف - كما يصفه بعض الدارسين - استبدال بدرجة الصفر؛ أي أن المُستبدَل به لا يذكر وإنما يترك فراغا يملأه القارئ أو السامع باعتماده على النص السابق[٣]، ويلجأ إليه مستعملو اللغة طلبا للخفة ولعلم المخاطب به، وغالبا ما يكون المحذوف قد ورد ذكره في الكلام السابق، فتستثقل إعادته[٤].

وقد أشار النحاة القدماء إلى ذلك كثيرا في مؤلفاتهم فابن جني مثلاً أفرد في كتابه الخصائص بابا أسماه (باب في شجاعة العربية) تحدث فيه عن الحذف بإسهاب؛ فالعرب حذفت الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. ولا يحذف شيء من هذه الأشياء إلا عن دليل يدل عليه[٥]، ولأهمية علاقة الحذف لا تكاد تجد مؤلفا في النحو العربي وفي علم المعاني، وفي إعجاز القرآن وتفسيره يخلو من الحذف. وللحذف - كما يذكر صاحب دلائل الإعجاز - أهمية، فهو "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[٦]. وهو بذلك يبين ما للحذف من فائدة تفوق فائدة الذكر في بعض الأحيان "إذا كانت بعض العناصر النحوية تؤثر بوجودها فهناك بعضها المحذوف الذي يؤدي حذفه إلى تأثير آخر"[٧].

ونظراً لميل اللغات إلى الحذف كثيرا، أصبح "ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية"[٨]، فالحذف لا يخص العربية فحسب، وإنما – أيضا – اللغات الأخرى. وهو من مقاصدهم في كلامهم، طلبا

---

١) النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.
٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ظاهر سليمان حمودة: ٦.
٣) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢١.
٤) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ١٤٤-١٤٦.
٥) ينظر: الخصائص: ٢/ ٣٦٠.
٦) دلائل الإعجاز: ١٤٦.
٧) الإبداع الموازي: محمد حماسة: ٥٨.
٨) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٦.

للإيجاز والاختصار[١]، وان كانت عنايتهم بالتطبيق أقوى من عنايتهم بالتنظير، والكشف عن المحذوف يكون بإمعان النظر في البنية العميقة التي شكلت البنية السطحية للنص، وهي من الأمور التي لها دخل في قوة العبارة وشدة تماسكها [٢]، والتي تخضع بدورها للسياق.

فـ"يظهر الحذف عندما تشتمل عملية فهم النص على إمكانية إدراك الانقطاع على مستوى سطح النص، حيث نفترض عنصراً سابقاً يعد مصدراً للمعلومة المفقودة، فيترك العنصر المحذوف فجوة على مستوى البنية التركيبية، يمكن ملؤها من مكان آخر في النص"[٣].

ولّما كان الحذف ظاهرة لغوية اشتركت به جميع اللغات الإنسانية دون استثناء، إذ يقوم المتكلمون بحذف بعض العناصر المكررة في الكلام، أو بعض ما يستحق حذفه ويفهم من المقام أو المقال، لذلك أخذت هذه الظاهرة عناية الدارسين اللغويين، فبينوا حقيقة هذه الظاهرة، لكن السؤال الذي يبقى يدور في الأذهان: ما دور هذه الظاهرة في اتساق الكلام؟ وهل يمكن لشيء محذوف ان يربط بين أجزاء كلام؟ ويكون له دور في تماسك النصوص؟.

وهذه الوسيلة من وسائل الاتساق (الحذف) توصف بأنها "انحراف عن المستوى التعبيري العادي، ويستمد الحذف أهميته من حيث انه لا يورد المنتظَر من الألفاظ ومن ثم يفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر فيما هو مقصود، ويتحدد الحذف بأنه علاقة تتم داخل النص"[٤]. والحذف عند علماء النصية هو "اعتداد بالمبنى العدمي، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة (العادي)"[٥]، أو "ما قد يبدو في تقدير الناظر"[٦]، وفي "النظريات اللغوية اللغوية التي تضع حدوداً واضحة للصواب النحوي أو المنطقي يتكاثر بحكم الضرورة نظرها إلى العبارات بوصفها مشتملة على حذف"[٧]، ويشترط في الحذف وجود دليل على المحذوف يتمثل في قرينة أو قرائن مصاحبة حالية أو عقلية أو لفظية كي لا يحدث التباس في فهم المعنى، بل يسهم في استمراريته وتماسكه[٨].

و "لا فرق من حيث التعريف بين التراث اللغوي العربي وبين لسانيات النص؛ فما مر علينا من تعريف (دي بوجراند) للحذف هو نفسه ما ثبت عند اللغويين القدامى. إنما الفارق بينهما في نوع الحذف؛ فأنواع الحذف تلك لا تؤدي وظيفة السبك النصي كُلُّها؛ بل الذي يؤدي هذه الوظيفة هو نوع

---

١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٤ -١٠٥.
٢) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ١٠٠.
٣) علم لغة النص: عزة شبل محمد: ١١٥ -١١٦.
٤) المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ١٠٦.
٥) النص والخطاب والاجراء: ٣٤.
٦) نفسه: ٣٤٠.
٧) نفسه: ٣٤٠.
٨) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: صبحي ابراهيم الفقي: ٢/٢٠٧.

واحد فقط هو ما عرف عندهم بـ (الاحتباك)؛ فالحذف هو اعتداد بالمبنى العدمي"[١]، والحذف الذي له دور "في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"[٢]، وذكر بعض الدارسين إن "الحذف علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[٣]، وأن "الفارق بين الدليل اللفظي عند اللغويين العرب والدليل عند النصيين هو؛ إن الأول يدور في حدود الجملة؛ فحذف المبتدأ بدليل الخبر عليه، وحذف الفاعل أو المفعول بدلالة الفعل، في حين عند النصيين يتعدى حدود الجملة؛ لينتقل إلى جملة أخرى سابقة أو لاحقة"[٤].

وهذا ما أكده البعض بقولهم؛ إن "العلاقة بين طرفي الجملة علاقة بنيوية لا يقوم فيها الحذف بأي دور اتساقي وبناء عليه فإن (أهمية) دور الحذف في الاتساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"[٥].

إن الدليل على المحذوف له دور في الترابط النصي وإنّ "أهمية وجود الدليل على المحذوف مقالياً أو مقامياً تكمن في كونه يحقق المرجعية بين المذكور والمحذوف في أكثر من جملة وكذلك قد يحقق التكرار باللفظ والمعنى وقد يكون بالمعنى دون اللفظ، لكن تظل استمرارية النص قائمة مما يسهم في تماسك النص"[٦]، فإنّ اتساق النص بالحذف يقوم على ثلاثة محاور هي[٧]:

١- التكرار، وذلك بعد تقدير المحذوف.

٢- المرجعية بين العنصر المحذوف والعنصر المذكور، وتكون قبلية أو بعدية وهذه المرجعية داخل النص.

٣- الدليل أو القرينة التي تشير للعنصر المحذوف، وهي التي تنشأ مع المرجعية الداخلية، ومن ثم يتحقق الاتساق النصي.

وثمة صنفان لمرجعية الحذف:

أولاً: مرجعية داخلية، في هذا النوع لابد من وجود دليل مذكور يسهم في تقدير المحذوف ويرتبط المحذوف بعلاقة قبلية مع العناصر اللغوية التي تسبقه[٨].

ثانياً: مرجعية خارجية، وهذا النوع يعتمد على سياق الحال الذي يمدنا بالمعلومات التي تسهم في

---

١) السبك النصي في القرآن الكريم: احمد حسين: ٨٥-٨٦.
٢) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢.
٣) نفسه : ٢١.
٤) السبك النصي في القرآن الكريم: ٨٦.
٥) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢.
٦) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٦.
٧) ينظر: علم اللغة النصي: بين النظرية والتطبيق : صبحي ابراهيم الفقي: ٢/٢٠٧.
٨) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢١.

تفسير النص[١].

وإن "الحذف بنوعيه - سواء أكانت مرجعيته مرجعية داخلية أم خارجية - يسهم في التماسك أو الترابط النصي بين الوحدات"[٢].

وقد قُسِّمَ الحذف عند هاليداي ورقية حسن إلى أنواع هي[٣]:

- الحذف الاسمي: حذف اسم داخل المركب الاسمي.
- الحذف الفعلي: حذف داخل المركب الفعلي.
- الحذف الجملي.

وقد جاءت هذه الأنواع جميعها في جمل التذييل في مواضع متعددة من القرآن الكريم وعلى النحو الآتي:

أولاً: الحذف الاسمي[٤]: وهو يعني الحذف داخل المجموعة الاسمية، وإن الحذف يعد واحداً من العوامل التي يتحقق بها الاتساق أو التماسك أو الترابط النصي، وهذا ما أكده بعضهم[٥]، وهو من أقوى العوامل التي يتحقق بها التماسك النصي بين الجملتين؛ إذ تتحقق المرجعية من خلال المذكور والمحذوف معاً، في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، فقد جاء في تفسيره "أي: خلق الله الإنسان ضعيفا"[٦]، فلم يذكر الفاعل في المثال السابق لأنه معلوم[٧]، ورُكز على على الحدث والفعل[٨]، أو أنه حذف الفاعل ليشير إلى سر بياني من أسرار القرآن "ببناء الفعل للمجهول لما كان القصد بيان نقص الإنسان وضعفه"[٩]، وأن قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ "تذييل وتوجيه للتخفيف"[١٠] فالحذف علاقة داخل النص، كما مر بنا وفي أغلب الحالات تكون المادة المفترضة موجودة في الجزء السابق من النص[١١]، وهذا تماما ما هو موجود في الآية الشريفة إذ جاء في صدر الآية ﴿يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ وان لفظ الجلالة (الله) هو ما كان محذوف من جملة التذييل في النص الشريف، ناهيك عن أنّ الحذف يناسب التخفيف الذي جاء في صدر الآية، وان غاية الحذف الأساسية عند مستعمل اللغة هي الاختصار وتحقق الخفة في الكلام لدى المتلقي.

---

١) ينظر: علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم الفقي: ٢ / ٢٠١.
٢) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: د. احمد عزت يونس، ٢٢٤- ٢٢٥.
٣) علم لغة النص: عزة شبل، ١١٨.
٤) ينظر: نفسه: ١١٨ -١١٩.
٥) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي، ٢١.
٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي: ٥ / ١٤٩.
٧) ينظر: البلاغة العربية: احمد مطلوب: ١١٦.
٨) ينظر: المحتسب: ابن جني: ١/٦٦.
٩) لمسات بيانية: فاضل السامرائي: ١ / ٤٢٧.
١٠) التحرير والتنوير: ٣/٣٩٢.
١١) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢.

وبما أن الحذف عملية تقع بين المرسل والمتلقي إذ يقوم المرسل بعملية الحذف لكنه لا يحذف إلا ما كان معلوماً عند المتلقي أو من خلال وجود قرينة تدل على المحذوف[١]، والقرينة في هذه الآية هو وجود لفظ الجلالة في صدر الآية ولعلم المتلقي بالخالق حذف الفاعل في جملة التذييل وعوض عنه بنائب الفاعل، وان قرينة المعنى تدل على المحذوف وهو أن لا خالق إلا الله سبحانه وتعالى.

وأثر الحذف واضح في ارتباط المحذوف من جملة التذييل بالمذكور في الجملة الأولى مما ساعد في اتساق النص، إذ إنّ الدليل سابق والمرجعية داخلية فهذا مما يجعل النص أكثر اتساقاً وتماسكاً.

ويضاف إلى ذلك أنّ العرب بطبعهم ومزاجهم اللغوي يميلون إلى الحذف رغبة في الإيجاز[٢]، ويطلبون الخفة في الكلام عند امن اللبس في استعمالاتهم اللغوية، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وفقاً لنواميس العربية وعاداتهم اللغوية وان الآية الكريمة جاءت فيها جملة التذييل لتعلل سبب ما جاء في صدر الآية وهو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ...﴾ [النساء: ٢٨]، فجاءت جملة التذييل تعلل سبب هذا التخفيف وهي قوله تعالى: ﴿... وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ قد حذف الفاعل وعوض عنه بنائب الفاعل لتكون أول مصداق لهذا التخفيف.

ولا يشترط في الدليل أن يكون سابقاً، لأنه يرد سابقاً ولاحقاً، وعليه تتحدد المرجعية فتكون أحياناً سابقة، وأخرى لاحقة. و" في حالة ذكر الدليل داخل الآية، سواء أكان سابقاً أم لاحقاً، فإن المرجعية تكون داخلية. وهذا يحقق التماسك بين عناصر النص الواحد"[٣]، ومن الأمثلة المتضمنة على المرجعية الداخلية والدليل لاحقاً، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٩- ٢٢٠]، إن الحذف حصل في المركب الاسمي من جملة التذييل وهو حذف الاسم (إِعْنَاتَكُمْ) من موضعها كمفعول به لـ(شاء) في النص[٤]، من خلال الشرط وجوابه الذي حافظ على الاتساق وارتباط المحذوف بالجملة الأولى فهي التي توجه المحذوفات في النص وذهب المفسرون في هذه الآية إلى تقدير محذوف فقالوا: "وَلَوْ شاءَ اللهُ لَأَعْنَتَكُمْ أي ولو شاء الله إعناتكم لأعنتكم"[٥]، والدليل على المحذوف لاحق هو ما جاء

---

١) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٦.

٢) ينظر: نفسه : ٩.

٣) علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم الفقي: ٢ / ٢٢٨.

٤) ينظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه: محي الدين الدرويش: ٢ / ٢٨٨.

٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ١ / ١٣٨.

جاء في التفسير أن "مَفْعُولُ: شَاءَ، مَحْذُوفٌ لِدَلَالَةِ الْجَوَابِ عَلَيْهِ، التَّقْدِيرُ: وَلَوْ شَاءَ اللهُ إِعْنَاتَكُمْ"[1]، فحذف من الشرط لدلالة الجواب عليه وبذلك تتحقق إحدى غايات الحذف وهي الإيجاز والاختصار فالحذف عمل على تقوية المعنى وعدم تكرار الكلمة نفسها في الآية ولبيان أن عدم الإعنات متحقق من جهتي الحكم الشرعي، وكذلك من جهة السياق اللغوي أيضا، "وحذف مفعول المشيئة لدلالة الجواب عليه، وفي ذلك إشعار بكمال لطفه سبحانه ورحمته حيث لم يعلق مشيئته بما يشق علينا في اللفظ أيضا"[2].

ويُستشف من هذا الحذف في جملة التذييل أنّه يُلفت انتباه المتلقي إلى المحذوف من الكلام ويجعله يفكر في المقصود ليربط بين الجمل والبحث عن الدليل اللاحق له في هذا النص؛ إذ إنّ السياق كان سياق أسئلة وتعرف على حدود شرعية، فإنّ الحذف في هذا الموضع يُلمح منه إشارة إلى التخفيف في هذه الأحكام وهو عدم الإعنات كما تقرر من وقوف الألوسي على هذه اللمحة الإعجازية إذ لم يكلفنا بما يشُق علينا حتى باللفظ.

ثانياً: الحذف الفعلي: ويعني الحذف داخل المجموعة الفعلية وهـو مـا يشير إليه بعض الدارسين " وهو الحذف المعجمي حيث يُفقد الفعل المعجمي من المجموعة الفعلية"[3]، أي: هو حذف داخل المركب الفعلي. ومن أمثلة ذلك في جمل التذييل في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧] هـي تذييل[4]، لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، إذ ذهب بعض المفسرين إلى أن (الحق) في قوله ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، منصوب بفعل محذوف فقالوا: "يصح نصبه على تقدير: إلزم الحق"[5]، "وَقِيلَ رُفِعَ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ أَيْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ"[6]، وَرُوِيَ عَنْ الإمام عَلِيٍّ عليه السلام: "أَنَّهُ قَرَأَ (الْحَقَّ) مَنْصُوبًا بِـ(يَعْلَمُونَ) أَيْ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ"[7]، فقد وقع الحذف الفعلي في قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، الذي فتح الدلالة النصية أمام المتلقي ليشارك في انتاج فهم النص، فيتمكن من تقدير فعل ينسجم مع السياق النصي كما ذهب المفسرون إلى تقديره بـ (إلزم، أو جاء، أو يعلمون)، مما يجعل المتلقي يشترك في إنتاج فهم النص من خلال ربطه بالسياق، وأهمية الحذف تعظم وتكبر بما توفره من ترابط بين الجمل ضمن الخطاب أو النص[8]، فالحذف ذا بعد نفسي ويكون بـ "التوسيع في الدلالة الإيحائية ويتمثل في فتح باب التخيل والاحتمال على مصراعيه أمام المتلقي ليفيد منه بحسب خبرته،

---

١) البحر المحيط: ٢ / ٤١٤.
٢) روح المعاني: ١/ ٥١١.
٣) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٨.
٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٣٦.
٥) المحرر الوجيز: ابن عطية: ١/١٦٩. وينظر: روح المعاني : ٢/٥٣، وينظر: البحر المحيط: ٢/٧٢.
٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن : الحسين بن مسعود البغوي: ١ /١٦٤.
٧) الجامع لأحكام القرآن : القرطبي: ٢ / ١٦٣.
٨) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢.

ويتخيل من الصور والمعاني بحسب ما يمكن أن يوصي به النص"[1].

ومن أمثلة الحذف الفعلي قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الانفال: ١٢- ١٣]، حصل الحذف في هذه الآية الشريفة في جملة التذييل، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، بحذف الفعل (يشاقق) بعد حرف العطف والدليل سابق وهو الفعل (يشاقق) المذكور "قال ابن عباس: ﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يريد: حاربوا الله وحاربوا رسوله"[2]، وهو حذف من المركب الفعلي والمرجعية داخلية إذ إن الدليل مقالي نصي وبذلك يكون الترابط النصي متحقق من خلال الاستمرارية في النص إذ إن الدليل المذكور هو من لفظ المحذوف وإن غاية الحذف هي الاختصار وعدم التكرار في النص متحققة في هذا النص الشريف.

ومما يلفت النظر في هذا الحذف هو أنه قد حقق غاية الحذف من اختصار وعدم تكرار الفعل على المستوى السطحي للنص، وكذلك قد حقق غاية أخرى على المستوى المعنوي العميق في النص وهي أنه لو قال (يشاقق الله ويشاقق الرسول) لذهب الظن إلى أن من يشاقق الرسول ﷺ، لا يعدُّ أنه شاقق الله، فقد ذهب المفسرون إلى أنهم "شاقوا الله ورسوله، أي صاروا في شق، والله ورسوله في شق آخر، يحاربون الله ورسوله، ويغالبونهم حاسبين أنهم الغالبون، (...) وذكر الله ورسوله، وكان يكفي ذكر الرسول أو ذكر ربه؟ والجواب عن ذلك الإشارة إلى أن محاربة الرسول محاربة لله، وأن طاعة الرسول طاعة لله (مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)، وإلى أن عصيان الرسول محاربة لله سبحانه وتعالى"[3]، فيكون بذلك أن من يعادي الرسول فهو عدو لله تعالى وكذلك لا يتحقق ما يذهب إليه اليهود والنصارى بأن عدائهم للرسول هو ليس عداء لله فقد بطلت هذه دعواهم.

ثالثا: الحذف الجملي[4]: أو ما يسمى بـ (حذف العبارة) و"هذا النوع يختلف عن النوعين السابقين، السابقين، فالحذف هنا لا يقتصر على المجموعة الاسمية أو الفعلية، وإنما يشمل العبارة بما تحويه من أسماء أو أفعال"[5]، نحو قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]، ففي الآية الشريفة جملة تذييل[6]، وقد احتوت على حذف عبارة وهي جواب "مَنْ" فهو محذوف تقديره: يعاقبه والقرينة عليه نصية بدليل

---

١) الأسس النفسية لأساليب البلاغية العربية، محمد بن عبد الحميد: ١٢٩.
٢) البسيط: الواحدي: ١٠ / ٥٧.
٣) زهرة التفاسير: محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة: ٦ / ٣٠٨١.
٤) ينظر: علم لغة النص: عزة سبل: ١١٨.
٥) الاتساق في العربية: جبار سويس: ٦٤.
٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢/ ٢٣٥.

قوله تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، إذ جاء في التفسير "الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ مَحْذُوفًا لِدَلَالَةِ مَا بَعْدَهُ عَلَيْهِ، التَّقْدِيرُ: يُعَاقِبُهُ"[١].

وقد أفاد الحذف مع الإيجاز تنبيه المبدل لنعمة الله لسوء مصيره ليتدبر أمره[٢]، وهنا الحذف وقع في جملة الجواب بأن حذفت وفُهِمَ من السياق ما هو المحذوف، وعلاقة الحذف في هذا النص هي علاقة داخل النص وهي علاقة بعدية إذ إنّ جملة جواب الشرط هي المحذوفة من النص، وان جملة الشرط قد أمدت المتلقي بالسياقات اللفظية لإكتشاف المحذوف من خلال ارتباط جملة الجواب المحذوفة بجملة الشرط المذكورة وهذا النوع من الحذف يسهم في ترابط الوحدات اللغوية مما يؤدي إلى اتساق النص بالاعتماد على التراكم المعرفي لدى المتلقي.

وكذلك حصل حذف جملة في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [ال عمران: ٩٢]، في هذه الآية الشريفة تذييل[٣]، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، وفي هذا التذييل جملة شرط و"قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ تعليل جواب الشرط المحذوف والتقدير: وما تنفقوا من شيء فمجازيكم بحسبه فإن الله به عليم، وفي حذفه إشارة إلى كرم الله الذي يجازي على الحسنات أضعافا مضاعفة"[٤]. وذكر أحد المفسرين هذا المعنى فقال: "فيجازيكم بحسبه"[٥]، وهذا ما يؤكده السياق بأن جواب الشرط محذوف ما سبق في صدر الآية الشريفة وجاء تفسيره أن"(لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر، ولن تكونوا أبرارا. وقيل: لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها"[٦]. فان ما ذكره ذكره صاحب الكشاف من أن (بر الله وهو ثوابه) أي: إن الثواب مشروط بالإنفاق مما يحبون وهذا دليل نصي يرشد إلى ما هو محذوف من جملة التذييل وهو جواب الشرط، وبهذا يكون قد تحقق من خلال الحذف اتساق نصي بين جملة التذييل وصدر الآية الشريفة.

ومما سبق يظهر الأثر الذي يقوم به الحذف في جمل التذييل يؤدي إلى تحقيق الترابط النّصّي في الآيات السابقة من إثارة الذهن في تقدير المحذوف وملء الفراغات في النّصّ مما ينتج عنه تكرار واضح بين الدليل المذكور سواء أ كان لاحق أو سابق وبين العنصر المحذوف، والمرجعيّة العائدة إلى المذكور، يلمس معها المتلقي ترابطاً واتساقاً واضحاً بين جمل النّصّ.

---

١) البحر المحيط: ٢/ ٣٥٢.
٢) ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ١١٥.
٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ١٥٧.
٤) الحذف البلاغي في القرآن الكريم: ١٢٠.
٥) تفسير ابن عجيبة: ١/٣٠٧.
٦) الكشاف: ١/ ٢٩٦. وينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: ١ / ٤١٧.

المبحث الثالث

الوصل

الوصل:

إن لفظة (الوصل) ذات دلالات كثيرة تدور عن الاتصال، وعدم القطع، وعدم الهجران، والمثلية، والسببية، وخلاف الفصل، والربط وهذه المعاني اللغوية للوصل لا تبتعد عن المعنى الاصطلاحي وهذا ما نراه لاحقاً، وان كان قد خصص بالعطف عند علماء العربية ويعد من أنواع الربط في اللغة العربية[١].

ومفهوم الوصل في الاصطلاح: "الوصل عطف بعض الجمل على بعض"[٢]، ويرى بعضهم أن يكون "الوصل عطف بعض الكلام على بعض"[٣]، ولما كان الوصل نوعاً من الربط يحسن الوقوف عند مفهوم الربط، فالربط: "ما يحصل من ائتلاف وصلة واتحاد وتماسك في أجزاء الكلام والجملة سواء أكانت هذه الأجزاء عناصر أساسية في بنائهما أم غير أساسية، وذلك بوسائل معنوية أو لفظية"[٤]، وعليه "فباب الفصل والوصل في علم المعاني يدخل في باب الربط في علم النحو"[٥]، وأيضاً، باب الوصل في البلاغة العربية يتمثل في باب العطف في النحو[٦].

وعدت مباحث (العطف) من أكثر المباحث النحوية والبلاغية في كتب التراث العربي صلة بالوسائل اللفظية التي تقوم بوظيفة السبك النصي، لأنها تصل وصلاً ظاهراً بين جمل النص وعباراته بحيث يشكل كلاً متآخذاً[٧].

فالوصل لـم يكن قضية مستحدثة تناولتها الدراسات اللسانية الحديثة عند تناولها تحليل النصوص بل كان ظاهرة لغوية كانت محط اهتمام الدارسين منذ القدم ونالت اهتمام علماء البيان، وممن اهتم منهم بالإعجاز القرآني ونظرية النظم وبلاغة القرآن[٨].

ويعد الوصل من أهم الأبواب التي يبرز فيها الفكر النصي العربي، وقد حظي باب الفصل والوصل بعناية كبيرة من لدن اللغويين والبلاغيين والمفسرين إدراكا منهم لأهميته في صحة النص وتماسكه، ولعل أقدم إشارة لمصطلحي الفصل والوصل في كتاب البيان والتبيين ضمن جملة تعريفات أوردها الجاحظ

---

١) ينظر: العين: مادة (وصل): ٢/٤٣. ، والصحاح في اللغة: مادة (وصل): ٢/ ٢٨٢. ، وأساس البلاغة: مادة (وصل): ٢/١٩. ، ولسان العرب: مادة (وصل): ١١/ ٧٢٦. ، وتاج العروس: مادة (وصل): ١/١٣٨.

٢) الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزوينيّ: ١/٢٤٦. وينظر: معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة: ٥١٣.

٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين: ٣١٣.

٤) الربط في الجملة العربية، عبد الخالق زغير عدل: ١٦.

٥) الفصل والوصل في القرآن الكريم: د. شكر محمود عبد الله: ٢٦.

٦) ينظر: أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ١/ ٥٣٠.

٧) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥.

٨) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٢.

للبلاغة إذ قيل للفارسيّ: "ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل"[١]، ويبدو من هذه الإشارة ما للفصل والوصل من أهمية عند السابقين وشبيه - في الأهمية - بهذا الكلام قول الجرجانيّ إذ يقول: "واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول انه فيه خفي غامض، ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق"[٢].

ولأهمية أدوات العطف في هذا الباب، لم ينظر إليها على أنها أدوات شكلية تابعة لأبواب نحوية، ويكون "المراد من العطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى، والإيذان بحصول مضمونهما، لئلا يظن المخاطب أن المراد الجملة الثانية، وان ذكر الأولى كالغلط"[٣].

ويقول الجرجانيّ: "اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من العطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تُستَأنَف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة"[٤]، فيتجلى من من هذا القول إن من أدرك كيفية ربط الجمل بعضها ببعض وفق قوانين الفصل والوصل، قد إدراك سراً من أسرار البلاغة.

و يتخذ النَّصّ عند التلفّظ به يتخذ حيّزًا فيكون به كائنًا مستقلاً بنفسه فيحل بذلك في الزمان والمكان، وهو علامات دالة على كائن مركب من جمل، لا يدركه الفكر إلَّا منظمًا مرتبًا[٥]، فهو (النَّصّ) تتابع مترابط من الجمل كما تجدها في الاتصال اللغوي[٦]، والعطف يقوم بتوليد علاقات دلالية أُفقية على على مستوى الجملة، وعلاقات دلالية رأسية بين الجمل في بنية النَّصّ وأنَّه يربط بين الجمل على المستوى الخطي، فهو يجعل من المتوالية الجمليّة مسارًا خطيًّا مترابطًا[٧].

فالنَّصّ "مركب بسيط من جمل تقوم بينها علاقات تناسق"[٨]، ووظيفة حروف العطف داخل النَّصّ، تكوين جمل (مركبة) من جمل (بسيطة)[٩]، فالبعد الدلالي والوظيفي الذي يحكم العطف هو تناظر الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية[١٠]، وهي وسيلة "تفسر كيف أننا نتعرف مسبقا على وجود العلاقة الدلالية في سطح النَّصّ"[١١].

---

١) البيان والتبيين: ١/١١١.
٢) دلائل الإعجاز: ٢٣١.
٣) شرح المفصل: أبي البقاء بن يعيش: ٥/ ٥-٦.
٤) دلائل الإعجاز: ٢٢٢.
٥) ينظر: نسيج النَّص: ٤٢.
٦) ينظر: مدخل إلى علم النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ٢١.
٧) ينظر: النَّص والخطاب والإجراء: ٣٤٦ – ٣٤٧.
٨) مدخل إلى علم اللغة النَّصيّ : فولفجانج هاينه مان و ديتر فيهفجر: ٢٥.
٩) ينظر: النَّصّ والسِّياق : فان دايك: ٨٣.
١٠) ينظر: لسانيات النَّصّ: د. محمد خطابي: ٢٦٣.
١١) علم لغة النَّصّ: عزة شبل: ١١٠.

والوصل عند النصيّين يمثل الوسيلة أو العنصر الرابع من عناصر الاتساق النصي فـ"إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[١]، ويعد الوصل "علاقة شكلية تحصر عادة في العطف ويقابل غياب هذه العلاقة الشكلية علاقة دلالية تعرض هذا الغياب وهي التي يجسدها مفهوم الفصل"[٢].

وهذا المظهر الاتساقي، وهو (الوصل)؛ "مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق السابقة، وذلك لأنه لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو ما سيلحق، كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف"[٣]، فإن علاقة الوصل هي "تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[٤].

وهذا الاختلاف يكون من جهة أن؛ "أدوات الوصل لا تحيل إلى الوراء ولا إلى الأمام في النص، ولكنها تحتوي هي ذاتها على معنى هو الذي يحدد طبيعة العلاقة التي يقيمها ما يأتي بعدها بما يأتي قبلها"[٥]، لأن هذه العلاقة "ليست علاقة إحالية"[٦]، والوصل علاقة اتساع لاعتبار ما تتكون من علاقات علاقات نصية عن طريق ربط المفردات والجمل، وعلاقة اقتصاد نتيجة اشتراك هذه الجمل في الحكم[٧]، فيكون النَّصّ كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منظمة المباني[٨]، وعن طريق الوصل تتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النَّصّ[٩].

وأهميّة الوصل تكمن في ربط المعاني مع بعضها، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه، ولولاه لإحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلاً موحدًا، والاستغناء عنه استغناء عن كثير من الظواهر اللغوية الأُخرى كالحذف والاختصار، ومن ثَمَّ لا يتأتى الإيجاز الذي يُعدُّ ركنًا أساسيًّا من أركان البلاغة، والاستغناء عنه يتعارض مع الكفاية اللغوية[١٠].

يضاف إلى ذلك أن الوصل يتحقق بواسطة (الأدوات المنطقية) وهي "علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النصّ"[١١].

ولأن "وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنّه لا

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٣.
٢) الاتساق والانسجام في القرآن: مفتاح بن عروس: ٢٤٨.
٣) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٢.
٤) نفسه : ٢٣.
٥) الاتساق والانسجام في القرآن: ٢٤٩.
٦) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٠.
٧) ينظر: نحو النص نقد نظرية وبناء أُخرى: عمر أبو خرمة: ١٨٤.
٨) ينظر: نحو النَّص : عثمان أبو زنيد: ١٣٢.
٩) ينظر: نسيج النَّص: ٣٧.
١٠) ينظر: نحو النَّص : عثمان أبو زنيد: ١٣٢.
١١) نسيج النص: ٣٧.

محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص"[1]، وأثر الوصل لا ينحصر في تحقيق الاتساق على مستوى واحد وإنما يتوزع على مستويات متنوعة فيكون على مستوى الألفاظ وأحيانا على مستوى الجملة وأحيانا أخرى يكون على مستوى الجمل والفقرات والنصوص، وكذلك لا ينحصر أثره على سطح النص فحسب وإنما يكون ذا أثر في "وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه"[2]، ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة فقد فُرِعَ هذا النوع من وسائل الاتساق إلى أربعة أنواع[3]، قد تواجدت في جمل التذييل في القرآن الكريم وأول نوع من أنواع الوصل الوارد في جمل التذييل هو:

أولاً: الوصل الإضافي:

يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين (و، أو) وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل التماثل الدلالي المتحقق بواسطة عبارة من نوع: بالمثل، وعلاقة التمثيل المتحققة في: مثلا، ونحو، وعلى سبيل المثال، وعلاقة الشرح المتحققة بعبارة: أعني، وبتعبير آخر، ويقول (هاليداي ورقية حسن) إن أبسط وسائل الوصل هي (و)، وتستعمل للربط بين جملة وأخرى، والوصل الإضافي؛ "يربط بين صورتين بينهما تشابه أو اتحاد ويتحقق ذلك بفضل الأداتين (و)،(أو)"[4].

وللوصل في نصوص التذييل أثر بارز في ترابط أجزاء الكلام، وتآلف معانيه بعضها ببعض، وسبك القول وتوحيد مجرياته، وإيجاز عباراته، وبناء تنظيمه، عن طريق جمع المكونات النصيّة وربطها عن طريق ربط المفردات الاسمية والفعلية، والجمل والفقرات النصية.

وقد ورد هذا النوع من الوصل في أكثر من موضع في جمل التذييل محققاً اتساقاً نصّيًّا في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فقد جاء حرف العطف (الواو) ليربط بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، فهذا المقطع من الآية الشريفة؛ "تذييل لما أفادته الآية من الحث على السعي بين الصفا والمروة بمفاد قوله: ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ والمقصد من هذا التذييل الإتيان بحكم كلي في أفعال الخيرات كلها من فرائض ونوافل فقط فليس المقصود من (خيراً) خصوص السعي لأن خيرا نكرة في سياق الشرط فهي عامة، ولهذا عطفت الجملة بالواو دون إلغاء لئلا يكون الخير قاصرا على الطواف بين الصفا والمروة"[5].

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٤.

٢) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٣٢.

٣) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٣.

٤) الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل العالي: غنية لوصيف: ٣٣.

٥) التحرير والتنوير: ٢ / ٦٤.

وهنا الواو عطفت جملة شرط على جملة شرط[١]، وهذا العطف الحاصل بين جملتي الشرط قد حقق وصلاً بين المعطوف والمعطوف عليه من خلال حرف الواو، وهذا الوصل أدى دوراً في تماسك النص وترابطه؛ إذ إنه " لما كان رفع الجناح تركا عادلها في الخطاب بإثبات عمل خير ليقع في الخطاب إثبات يفيد عملا حين لم يفد الأول إلا تركاً"[٢].

ويبدو من كلام البقاعي السابق أن ما جاء في جملة التذييل؛ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾، وهي الجملة المعطوفة ليتحقق من خلالها إثبات في الخطاب، و"كان المراد بالتطوع مطلق الإطاعة لا الإطاعة المندوبة"[٣]، وهذا يقودنا إلى تبين الاتساق النصي الذي حققه الوصل من خلال حرف العطف الواو بين جملة التذييل وما سبقها من كلام في صدر الآية الشريفة، إذ "كانت الوظيفة الأساسية للوصل هي تقوية الرابطة بين الجمل وجعلها متماسكة"[٤].

وفي أهمية العطف في التماسك النصي من حيث الشكل والمضمون يقول الدكتور صبحي إبراهيم الفقيّ: "وعلى الرغم من كون أداة العطف شكلية تابعة لأبواب نحوية، فالعلاقة بين المعطوف والمعطوف عليه دلالية؛ فالتماسك إذن شكلي الأداة دلالي المضمون والمعنى. لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفي إلا من خلال وقوعها في تركيب العطف"[٥]، وبهذا تكون أداة العطف (الواو) قد حققت الوصل الإضافي بين جملة التذييل وصدر الآية الشريفة مما جعل النص أكثر ترابطاً واتساقاً من خلال الوصل الإضافي الذي يسعى إلى اختصار الكلام وتماسكه من خلال ربطه ببعضه البعض.

ومن أمثلة الوصل الإضافي المتحقق من خلال أداة العطف (أو) ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، إذ جاءت الآية الشريفة "تَذْيِيلٌ لِلْكَلَامِ السَّابِقِ الْمَسُوقِ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْفَاقِ وَصِفَاتِهِ الْمَقْبُولَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْمُثَبِّطَاتِ عَنْهُ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّباتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [الْبَقَرَة: ٢٦٧]، وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا التَّذْيِيلِ التَّذْكِيرُ بِأَنَّ اللهَّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ النَّفَقَاتِ وَصِفَاتِهَا، وَأُدْمِجَ النَّذْرُ مَعَ الْإِنْفَاقِ فَكَانَ الْكَلَامُ جَدِيرًا بِأَنْ يَكُونَ تَذْيِيلًا"[٦].

وقد أغنى حرف العطف (أو) مع الضمير عن إعادة جزء من النص "وَوَحَّدَ الضَّمِيرَ وَقَدْ ذَكَرَ شَيْئَيْنِ، فَقَالَ النَّحَّاسُ: التَّقْدِيرُ (وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) فَإِنَّ اللهَّ يَعْلَمُهَا، (أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَّ يَعْلَمُهُ) ثُمَّ حَذَفَ"[٧]، فإن إعادة جزء من النص تضعف التركيب وتشتت ذهن المتلقي كذلك أفادت في الآية معنى

---

١) ينظر: اعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش: ١/ ٢٠٠.
٢) نظم الدرر : ٢/ ٢٧١.
٣) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٣٢١.
٤) الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل: ٣٤.
٥) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي ابراهيم الفقي: ١/ ٢٤٩.
٦) التحرير والتنوير: ٣ / ٦٥.
٧) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٣١.

(التفصيل) الذي يُتيحه حرف العطف (أو)[1]، عند عطفه (نذرتم) على (أنفقتم).

وذهب بعضهم إلى "أن (أو) تعاقب (الواو) أي: تجيء بمعنى الواو فتكون للجمع"[2]، وهذا ما أشار إليه بعض النصّيين، إذ إنّ (أو) هنا تربط بين صورتَين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما على سبيل التفصيل؛ إذ تكونان متحدتَين من حيث البيئة أو متشابهتَين، فإن المحتويات جميعا عن مطلق الجمع صادقة في عالم النَّصّ[3]، والعطف هنا من باب عطف الخاص على العام.

ويُستشف مما سبق أن حرف العطف (الواو)، قد حقق ربط بين الآيات السابقة والآية التي فيها التذييل مما جعل النص أكثر إتّساقاً، إذ إن (الواو) عطفت الآية الكريمة على سابقاتها، وإن (أو) قد عطفت بعض أحوال النفقات على بعضها، إذ كان السياق في الآيات السابقة يتكلم عن النفقات ومواردها وكيفية أدائها والسياق مستمر في بيان ذلك.

وقد جاء في التفسير أن قوله تعالى: "﴿وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ظَاهِرُهُ الْعُمُومُ فِي كُلِّ صَدَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وَكَذَلِكَ النَّذْرُ عَامٌّ فِي طَاعَةِ اللهِ أَوْ مَعْصِيَتِهِ، (...) وَقِيلَ: تَخْتَصُّ النَّفَقَةُ بِالزَّكَاةِ لِعَطْفِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ وَهُوَ النَّذْرُ"[4]، فإذا كان العطف بـ (أو) يفيد الربط وأنها "تعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين"[5]، ويفيد الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، فإن هذا الجمع يعطي سعة في الدلالة كما ذهب إلى ذلك البيضاوي؛ "وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ قليلة أو كثيرة، سراً أو علانية، في حق أو باطل. أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ بشرط أو بغير شرط، في طاعة أو معصية. فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه. وَما لِلظَّالِمِينَ الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها، أو يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذر. مِنْ أَنْصارٍ من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه"[6].

ويُلحظ أن الوصل الإضافي قد حقق نوعاً من الربط بين أجزاء النص الكريم من خلال الأداة (أو)، وفي الوقت نفسه حققت نوعاً من التوسع في الدلالة وهو شمول النفقات، منها الواجب وغيره، والذي ينفق في السر والعلانية، وفي الخير والشر ومما حققه الوصل الإضافي أيضا الاقتصاد في الكلام فقد أغنى عن التكرار في النص مما جعله أكثر تماسكا.

---

١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣ / ٣٤١.

٢) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: ٣ / ١٥٩.

٣) ينظر: النَّص والخطاب والإجراء: ٣٤٦.

٤) البحر المحيط: ٢ / ٦٨٦.

٥) نسيج النص: ٣٧.

٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١ / ١٦٠.

ثانياً: الوصل العكسي:

وهو أحد أنواع الوصل في علم اللغة النصي "الذي يعني على عكس ما هو متوقع"[١]، ويتم بواسطة أدوات في اللغة العربية هي: بل، لكن، مع ذلك، إلاّ أنّ[٢]، و(من جهة أخرى)[٣]، وأبدا، عكس، ومطلقا، وإطلاقا، وعلى العكس وغيرها[٤]، والوصل العكسي" يربط بين صورتين بينهما علاقة تعارض أو تقابل"[٥].

وقد سماه (براون ويول)؛ المقابلة[٦]، ويرى النصّيون أن بنية الخطاب تتشكل من تفاعل النص مع السياق الخارجي ومن خلال ذلك يمكن استخراج بعض الروابط التي تساهم في التماسك النصي، و"الأدوات النحوية التي تستخدم في كتابة هذه البنية كثيرة، وبها يستطيع الكاتب الانتقال من بنية كبرى إلى بنية كبرى ثانية، وتربط مثل هاتيك الأبنية باستخدام تعبيرات ولكن... ومن أجل ذلك... وبناء على ذلك، يجعل النص، أو [المقال] كله شديد الانسجام أو الاتساق والترابط"[٧].

فالانتقال من جملة إلى أخرى يستلزم الربط بينهما وبخلافه يختل المعنى، إذ إن النص ليس مجموعة من الجمل العشوائية بل يشترط فيها عنصر الربط، وينبغي أيضاً الربط حين الانتقال من فقرة إلى فقرة فتكون لغة النص مترابطة ومشتركة في وحدة موضوعية مشكلة وحدة متكاملة متماسكة في الشكل والمضمون.

ويسمى هذا النوع من الوصل بوصل النقيضين أو ربط الاستدراك[٨]، وهو الذي "يربط بين شيئين لهما نفس المكانة، ولكنهما يبدوان متدافعين أو غير متسقين في عالم النص، كأن يكونا سببا ونتيجة غير متوقعة"[٩].

وقد ورد الوصل العكسي في جمل التذييل في القرآن الكريم في مواطن عدة ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾، [الأعراف:١٧٩].

وقد جاء في التفسير"(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل"[١٠]،

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٣.
٢) ينظر: اثر عناصر الاتساق في تماسك النص: محمود الهواوشه: ٩٠.
٣) ينظر: الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم: ٢٦٦.
٤) ينظر: الربط حروفه ومعانيه: د. نعيمة سعدية: ١١.
٥) الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل العالي: ٣٤.
٦) ينظر: تحليل الخطاب: براون ويول: ٢٢٩.
٧) في اللسانيات ونحو النص: ابراهيم خليل: ٢٢٦.
٨) ينظر: السبك في العربية المعاصرة: د. محمد سالم أبو عفرة: ١٣٨-١٣٩.
٩) مدخل إلى علم لغة النص: الهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ١٠٧.
١٠) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣ / ٢٩٥.

والملاحظ على الوصل المتحقق بأداة الوصل (بل) إذ قامت بربط الجملة السابقة لها (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ) بالجملة التي تليها (هُمْ أَضَلُّ) فقد ذهب المفسرون في تفسير، (بل هم أضل) إنهم "إما معاند وإما جاهل بما يضره وينفعه، والأنعام تهرب إذا سمعت صوتاً منكراً فرأت بعينها أنه يترتب عليه ضرها، وتنتظر ما ينفعها من الماء والمرعى فتقصده، والأنعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه. وهؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه فنزلوا عن رتبتها درجة (...)، ولما تشاركوا الأنعام بهذه في الغفلة وزادوا عليها، أنتج ذلك قطعاً على طريق الحصر: (أولئك) أي: البعداء البغضاء (هم) أي: خاصة (الغافلون) لا الأنعام، فإنها - وإن كانت غافلة عما يراد بها - غير خالدة في العذاب، فلم تشاركهم في العمى والصمم عما ينفعها ولا في الغفلة عن الخسارة الدائمة"[1].

وقد جاء السياق في النص يشبههم بالأنعام وجاءت أداة الوصل (بل) في هذا السياق لتحقق الوصل العكسي إذ جاءت جملة (بل هم أضل) للانتقال بوصفهم والترقي في الدلالة من قوية إلى أقوى، لأَنَّ "هذا الإضراب ليس على سَبِيلِ الْإِبْطَالِ بِمَدْلُولِ الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ إِضْرَابٌ دَالٌّ عَلَى الِانْتِقَالِ مِنْ إِخْبَارٍ إِلَى إِخْبَارٍ فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى شَبَّهَهُمْ بِالْأَنْعَامِ فِي انْتِفَاءِ مَنَافِعِ الْإِدْرَاكَاتِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى امْتِثَالِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ أَثْبَتَتْ لَهُمُ الْمُبَالَغَةَ فِي ضَلَالِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي يَسْلُكُونَهَا فَالْمَوْصُوفُ بِالْمُبَالَغَةِ فِي الضَّلَالِ طَرِيقُهُمْ وَحُذِفَ التَّمْيِيزُ وَتَقْدِيرُهُ: بَلْ هُمْ أَضَلُّ طَرِيقًا مِنْهُمْ (...) أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ بَيَّنَ تَعَالَى بِهَا سَبَبَ كَوْنِهِمْ أَضَلَّ مِنَ الْأَنْعَامِ وَهُوَ الْغَفْلَةُ"[2].

وجاء في تفسير "قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: (بَل هُم أَضَلُّ) لأن بنية الأنعام لا تحتمل فهم ذلك، وبنية هَؤُلَاءِ تحتمل؛ إذ جعل لهم عقولاً تميز وتعرف حكمة مدبرها ومنشئها، لكنهم ضيعوها، ولم يكن من الأنعام تضييع؛ لذلك كان أُولَئِكَ أضل"[3].

ويُستشف إنّ"(بَلْ) فِي قَوْلِهِ: بَلْ هُمْ أَضَلُّ لِلِانْتِقَالِ وَالتَّرَقِّي فِي التَّشْبِيهِ فِي الضَّلَالِ وَعَدَمِ الِانْتِفَاعِ بِمَا يُمْكِنُ الِانْتِفَاعُ بِهِ، وَلَمَّا كَانَ وَجْهُ الشَّبَهِ الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْله: كَالْأَنْعامِ يؤول إِلَى مَعْنَى الضَّلَالِ، كَانَ الِارْتِقَاءُ فِي التَّشْبِيهِ بِطَرِيقَةِ اسْمِ التَّفْضِيلِ فِي الضَّلَالِ"[4]، فقد أسهم حرف العطف (بل) في ذكر الترقي الحاصل في حال أولئك الغافلون، وخلق نوع من التواشج بين جمل النص والتي تم عطف بعضها على بعض بحرف العطف (الواو) إذ إن سوء حالهم يترقى مرحلة بعد مرحلة من خلال الجمل المعطوفة على بعضها فإنهم ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ ثم جاءت بعد ذلك جملة ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ إذ أفادت (بل) الإضراب في النص والترقي من تشبيههم بالأنعام إلى حكم الأضل، وهذا زاد من ترابط النص واتساقه فمثلما لُحظ الترقي والتدرج فيما قبل (بل) فهو ملحوظ فيما بعدها من خلال استخدام اسم التفضيل.

---

١) نظم الدرر: ٨ / ١٧٣- ١٧٤.

٢) البحر المحيط: ٥ / ٢٢٩ -٢٣٠.

٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٥/ ٩٧.

٤) التحرير والتنوير: ٩ / ١٨٢ – ١٨٥.

ويتجلى سر من أسرار البلاغة القرآنية في هذا النصّ أنّه ذكر الحكم قبل الوصف، ليبين استحقاقهم ثم الأسباب التي نشأت عنها هذه النتيجة المذكورة آنفاً، فاستعمال الإضراب الانتقالي هنا لفت انتباه المتلقي إلى قبح ما هم عليه وأنه لا يصح أنْ يكون وصفاً طبيعياً لأيّ إنسان، لكي لا يظن المتلقي أن هذا الوصف جزء من طبيعة الإنسان وأنه تجاهل القدرات التي مكنه الله تعالى منها وهي السمع والبصر والعقل وصار أظل من الأنعام بكفره بهذه النعم لأنه لم يوظفها في مكانها الصحيح، ويكون الوصل قد حقق ترابط نصّي بين الجمل في النص الشريف.

ومن أمثلة الوصل العكسي في جمل التذييل ما جاء في قوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝٢١ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١ -٢٢]، فإن جملة التذييل ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾، قد رُبطت بصدر الآية من خلال الوصل العكسي بكلمة (أبدا) إذ إنه "أكد الخلود بالتأبيد؛ لأنه قد يستعمل للمكث الطويل"[١]، وجاء في نظم الدرر "صرّح بخلودهم فيها بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس، فقال: خالدين فيها وحقق أمره بقوله: (أبدا)، ثم استُأنف المدح لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله (إن الله) أي: الذي له الغنى المطلق والقدرة الكاملة (عنده أجر عظيم) وناهيك بما يصفه العظيم دالا بالعظم"[٢].

ولكي لا يذهب الظن بالمتلقي للنص إن الخلود هو المكث الطويل ويتوقع بعد ذلك انتهاء هذا الخلود، لأنه (الخلود) إذا فهم منه المكث الطويل فلا بد وان تكون له نهاية ولكن جاءت أداة الوصل العكسي (أبدا) لتؤكد أبدية هذا الخلود، ثم استأنف بعد ذلك المدح والأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى وبهذا يُلحظ الدور الذي أداه الوصل العكسي في ربط جملة التذييل مع صدر الآية الشريفة، ليتحقق الاتساق النصي من خلال الوصل فضلاً عن التماسك النصي والترابط الدلالي في النص الشريف.

ثالثاً: الوصل السببي:

يُعدّ الوصل السببي أحد أنواع الوصل في علم اللغة النصي وهو الذي "يمكننا من إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر"[٣]، و"الشكل البسيط للعلاقة السببية هو تعبير عنها من خلال الكلمات (لهذا - بهذا - لذلك - لأن) وعدد من التعبيرات مثل: (نتيجة لـ - سبب لـ)"[٤] فضلا على "العلاقات الخاصة كالنتيجة والسبب والشرط، وهي علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقة عامة هي السبب والنتيجة"[٥]، ناهيك عن علاقة الغرض فهي من العلاقات الخاصة المنطقية[٦].

---

١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ٢/ ٤٣١.
٢) نظم الدرر : ٨/ ٤١٩.
٣) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٣.
٤) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٢.
٥) لسانيات النص: د. محمد الخطابي: ٢٣.
٦) ينظر: علم لغة النص: عزة شبل: ١١٢.

ويستخدم (دى بوجراند ودريسلر) "مصطلحا آخر هو التبعية حيث يعتمد عنصر على وجود عنصر آخر. ويندرج تحتها علاقة السبب والنتيجة، والعلاقة الزمنية، والعلاقة الشرطية وتعبر عنها الأداة (إذا)، إذ تكون الأحداث والسياقات في عالم النص ممكنة أو محتملة أو ضرورية"[١]، ومن أدواته (إذن - لذلك)[٢].

ويبدو أثر النحو واضحا في هذا النوع من أنواع الوصل، "لأن أساليب الشرط وما تتطلبه من أدوات وما ينتج عنها من استعمالات مختلفة لجملة الشرط وجوابه ومراعاة أحوالهما، وما يترتب عنها من تطبيقات دقيقة للقواعد النحوية، كل ذلك يشكل الأساس الذي لا يمكن تجاوزه"[٣]، بما يحققه من اتساق للنص، وقد جاء الوصل السببي في أكثر من موضع في جمل التذييل في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فهذه الآية الشريفة تذييل لما ذكر من مكابرة المشركين بتعليم المسلمين حدود انتهاء المناظرة والمجادلة إذا ظهرت المكابرة[٤]، و"إذا؛ ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المقدر، أي: فلا يضركم"[٥]، ويكون قوله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ "يراد به أنهم في امن من أضرار المجتمعات الضالة غير الإسلامية، فليس من الواجب على المسلمين أن يبالغوا الجد في انتشار الإسلام بين الطوائف غير المسلمة أزيد من الدعوة المتعارفة"[٦].

وذهب ابن عاشور إلى أن قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: "هو بنصب (أنفسكم) أي: الزموا أنفسكم، أي: احرصوا على أنفسكم. والمقام يبين المحروص عليه، وهو ملازمة الاهتداء بقرينة وقوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾... وقوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، ظرف يتضمن معنى الشرط يتعلق بـ (يضركم) وقد شمل الاهتداء جميع ما أمرهم به الله تعالى، ومن جملة ذلك دعوة الناس إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلو قصروا في دعوة إلى الخير والاحتجاج له وسكتوا عن المنكر لضرهم من ضل لأن إثم ضلاله محمول عليهم"[٧]، فإنّ عدم الضرر مشروط بالهداية، ولقد تضمنت جملة التذييل في الآية الشريفة وصلا سببياً من خلال معنى الشرط المتحقق بأداة الوصل السببي (إذا) وبهذا تحقق الربط أو الاتساق النصي وفقا للسياق العام للآية الشريفة.

---

١) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٣.
٢) ينظر: الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل: غنية لوصيف: ٣٤.
٣) اثر النحو في تماسك النص: عابد بو هادي: ٦١.
٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٤/ ٣٢٢.
٥) اعراب القرآن الكريم وبيانه: محي الدين الدرويش: ٢/ ٣٠٥.
٦) الميزان في تفسير القرآن: ٦/ ١٤٠.
٧) التحرير والتنوير: ٧/ ٧٧.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الانعام: ١٤٦]، يُلحظ وقوع الوصل السببي، فقد جاءت جملة التذييل وهي "﴿ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصادِقُونَ﴾، جملة لا محل لها؛ لأنها مفسرة لبيان علة التحريم، (...) ولا بد من تقدير ضمير، أي: جزيناهم به، بسبب بغيهم"[١]، فإن أداة الوصل (ذلك) قد ربطت بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل وتحقق من خلالها الوصل السببي، أي إن هذه المحرمات قد وجبت عليهم بسبب بغيهم كما ورد عند المفسرين"(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ) أَيْ: ذَلِكَ التَّحْرِيمُ عُقُوبَةٌ لَهُمْ (بِبَغْيِهِمْ) أَيْ: بِظُلْمِهِمْ مِنْ قَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَاسْتِحْلَالِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فِي الْإِخْبَارِ عَمَّا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ وَعَنْ بَغْيِهِمْ"[٢]، وإنّ ما بعد أداة الوصل سبب في حصول ما قبلها، وأنه متكون بعلة ما بعد الأداة، كما ورد في التفسير، "ذلِكَ التحريم أو الجزاء. جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ بسبب ظلمهم"[٣]، وما حصل حصل منهم من أفعال سابقة، إذ "قَالَ تَعَالَى: ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَالْمَعْنَى: أَنَّا إِنَّمَا خَصَّصْنَاهُمْ بِهَذَا التَّحْرِيمِ جَزَاءً عَلَى بَغْيِهِمْ وَهُوَ قَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَأَخْذُهُمُ الرِّبَا وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ"[٤]، فتكون أداة الوصل قد حققت نوع ترابط بين ما قبلها وما بعدها ومن ثَم صار النص متسقاً متماسكاً من خلال أداة الوصل (ذلك) التي ربطت صدر الآية مع جملة التذييل إذ إنّ "جُمْلَةُ: ذلِكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ تَذْيِيلٌ يُبَيِّنُ عِلَّةَ تَحْرِيمِ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ"[٥].

فيكون الوصل السببي قد حقق نوعاً من الترابط بين جملة التذييل وصدر الآية عبر أداة الوصل السببي (ذلك) ليُلفت انتباه المتلقي ويجعله يتسائل عن سبب ما حلّ بهم من جانب، ويحقق اقتصاد وتكثيف في النص من جانب آخر ويكون النص أكثر اتساقا.

---

١) اعراب القرآن وبيانه: ٣/ ٢٦١.

٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي: ٣ / ٢٠٠.

٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢/ ١٨٧.

٤) التفسير الكبير : ١٣ / ١٧٢.

٥) التحرير والتنوير: ٨ / ١٤٣.

رابعاً: الوصل الزمني:

وهو نوع من أنواع الوصل يجسد "علاقة اتصال بين جملتين متتابعتين زمنيا"[١]، ويعد الوصل الزمني من الأدوات التي تقوم بربط عناصر النص ومن ثمَّ تؤدي إلى تماسك النص، و"تربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال علاقة التتابع الزمني أي: التتابع في محتوى ما قيل. ويعبر عن هذه العلاقة من خلال الأداة (ثم – بعد)، وعدد من التعبيرات مثل: (وبعد ذلك – على نحو تال).

وقد تشير العلاقة الزمنية إلى ما يحدث في وقت معين مثل (في ذات الوقت – حالا – في هذه اللحظة)، أو تشير إلى السابق مثل: (مبكرا – قبل هذا – سابقا)"[٢]، وإن "أبسط تعبير عن هذه العلاقة هو: then. وفي العربية نحو: حين، عند، ساعة...الخ"[٣]، ومن وسائل الوصل الزمني (الفاء – بعد ذلك – أخيرا)[٤]، ويمكن "أن تتحد الجملة مع مجموعة من الجمل؛ لأنها تعد نهاية المجموعة من العمليات أو سلاسل من العمليات، فيطلق عليها جملا استنتاجية ويسبقها التعبيرات (أخيرا – في النهاية)، أو العناصر المعجمية التي تستعمل بمعنى بلوغ الذروة مثل: (باختصار – على نحو مختصر) ويدخل في الوصل الزمني نوع من الأدوات التي تربط ما يقال بالماضي مثل: (حتى الآن – وحتى هذه اللحظة)، أو بالحاضر مثل: (هنا – في هذه اللحظة)، أو بالمستقبل مثل: (من الآن فصاعدا). فتشكل هذه الكلمات البعد الزمني الموجود في عملية الاتصال"[٥].

وقد كثر مجيء الوصل الزمني في جمل التذييل في القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢]، أن المتأمل لجملة التذييل في الآية الشريفة يجد أن الوصل الزمني تحقق من خلال أداة العطف (ثم) والتعبير (بعد ذلك)، إذ إن "جملة ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾، عطف على جملة (ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات)، وجاءت (ثم) للتراخي في الرتبة، لأن مجيء الرسل بالبينات شأن عجيب"[٦]، والإسراف في الأرض بعد تلك البينات أعجب وذكر (في الأرض) لتصوير هذا الإسراف عند السامع وتَهْوِيله ، وتجئ (ثم) لتعلم أن بين الثاني والأول مهلة، ولتربط بين متتاليين زماناً، والثاني منهما متأخر عن الأول، فدلّت (ثم) في الآية الشريفة على التراخي أي: (جاءت رسلنا بالبينات) ثم بعد فترة (إن كثيرا منهم بعد ذلك لمسرفون)، فقد حققت نوع ترابط في الآية، لأنها ربطت السابق باللاحق،

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٣ – ٢٤.
٢) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٢.
٣) اثر عناصر الاتساق في تماسك النص: محمود سليمان الهواوشه: ٩٠.
٤) ينظر: تحليل الخطاب: بروان ويول: ٢٢٩.
٥) علم لغة النص: عزة شبل: ١١٢.
٦) التحرير والتنوير: ٦ / ١٧٩.

وهذا ما تؤيده التفاسير؛ إذ إن "العطف بـ (ثم) المفيدة هنا للتراخي في الرتبة، للإشارة إلى الفرق الشاسع بين ما جاءتهم به الرسل من بينات وهدايات، وبين ما كان عليه بنو اسرائيل من جحود وعناد وإفساد في الأرض"[1]، ومما ذكره المفسرون في بيان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعدما "ذكر من الكتب وتأكيد الأمر بإرسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد أخرى"[2]، و"وضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة، وما فيه من معنى البعد للإيماء إلى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد"[3].

ويتبين ما للوصل الزمني من دور في ترابط واتساق النص في جملة التذييل وانه قد حقق اختصارا في النص وعلى ما يبدوا للبحث أن للوصل دوراً واضحاً في تماسك النص.

ويخلص من ذلك أن أهمية الوصل تتجلى من خلال وظيفته في ربط أجزاء النص مع ما في الوصل من اختلاف المعاني نتيجة لاختلاف نوع الأداة المستعملة في الوصل إلا أن وظيفته متحققة في كل الأحوال، وهي ربط دلالات النص ومعانيه من خلال ربط الاحداث، ودوره في تقوية الروابط بين الجمل وخلق وشائج رابطة بين المتتاليات والنصوص، وبذا يكون الوصل وسيلة هامة من وسائل الاتساق النصي وهذا واضح في جملة التذييل في القرآن الكريم.

---

١) التفسير الوسيط: ١/ ١٢٤٢.

٢) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ٢٢٩.

٣) روح المعاني : ٤/ ٤٦١.

المبحث الرابع

الاتساق المعجمي

أولاً: التكرير
ثانياً: التضام

الاتّساق المعجمي:

يُعدُّ الاتساق المعجمي العنصر الخامس من عناصر الاتساق التي وضعها (هاليداي ورقية حسن) للربط اللفظي، ويُراد به بيان كيفية ترابط الألفاظ بوصفها عناصر بين الجمل لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى جملة أخرى[١].

فالاتساق المعجمي "هو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر؛ أي هو ذلك الربط الإحالي Phoric Cohesion الذي يقوم على مستوى المعجم Lexis"[٢].

وهو "مظهر من مظاهر اتساق النص إلا أنه مختلف عنها جميعا، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض والعنصر المفترَض كما هو الأمر سابقا، ولا عن وسيلة شكلية (نحوية) للربط بين عناصر في النص"[٣]، بل يتحقق الاتساق المعجمي بوسائل معينة وهي التكرير والمصاحبات المعجمية(التضام)؛ إذ يمثل المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات عماداً للاتساق المعجمي.

وقد أشار علماء اللغة النصّيون إلى كيفية تحقق الربط على مستوى المعجم، فذهبوا إلى أنّ الربط يحصل بوساطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية وذلك يتم عندما "تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص (Topic) وتكوينه"[٤]، إذ يوفر المخزون اللغوي "للمؤلف خلال لحظة الإبداع طائفة من التنسيق ترتسم في ذهنه على المحور التزامني، والألفاظ التي يختارها تأتلف فيما بينها وتنتج على محور النظم، وبهذا تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجمية الذاتية إلى دلالة جديدة يحددها ائتلافها مع المكونات اللفظية الأخرى ضمن السياق الجديد"[٥].

وهذا الربط الإحالي الذي يقوم على مستوى المعجم "يحقق الاتساق للنص من خلال استمرارية المعنى، ومن خلال انتظام العناصر المعجمية واتجاهها نحو بناء الفكرة الأساسية للنص إذ تساهم هذه العناصر في شرح وتفسير العناصر المعجمية الأخرى المرتبطة بها، وتضمن للنص الفهم المتواصل أثناء قراءته أو سماعه"[٦].

---

١) ينظر: علم لغة النص: د. عزة شبل: ١٠٥، لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٢٤.

٢) علم لغة النص: د. عزة شبل: ١٠٥.

٣) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٤.

٤) علم لغة النص: د. عزة شبل: ١٠٥.

٥) نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٣٨.

٦) التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة: ٥٢. وينظر: علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٥.

وذهب أحد الباحثين إلى أن مظاهر الاتساق المعجمي موجودة في التراث العربي بقوله؛ "إن هناك ظواهر بلاغية أخرى يمكن أن تسهم في اتساق النص، وحين نقول اتساق النص فهذا يعني أنها أدوات شكلية تظهر على سطح النص، ومن تلك الظواهر: المطابقة، ورد العجز على الصدر، التكرير. وهي مظاهر ادمجها البلاغيون العرب القدماء في باب البديع، وسموها (محسنات بديعية)، أما الباحثون في لسانيات النص فيسمونها مظاهر الاتساق المعجمي؛ وسبب هذه التسمية هو كونها عناصر معجمية أولا، وأنها تسهم في اتساق النص، أي: ترابطه الشكلي اللفظي ثانيا"[١].

ويراد بالاتساق المعجمي: "العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية، وهي علاقة معجمية خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها"[٢]، وأن "عماد الاتساق المعجمي المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات"[٣]، وذلك لأن "الوحدة المعجمية التي تدخل في علاقة اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور وإنما يكون ذلك بحسب موقعها في النص"[٤].

وذكر البعض عن الترابط المعجمي قاعدتين هما[٥]:

القاعدة الأولى: كلما ازدادت الوحدتان المعجميتان قرباً في النص ازداد الاتساق الذي تحققانه قوة ومتانة.

القاعدة الثانية: كلما ارتفع تواتر الوحدتين المعجميتين في الاستعمال عامة، لا في النص المعني بالأمر، قل الاتساق الذي تحققانه قوة، ومتانة.

ويذهب أحد الدارسين إلى؛ "أن الاتساق المعجمي لم يكن ليتاح لو لا ما في المعجم ذاته من علاقات نظامية"[٦]، ويتميز "الربط المعجمي بأن الوحدات المعجمية تتصف في ذاتها بالربط؛ حيث إن بعضها يفسر البعض الآخر، وليست في حاجة ضرورية لأداة ربط تربط بينها"[٧].

وقبل الخوض في بيان وسائل الاتساق المعجمي وأثرها في تحقيق الاتساق النصي في جملة التذييل، لابد من الإشارة إلى الفارق بين دراسة المفردة في المعجم وبين دراستها في علم النص؛ لأن هناك تبايناً تاماً بينهما "فالوحدة الدلالية في المعجم نتاج تجريد من معانيها النصية، ويصحُ على العكس من ذلك أن يفسر كل معنى نصي بأنه تحقيق (تفعيل) اتصالي لمعنى معجمي"[٨]، وفيما يأتي عرض لأهم وسائل الاتساق المعجمي، مع بيان أثرها في تحقيق تماسك النص وترابطه واتساقه.

---

١) اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة: خالد حميد صبري: ١٨٣.

٢) المعايير النصية في السور القرآنية: د. يسري نوفل: ٩٩.

٣) أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ١/١٣٨.

٤) اثر عناصر الاتساق في تماسك النص: محمود الهواوشة: ٩١.

٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: محمد الشاوش: ١/ ١٤٣.

٦) نفسه: ١/ ١٤٤.

٧) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٥.

٨) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، (بحث منشور)، د. نوال نوال بنت إبراهيم الحلوة: ٥٩.

إذ ينقسم الاتساق المعجمي كما يرى بعض الدارسين إلى نوعين[١]: التكرير، والتضام.

أولاً: التكرير:

إن الاتساق المعجمي يكون على أشكال ومن هذه الأشكال التكرير وهو (شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلقا أو اسما عاما"[٢]، وإن من فوائد التكرير أو(التكرار) بشكل عام هو؛ "إنعاش الذاكرة" ويكون تكرار بنية الربط[٣]. وقد يوظف التكرير ليحقق علاقة التبادل بين العناصر المكونة للنص مما يؤدي بالنتيجة إلى دعم التماسك أو الاتساق النصي[٤]، وإن اللفظ المتكرر يحيل إلى المرجع نفسه وهذا معناه أنه يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص وبذا يدعم ثبات النص من خلال هذا الاستمرار وبالنتيجة يسهم التكرير في الترابط بين الجمل وخلق وحدة النص مما يؤدي إلى اتساق النص[٥].

ويُعد التكرير صورة من صور التشاكل اللغوي الذي يُلفت انتباه المتلقي، ومظهراً من مظاهر الاتساق المعجمي، إذ يَعنى ببناء شبكة من العلاقات داخل النص، مما يحقق اتساقاً وترابطاً للنص، فالعناصر المكررة تحافظ على بنية النص وتغذي الجوانب الدلالية والتداولية فيه؛ بتكاثر الألفاظ وكثافتها مما يحقق اتساق النص وتماسكه، وإعادة تأكيد كينونته واستمراريته واطراده[٦].

وقد نال مصطلح التكرير عناية علماء النص، لأنه مظهر من مظاهر الاتساق المعجمي الذي يؤدي إلى اتساق النص، وقد تعددت تعريفاته؛ ولكن من قراءة دقيقة متمعنة يمكن أن نقول: إنّ التكرير النصي هو "إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة"[٧]، فيشير هذا التعريف إلى الوظيفة النصية للتكرير.

وهذه الوسيلة الشكلية من وسائل الاتساق "تربط بين العناصر في النص، تعتمد النصوص في أحداث اتساقها جملة فجملة، مقطعا فمقطعا. حلقة فحلقة، فهو من الوسائل الموجودة في النص ذاته، فبالتكرير يستطيع الكاتب ربط بعض الفقرات بالبعض الآخر ليمنحها الوضوح الذي يحيلنا إلى ماهية الفكرة، فالتكرار وسيلة اتساقية لها وزنها ودورها في تحقيق النص واتساقه، لأنه يساعدنا على معرفة الفقرة الأساسية أو القطعة المكتوبة، كونه يظهر لنا الجملة مرتبطة بالجملة التي تأتي بعدها، والتي

---

١) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٤.
٢) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٤.
٣) ينظر: البيان في روائع القرآن: د. تمام حسان: ١١٣.
٤) ينظر: علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٥.
٥) ينظر: نفسه.
٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٣.
٧) الاتساق والانسجام في سورة الكهف: (رسالة ماجستير): محمود بوستة: ١٢٩.

قبلها كما يظهر الفقرة مجتمعة بالتي تليها والتي قبلها"[١].

وهو من الأساليب التي يستعان بها لتأكيد القول وتثبيته، حينما يستلزم المقام ذلك[٢]، وإذا ما رجعنا إلى غرض التذييل الأساس وهو توكيد الكلام السابق، فنرى أن التكرير حاضراً بشكل مميز في جمل التذييل.

ويُعدّ من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية[٣]، ومن هنا فإن وظيفة التكرير لا تقف عند كونه ظاهرة موسيقية تستلذها الأسماع وترتاح لها النفوس بل إنه يؤدي دوراً بنائياً في عملية الربط بين أجزاء النص محققاً ضرباً من التلاحم والاتساق والوحدة، لأنّ "تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل في الربط (من حيث كان التكرار خير وسيلة للتذكير بما سبق)"[٤]، وعليه فالتكرير هو معيار من المعايير التي تميز بين النص واللانص[٥].

ولا يقف أثر التكرير على الوظيفة النصية، بل أكثر من ذلك فإنّ "تداخل علوم النص مع البلاغة الجديدة، جعل للتكرير وظيفته الاتصالية الاقناعية فهو وسيلة لغوية من وسائل الحجاج، خاصة في الحجاج العربي، وهو بشقيه اللفظي والمعنوي يقوم بدوره في إقناع المتلقي والتأثير فيه واستمالته، وقد يصل إلى الإذعان له؛ وذلك بشدة القرع إما على اللفظ أو المعنى"[٦]، فهو "أقوى طرق الإقناع، وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة، في النفس البشرية، على هينة وفي هوادة، دون استثارة لمخالفيها بالجدل أو المشادة"[٧].

ويذهب بعضهم إلى أنّ ضبط الحاجة للتكرير في أي نص أمر عسير، بل من غير الممكن تحديده؛ لأنه أمر يتصل بإقرار المتلقي، ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة ويترك هذا الضابط لدراية المتكلم وإحاطته بالمقام[٨]، ويعد التكرير "أحد العوامل التي ترتبط بالقدرة على الفهم. فالفهم يكون أسرع في حالة استخدام التكرار بنفس الألفاظ، مقارنة باستخدام الترادف"[٩]. ويأخذ التكرير شكل (سلم مكون مكون من أربع درجات يأتي في أعلاه إعادة عنصر معجمي عينه، ويليه الترادف (أو شبه الترادف)، وفي الدرجة الثالثة الاسم الشامل، وفي أسفل السلم تأتي الكلمات العامة"[١٠]، ويقسم التكرير إلى[١١]:

---

١) الاتساق النصي في الخطاب الأدبي: يمينة جدرة: ٣١.
٢) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها: عبد الرحمن حسن حبنكة: ٢/ ٧١. .
٣) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص: وتحليل الخطاب: د. نعمان بوقرة: ١٠٠.
٤) مقالات في اللغة والأدب: ١/١٨٩.
٥) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٢٥.
٦) نفسه : ٢٥.
٧) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولي: ٢١٠.
٨) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير: د. عز الدين علي السيد: ٨٦-٨٧.
٩) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٥.
١٠) الاتساق النصي في الخطاب الأدبي: يمينة جدرة: ٣١.
١١) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد: ٨٠.

١- التكرير التام أو المحض:

هو "إعادة العنصر المعجمي نفسه"[١]، أو هو "خطاب يكرر كلاً... نفس الصورة الصوتية"[٢]، وهذا وهذا يعني تكرار الكلمة نفسها كما هي من دون أي تغيير، ونعرض فيما يأتي أنواع التكرار الكلي (المحض)، منها تكرار الاسم وتكرار الفعل وتكرار لبيان أثر كل منها في تحقيق الاتساق النصي.

وبعد معرفة أنواع التكرير ومراتبها السلّمية يحاول البحث الوقوف على أثر التكرير في اتساق النص في جمل التذييل في النص القرآني ومدى تأثيره في تماسك النص، وهو كثير في النص القرآني ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، نجد أن لفظ (الناس) الذي جاء في صدر الآية الشريفة قد كُرر في جملة التذييل، ولفظ (الناس) "عام والمراد بهم الأمم الماضون والحاضرون"[٣]، وإعادة هذا العنصر المعجمي نفسه في جملة التذييل **(إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)** يساعد على ترابط النص وفهم أسرع له، وهذا النوع جاء في أول سلم التكرير وقد قُدِم"(بالناس) على متعلقه وهو (رؤف رحيم) للتنبيه على عنايته بهم إيقاظاً لهم ليشكروه مع الرعاية على الفاصلة"[٤]، وذهب البقاعي إلى أن؛"(على الناس) أي: كافة (بالناس) أي: الذين هم اعم من المؤمنين وغيرهم ممن ينوسون بين حال الهدى والفتنة"[٥].

وهذا التكرار للعنصر المعجمي يساعد على إنعاش الذاكرة بتكرار المعلومة، ويدعم الربط في النص من خلال إحالة العنصر المعجمي إلى المرجع نفسه، وهو عموم الناس وبالتالي يؤدي إلى استمرارية الإشارة إلى ذات الكيان مما يقوي وحدة النص وثباته في ذهن المتلقي، يضاف إلى ذلك أن عمومية هذا العنصر المعجمي (الناس) أدت إلى الاتساع في دلالته فقد أشار إلى ذلك البقاعي بقوله: "فإن كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له ﷺ بأنه يقر عينه بجعلهم من حزبه بالتثبيت لمن كان إذ ذاك مقبلا والإقبال لمن كان مدبرا. وان كان المراد اعم منهم فهو بشارة بإتباع أكثر الخلائق له ﷺ، فإذا نزل عيسى عليه السلام وقع العموم الحقيقي في الطريق المحمدي بإتباع الكل له ﷺ والله اعلم؛ ويجوز أن يكون تعليلا للكلام من أوله فيكون المعنى أن صفتي رأفته ورحمته مقتضيتان للتمييز بين المؤمنين وغيرهم للعدل بين الناس"[٦].

---

١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: د. جميل عبد المجيد: ٨٤.
٢) بنية اللغة الشعرية: ٥٢.
٣) التحرير والتنوير: ٢/ ٢٠.
٤) نفسه: ٢/ ٢٤.
٥) نظم الدرر : ٢/ ٢١٤-٢١٥.
*) النوس: تذبذب الشيء: ينظر: العين مادة (نوس): ٧/ ٣٠٣.
٦) نظم الدرر : ٢/ ٢١٦.

ومن هنا يتضح أن التكرار اللفظي أسهم في تحقيق علاقات متبادلة تربط بين العناصر المكوّنة للنص، وهذا الدور الذي قام به في الربط بين صدر الآية وجملة التذييل قد أدى إلى تماسك النص واستمراريته وبالتالي اتساقه، فقد أدى التكرير وظيفته على أتم وجه في استمرارية النص من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه في صدر الآية وفي جملة التذييل مما أدى إلى ربط الكلام بعضه ببعض.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦ – ١٤٧] فان لفظة (الحق) قد تكررت في الآيتين الشريفتين فقد جاءت هذه اللفظة في نهاية الآية (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وفي الآية التي بعدها وهي تذييل لها، في قوله تعالى: (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) وهذا تكرير لنفس العنصر المعجمي، إذ ذهب المفسرون إلى أن"(ليكتمون الحق) أي: ليكتمون الناس ما في كتبهم من صفة النبي ﷺ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك"[١]. فدلالة هذا العنصر المعجمي (الحق) تدور حول صفات الرسول الأكرم ﷺ ففي الآيتين تكرر هذا العنصر المعجمي (الحق) وهو يحيل إلى المرجع ذاته، وهو الرسول ﷺ كما ذهب إلى ذلك صاحب الكشاف بقوله: "فيه وجهان: أن تكون اللام للعهد، والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله ﷺ، أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق. أي: هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك"[٢]، يُستشف من ذلك أن العنصر المعجمي (الحق) يحيل إلى المرجع ذاته، وأنه قد تكرر بقرينة العهد ويكون تكراراً مباشراً للعنصر المعجمي فهو "يشير إلى أن المتكلم يواصل الحديث عن نفس الشيء، بما يعني استمراره عبر النص"[٣].

فكان التكرير "أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه"[٤]، وأفادت تمكين المعنى وتقريره في نفس المتلقي، ومن خلال ذلك يشعر المتلقي أن النص وحدة متكاملة مترابطة من ناحية الموضوع والبناء أيضاً، وبهذا فان خاصية تكرير العنصر المعجمي قد حققت الربط بين جملة التذييل والآية السابقة لها من خلال تكرار العنصر المعجمي نفسه.

٢- التكرير بالاسم الشامل:

وهي علاقة من علاقات التكرير الدلالي والتشاكل المعنوي إلا أنه "من نوع آخر إذ لا يذكر الشيء نفسه، بل تذكر بعض أصنافه وأنواعه"[٥]، وتنطوي هذه العلاقة على علاقة العموم والخصوص وتسهم في ترابط النص واتساقه عن طريق "تداول الكلمة العامة، وفئاتها داخل النص هذا علاوة على خلق شبكة دلالية أثرت داخله وحققت الاتساق فيه"[٦]. فهذا التنوع الدلالي أشبه ما يكون بالدوائر المتداخلة

---

١) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ١/٤٦٢.
٢) الكشاف: ١/ ١٤٥.
٣) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٦.
٤) التكرار: د. حسين نصار: ٧٥.
٥) أثر التكرار في التماسك النصي مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٥٥.
٦) نفسه: ٥٣.

التي تسهم في تنامي النص وتفرع قضيته مما يجعله كلاً موحداً متسقاً.

وهذا النوع من التكرير يكون بالكلمة الشاملة والذي "يقصد بالكلمة الشاملة إن إحدى الكلمات تشير إلى فئة، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة"[١]، ومن أمثلة ذلك في جمل التذييل في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، لقد جاء في صدر الآية الكريمة العنصر المعجمي (الناس) ويراد به النوع[٢].

وقد جاء في جملة التذييل العنصر المعجمي (المؤمنين) وهذا العنصر هو جزء من ذلك العنصر المعجمي (الناس) وهذا تكرير من نوع التكرير بالاسم الشامل، وقوله تعالى: (والله ولي المؤمنين)، "تذييل أي هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله ولي إبراهيم، والذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا؛ لأن التذييل يشمل المذيل قطعا، ثم يشمل غيره تكميلا كالعام على سبب خاص، وفي قوله: (والله ولي المؤمنين) بعد قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧] تعريض بأن الذين لم يكن إبراهيم منهم ليسوا بمؤمنين"[٣]، وأن العنصر المعجمي (المؤمنين) قد أريد به كثير من الذين آمنوا من المسلمين والأنبياء وأتباعهم ممن سبق المسلمين كما ذهب إلى ذلك البقاعي فقال:"(والله) أي: بماله من صفات الكمال - وليهم، هذا الأصل، ولكنه قال:(ولي المؤمنين) ليعم الأنبياء كلهم وأتباعهم من كل فرقة، ويعلم أن الوصف الموجب للتقريب العراقة في الإيمان ترغيبا لمن لم يبلغه في بلوغه"[٤].

وبهذا يُلحظ الدور الذي قام به التكرير في ربط أجزاء النص من خلال الاسم الشامل وإعادة عنصر معجمي يكون جزء منها أو فئة منها، مما يُلفت انتباه المتلقي ويشده تجاه النص، وتكرير الاسم الشامل "طريقة أخرى للربط بين الكلمات في النص تخلق التماسك"[٥]، وبالتالي يؤدي إلى الربط بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل في الآية مما خلق نوع من الاتساق في النص الشريف.

---

١) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٨.

٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ٨٢٩.

٣) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٧٨.

٤) نظم الدرر : ٤/ ٤٥٤.

٥) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٨.

٣- التكرير بالكلمة العامة:

وإذا ما انتقلنا إلى نوع آخر من أنواع التكرير وهو التكرير بالكلمة العامة وهي "مجموعة صغيرة من الكلمات لها إحالة عامة، وتستخدم كوسائل للربط بين الكلمات في النص. مثل الكلمات (مشكلة - سؤال - فكرة - أمر ما - مكان - شيء). بالإضافة إلى كلمات مثل (قصة - خطاب - ورقة - كتاب) التي يمكن أن تستخدم للإشارة إلى نص سابق ككل"[١].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، هذه الآية الشريفة "تذييل مؤذن بانتهاء الكلام، لأن هذه الجملة جمعت عبودية كل الموجودات لله تعالى"[٢].

فإن هذا العنصر المعجمي (شيء) تضمن معناه ملك السماوات والأرض وما فيهن وبذلك فإن هذه الكلمة العامة "لها معنى عام جدا، ولهذا يمكن تفسيرها فقط من خلال الإحالة إلى عنصر آخر، ومن هنا فهي تلعب دورا دالا في جعل النص يترابط مع بعضه البعض"[٣]، إذ إن العنصر المعجمي (كل شيء) أريد به العموم كما ذهب لذلك البقاعي بقوله:"(ملك السماوات) بدأ بها؛ لأنها أشرف وأكبر، وآياتها أدل وأكثر (والأرض) على اتساعها وعظمهما وتباعد ما بينهما (وما فيهن) أي: من جوهر وعرض. ولما كان ذلك أنهى ما نعلمه، عمم بقوله (وهو على كل شيء) أي: من ذلك وغيره من كل ما يريد"[٤]، وهذا التكرير من خلال الكلمة العامة قد حقق نوعاً من الترابط بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل، ومن ثَمّ فقد أدى إلى الاتساق المعجمي بين العناصر المعجمية وهذا هو التماسك النصي المتحقق من خلال الاتساق المعجمي.

وبناءً على ذلك فإن بناء النص في ضوء عنصر التكرير يوضح القضية الكبرى في النص فتلك هي المفاتيح التي تربط محتوى النص، فيحمل التكرير طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير[٥]، مما يؤكد الأثر الذي يتركه التكرير في الدلالات الدينية والاجتماعية فإن اللفظ المكرر وإن كان بسيطاً فإنه يحظى عبر التكرار بقوة دافعة في استمرارية النص.

---

١) علم لغة النص: عزة شبل : ١٠٨.
٢) التحرير والتنوير: ٤/ ٣٥٣.
٣) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٩.
٤) نظم الدرر : ٦/ ٣٧٠.
٥) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر: ١١٤.

ثانياً: التضام:

عنصر آخر من عناصر الاتساق المعجمي، عُرف عند النصيين بأنه "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[١]، وهذا يعني أن في المصاحبة المعجمية تميل "بعض الألفاظ إلى مصاحبة ألفاظ معينة أخرى دون غيرها، فعنصرا المصاحبة اللغوية مرتبطان عادة ببعضهما البعض بمعنى أنهما عادة ما يُريان في نفس المحيط اللغوي"[٢]، فـ "المفردات على هذا تميل إلى التجمع والتصاحب بصورة انتقائية في التغييرات، فالمفردة لا تتصاحب مع كُلّ المفردات اللغوية الأخرى، بل تتصاحب مع مفردات من نوع معين، وهذه المصاحبات تصبح جزءاً مهماً من معنى الكلمة"[٣]، ولذلك قيل: إن معنى الكلمة هو "محصلة علاقتها بالكلمات الأخرى"[٤]، وتكون هذه الألفاظ دليلاً لدرجة الترابط والاتساق الذي هيمنت عليه مقصدية المتكلم وأوضاع المخاطب ومقتضيات الأحوال والمقام وجنس الخطاب[٥].

وهذا نوع من أنواع الربط بين العناصر المعجمية إذ " يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة. مثل الكلمات (الحرب - الأعداء - الصراع)... ويُعد هذا النوع من الربط المعجمي أكثر الأنواع صعوبة في التحليل؛ إذ يعتمد على المعرفة المسبقة للقارئ بالكلمات في سياقات متشابهة بالإضافة إلى فهم تلك الكلمات في سياق النص المترابط"[٦].

وتنقسم وسائل التضام وفق ما ذهب إليه البعض بقولهم: "إن العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج[*] في خطاب ما، هي علاقة التعارض، مثلما هو الأمر في أزواج كلمات مثل: ولد، بنت؛ جلس، وقف؛ أحب، كره؛ الجنوب، الشمال؛ أمر، خضع؛ الخ. إضافة إلى علاقة التعارض هناك علاقات أخرى مثل: الكل - الجزء - أو الجزء - الجزء، أو عناصر من نفس القسم العام: كرسي، طاولة (وهما عنصران من اسم عام هو التجهيز...). على أن إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها، ليس دائما أمرا هينا، هذا إذا كان ممكنا، مثال ذلك الأزواج التالية: المحاولة، النجاح؛ المرض، الطبيب؛ النكتة، الضحك..."[٧].

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٥، ينظر: نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٤٠.
٢) الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب: د. علي عزت: ٣١.
٣) علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات): يحيى عبابنة، آمنة الزعبي: ٨٩.
٤) علم الدلالة: ٩٨.
٥) ينظر: نحو النص: عثمان أبو زنيد: ١٤٠.
٦) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٩.
*) هذه الأزواج من كلمات أو العناصر المعجمية.
٧) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٥.

وأول هذه العلاقات التي تواجهنا في جمل التذييل في القرآن الكريم هي؛ علاقة التعارض أو (التقابل والتضاد) كما يسميها بعض الدارسين[١]، وإذا تأملنا جمل التذييل في النص القرآني الكريم نجد مثل هذه العلاقة بكثرة مثال ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦][**]، فقد ورد في هذه الآية الشريفة أكثر من عنصر معجمي بينه وبين عنصر معجمي آخر علاقة تعارض في جملة التذييل فإن (تكرهوا - تحبوا) عنصرين معجميين بينهما تعارض و(خير- شر) أيضا عنصرين معجميين بينهما علاقة تعارض كما بينه بعض المفسرين بقولهم: "ولما كان هذا مكروها لما فيه على المال من المؤونة وعلى النفس من المشقة وعلى الروح من الخطر من حيث الطبع شهيا لما فيه من الوعد بإحدى الحسنيين، (...)، (تكرهوا شيئا) أي: كالغزو فتعرضوا عنه لظنكم انه شر لكم (وهو) أي: حال انه (خير لكم) لما فيه من الظفر والغنيمة او الشهادة والجنة، (...)، (وعسى أن تحبوا شيئا) أي: كالقعود فتقبلوا عليه لظنكم انه خير لكم (وهو) أي: والحال انه (شر لكم) لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر"[٢]، وقد أكد هذا المعنى ابن عاشور بقوله: "فإن الشيء قد يكون لذيذا ملائما ولكن ارتكابه يفضي إلى الهلاك، وقد يكون كريها منافرا وفي ارتكابه صلاح"[٣].

وهذه علاقة التعارض بين العناصر المعجمية قد حققت نوعاً من الربط بين جملة التذييل والكلام الذي يليها في الآية الشريفة، حيث تترابط العناصر المعجمية فيما بينها "من خلال أشكال التقابل بأنواعها المختلفة، المكملات، (...)، والمتعارضات، (...)، ويتم الربط من خلال توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يساعد القراء على الإبحار داخل النص من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التماسك في النص"[٤]. وحري بالذكر ما ذهب إليه الرازي بقوله: "فثبت بما ذكرنا أن الطبع ولو كان يكره القتال من أعداء الله فهو خير كثير وبالضد، ومعلوم أن الأمرين متى تعارضا فالأكثر منفعة هو الراجح"[٥]، والظاهر من أقوال المفسرين أن هذا التعارض الذي حصل بين العناصر المعجمية في الآية

---

١) ينظر: علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٩.

**) ينظر: الآيات: (البقرة: ١٠٨ – الأنعام: ١٤٠- الأنعام: ١٦٠)

٢) نظم الدرر : ٣/ ٢٢٠-٢٢٢.

٣) التحرير والتنوير: ٢/ ٢٦١.

٤) علم لغة النص، عزة شبل: ١٠٩.

٥) التفسير الكبير : ٣/ ٢٦٢.

الشريفة قد أدى إلى الترابط بين الألفاظ من خلال الظهور المشترك للعنصرين المعجميين من خلال هذا التعارض بينهما فوجود احدهما يجعل المتلقي يتوقع الآخر.

أما النوع الثاني من العلاقات بين العناصر المعجمية ضمن التضام؛ فهو علاقة الجزء بالكل وتلحظ مثل هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٥-١٣٦][*]، الآية (١٣٦) تذييل للآية التي قبلها فهو "تذييل عقب به أمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله، فأمرهم الله عقب ذلك بما هو جامع لمعاني القيام بالقسط والشهادة لله: بأن يؤمنوا بالله ورسله وكتبه"[١]. فإن (قوامين بالقسط) هذا العنصر المعجمي و"القسط: هو النصيب بالعدل"[٢]. والإيمان بالله ورسله وكتبه هو أمر جامع لمعاني القيام بالقسط فإن القيام بالقسط جزء من الإيمان بالله ورسله وكتبه وهذا يمثل نوع ربط بين آية التذييل والآية التي سبقتها ولو تأملنا الآية (١٣٦)، والتي هي تذييل لما سبقها، فإن فيها تضام من نوع علاقة الجزء بالكل فإن (رسوله) وهو النبي محمد ﷺ و(الكتاب) (الذي نزل على رسوله) وهو القرآن المجيد[٣].

يزاد على ذلك أن هذه العناصر المعجمية هي جزء من عناصر معجمية أخرى مذكورة في الآية الشريفة نفسها ؛ إذ إن رسوله هو جزء من (رسله)، والكتاب هو جزء من (كتبه) وهذا يمثل أيضا علاقة الجزء بالكل وهي إحدى أنواع العلاقات المنضوية تحت علاقة التضام وبذلك فإن ذكر الجزء والكل بين العناصر المعجمية قد حقق نوع ترابط في نص التذييل من خلال الاتساق المعجمي مما أدى إلى الاتساق النصي في الآية الشريفة.

أما النوع الثالث من علاقات التضام فهو علاقة الجزء بالجزء ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥]، فقد جاءت في الآية الشريفة علاقة تضام من خلال علاقة الجزء بالجزء في

---

*) ينظر: لعلاقة الجزء بالكل الآيات: (البقرة: ٩٥، ٢١٧,٢٥٨، والنساء: ٢٥، ٦٩).

١) التحرير والتنوير: ٤/ ٥٧.

٢) المفردات في غريب القرآن: ٦٧٠.

٣) ينظر: تفسير ابن عجيبة: ٢/ ١.

جملة التذييل (بعضكم من بعض)؛ وهي "تذييل ثان أكد به المعنى الثاني المراد من قوله: (والله اعلم بإيمانكم) فإنه بعد أن قرّب إليهم الإماء من جانب الوحدة الدينية قرّبهن إليهم من جانب الوحدة النوعية، وهو أن الأحرار والعبيد كلهم من بني آدم فـ (من) اتصالية"[١].

وقد ورد في المعجمات العربية معنى كلمة بعض: "بعض كل شيء: طائفة منه، وبعضته تبعيضا إذا فرقته أجزاء"[٢]، فهذا العنصر المعجمي دال على الأجزاء فـ"(بعضكم من بعض) أي: انتم وأرقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الإيمان"[٣]، وظاهر كلام صاحب الكشاف التقسيم إلى أجزاء (أنتم) و(أرقائكم) وذهب البقاعي إلى أن"(بعضكم من بعض) أي: كلكم من آدم وان تشعبتم بعده"[٤]، وأن علاقة الجزء بالجزء في جملة التذييل أدت إلى الربط بين أجزاء النص وهذه علاقة التضام تؤدي إلى اتساق معجمي.

أما العلاقة الأخرى من علاقات التضام، فهي علاقة (الارتباط بموضوع معين): وهي علاقة من خلالها "يتم الربط بين العناصر المعجمية، نتيجة الظهور في سياقات متشابهة، (...)، وهو ما يطلق عليه علاقة التلازم الذكري مثل (المرض – الطبيب)، (النكتة – الضحك)"[٥].

وتظهر هذه العلاقة واضحة جلية في جمل التذييل في القرآن الكريم[*] ومن أمثلة ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]، ورد في صدر الآية الشريفة لفظ (الجنة) وهذا العنصر المعجمي عندما يرد في سياق معين، فإنه يقترن غالبا بعنصر معجمي آخر هو (فوز)[**] أو (أجر) أو (عملوا الصالحات)[٦]، وفي هذه الآية الشريفة فقد لازم ذكر الجنة في صدر الآية لفظ (الفوز) في جملة التذييل.

وقد جاء في كتب التفسير أنه "لما كان شأن الباء أن تدخل على الثمن في صيغ الاشتراء أدخلت هنا في (بأن لهم الجنة) لمشابهة هذا الوعد الثمن وليس في هذا التركيب تمثيل إذ ليس ثمة هيئة مشبهة وأخرى مشبه بها."[٧]، وانه لما قال:"(بأن لهم الجنة) مبالغة في تقرير وصول الثمن إليهم (واختصاصه بهم)

---

١) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ٣٨٦.
٢) العين: مادة (بعض): ١/ ٦٦.
٣) الكشاف: ١/ ٣٩٨.
٤) نظم الدرر : ٥/٢٣٧.
٥) علم لغة النص: عزة شبل: ١٠٩.
*) ينظر: الآيات الشريفة الآتية: (البقرة: ٢٥، ٣٩، ٨٢، ١٣٩– آل عمران: ١٠٩– التوبة: ١٦، ٢٢، ٧٣) .
**) (الفوز: الظفر بالخير مع حصول السلامة): مفردات ألفاظ القران: ٦٤٧.
٦) ينظر: الآيات الآتية (البقرة: ٢٥، ٨٢ – التوبة: ٢٢).
٧) التحرير والتنوير: ٦/ ٣٨٨.

فكأنه قيل: بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم"[١]، ولما كانت الجنة هي الثمن الذي وعدهم به خالقهم سبحانه وتعالى والأجر الكريم (وذلك) أي: إيراثكم الجنة وتخصيصكم بها (هو) أي: خاصة لا غيره (الفوز العظيم)"[٢]، وهذا الفوز "لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات"[٣]، ويُلحظ على هذا العنصر المعجمي (الفوز) انه جاء في في جملة التذييل وان غاية التذييل هي تأكيد الكلام السابق له لأنه"(وذلك هو الفوز العظيم) تذييل جامع، فان اسم الإشارة الواقع في أوله جامع لصفات ذلك البيع بعوضيه"[٤]، وفي هذه الآية حصل التلازم بين لفظتي (الجنة) و(الفوز)، الذي أدى إلى اتساق النص بين صدر الآية وجملة التذييل، وقد حصلت المصاحبة بين اللفظتين باعتبار أنهما غاية أو نتيجة البيع والشراء بين الله تعالى والمؤمنين.

وكذلك من التلازم الذكري بين العناصر المعجمية هو التلازم بين لفظتي (السماوات) و(الأرض) نحو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، فالتلازم الذكري بين لفظتي (السماوات) و(الأرض) أدى إلى اتساق النص عن طريق المجاورة بين اللفظتين وتلازمهما أدى في أكثر الموارد في القرآن الكريم إلى جعل المصاحبة بينهما أقوى وذلك من خلال الظهور المتكرر لهما في السياقات المتشابهة في القرآن الكريم والآية الشريفة "تذييل لقوله (أو يتوب عليهم أو يعذبهم)، (...)، ذيله بالحوالة على إجمال حضرة الإطلاق الإلهية"[٥].

وهذا التذييل جاء "لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل أثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له. وتقديم الجار للقصر، وكلمة (ما) شاملة للعقلاء أيضا تغليبا أي: له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا"[٦]، وإيراد العنصرين المعجميين متلازمين في هذا السياق والسياقات المشابهة يدل بشكل واضح على اشتمالهما على كل الكائنات.

وبهذا يتبين علاقة الربط في جملة التذييل من خلال علاقة التلازم الذكري أو الارتباط بموضوع معين بين العناصر المعجمية المحققة للاتساق المعجمي وكونه أحد عناصر الاتساق النصي ودوره واضح في الربط الشكلي بين عناصر النص، إذ إن المصاحبات المعجمية غالبا ما تكون شمولية، ويتم من خلالها حصر للأشياء المذكورة، فإن التلازم بين (السماوات) و(الأرض) تم من خلالهما حصر الموجودات فيهما وهما يشيران إلى المكان، ومن ثَمّ حصل الربط من خلال تضام هذه العناصر المعجمية فيما بينها ويضاف إلى ذلك أنّ التضام هو احد عنصري الاتساق المعجمي الذي يؤدي بالتالي إلى الاتساق النصي وهذا ما وجد في النص القرآني من خلال جملة التذييل.

---

١) التفسير الوسيط: ١/ ٢٠٤٨.

٢) نظم الدرر : ٩/ ٢٦.

٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن السعدي: ١/ ٣٥٢.

٤) التحرير والتنوير: ٦/ ٣٨٩.

٥) نفسه : ٣/٢١٢.

٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ٤٥٤. وينظر: نظم الدرر: ٥/ ٦١.

الفصل الثاني

الانسجام النصّي وجملة التذييل في السبع الطوال

المبحث الأول: البنى النصّية والعلاقات المفهومية الدلالية
المبحث الثاني: المناسبة
المبحث الثالث: السياق اللغوي الداخلي

مدخل في مفهوم الانسجام :

يحدد الانسجام مجموعة من "العلاقات الدلالية التحتية التي تسمح للنصّ بأن يفهم ويستخدم"[١]، ويتشكل بناء النص بعدِّه وحدة كبرى شاملة من "أجزاء مختلفة تقع من الناحية النحوية على مستوى أفقي، ومن الناحية الدلالية على مستوى رأسي، ويتكون المستوى الأول من وحدات نصية صغرى تربط بينها علاقات نحوية، ويتكون المستوى الثاني من تصورات كلية تربط بينها علاقات التماسك الدلالية المنطقية"[٢]، ويقترب معنى الانسجام من معنى الاتساق الذي يعني ترابط النَّص عن طريق الآليات، والانسجام يعني دلالة هذه الآليات الرابطة[٣]، وقد نبه بعض الدارسين إلى أهمية البعد الدلالي بقولهم أن: "أفضل ما ينظر إلى النص على أنه وحدة دلالية: وحدة ليست في الشكل بل في المعنى"[٤]، ولما انتهى البحث من دراسة الأدوات الشكلية التي تربط بين أجزاء النص على المستوى الأفقي في الفصل السابق، وجد أن هذا غير كاف لأن يكون النص واضح الدلالة في ذهن المتلقي، بل هو بحاجة إلى الكشف عن العلاقات الدلالية التي تنتج الوحدة الدلالية الكلية للنص على المستوى الرأسي.

لذا سيتناول هذا الفصل العلاقات الدلالية التي تربط بين بنى النص التي تؤدي إلى الانسجام والتماسك الدلالي بينها، وهذا يتطلب منّا الكشف عن البنى النصية في جمل التذييل في القرآن الكريم، ثمّ الكشف عن العلاقات الدلالية التي تربط بينها، لتنماز بذلك البنية الدلالية للنص.

فكان لابد من البحث في الخصائص الدلالية التي تتصل بالمعنى العام للنص، وتتجاوز حدود وسائل الاتساق النحويّة والمعجميّة إلى البحث في مستوى أعلى من التحليل، يكون على المستوى العميق، وهو ما يسمى بالانسجام؛ إذ أنه يتضافر مع معيار الاتساق النصي في وَسِم أي نص مدروس، بصفة النصّية[٥].

وقد درس اللغويون النص بعدّه بنية لغوية[٦]، تتشكل بموجب علاقات متداخلة ومتنوعة دلالياً، توقف عندها أصحاب الدراسات اللغوية النصّية، لينتهوا من خلالها إلى عنصر مهم من عناصر النص، ألا وهو الانسجام، الذي عُرِّف تعريفات عدة ومنها ما جعل دلالة هذا المصطلح (أي: الانسجام) تلتقي بمصطلحات أخرى، وعليه فلا بد لنا من الوقوف على معنى الانسجام من جهة اللغة والاصطلاح.

يرد الانسجام في الاستعمال اللغوي، فيدور حول معاني هي؛ القطران، والصب، والسيلان، التوافق أو التلاؤم، وهذه المفردات توحي بالتتابع والانتظام والاستمرارية في الانحدار، ويرد الانسجام بمعنى

---

١) نظرية علم النص: حسام أحمد فرج: ١٢٧.

٢) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : سعيد حسن بحيري: ١١٩.

٣) ينظر: تماسك النَّص الأسس والأهداف: ٣.

٤) مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه و ديتر فيهفيجر: ترجمة فالح شبيب العجمي: ٣٨.

٥) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: الطيب العزالي قواوة: ٦١.

٦) ينظر: الانسجام النصي في القرآن: رحيم مجيد راضي: ١٠.

التوافق أو التلاؤم فـ"انسجم الأمر مع غيره اتفق معه، لم يتعارض معه"[١]، و الانسجام هو أن "يأتي الكلام متحدّراً كتحدر الماء المنسجم"[٢].

وفي الاصطلاح: أن الانسجام وفق علم اللغة النصي فهو "علاقة معنوية بين عنصر في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير هذا النص، هذا العنصر الآخر يوجد في النص، غير أنه لا يمكن تحديد مكانه إلا عن طريق هذه العلاقة التماسكية"[٣].

فالانسجام يمثل المعيار الثاني من المعايير السبعة التي وضعها (دي بواجراند ودريسلر)، وللانسجام أهمية كبيرة في فهم النص وتأويله، وفي الحكم على النص بأنه نص، وأسماه بـ "الالتحام وهو يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي"[٤]، وقد عرف (فان دايك) الانسجام بقوله: "إن الانسجام هو خاصية دلالية للخطاب تقوم على تأويل كل جملة الواحدة بعد الأخرى"[٥]، فهو تنظيم مضمون النص دلالياً، إذ إنه "تسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط"[٦]، وهذه هي الطريقة التي من خلالها يتم الوصول إلى عالم النص[٧].

ولا يقتصر تماسك النصّ على دراسة وسائل الربط الشكليّة / اللفظيّة، فيُمكن أنْ يوجد نصّ متماسك شكليّاً، ولكن لا يوجد رابط دلاليّ بين ألفاظه، فيحتاج إلى توافر وسائل أخرى للتماسك غير الوسائل المعجميّة والنحويّة، تكون في مستويات أعلى من التحليل، منها المستوى الدلاليّ، والبراجماتيّ[٨]. فالنصّ يكون متماسكاً "عندما يُمكن للقارئ أنْ يتحرّك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النصّ كوحدة واحدة، وليس مجموعة من الجمل المنفصلة، فالتماسك هو الكيفيّة التي تُمكّن القارئ من إدراك تدفّق المعنى الناتج عن تنظيم النصّ، ومعها يُصبح النصّ وحدةً اتّصاليّة مُتجانسة"[٩].

ولعل للترجمة أثر واضح في فهم هذا المعيار النصي، إذ أدى تعدد الفهم للفظة المترجمة إلى انبثاق التداخل بين المصطلحات؛ ومن ثم واجهتنا مقولات متعددة لهذا المفهوم، التي عرفت تباين آراء الدارسين بشأنه، وذلك في ضوء ايجاد مقابل عربي له، إذ كان لكل دارس مصطلح معين مقابل المصطلح الإنكليزي[*] (Coherence).

---

١) المعجم العربي الأساسي: ٦٠٩.
٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري، ٤٢٩.
٣) نحو النص : د. أحمد عفيفي: ٩٠.
٤) النص والخطاب والاجراء: ١٠٣.
٥) سيميائية النص الأدبي: أنور المرتجي: ٨٧.
٦) حبك النص منظورات من التراث العربي: ٥٥.
٧) ينظر: اجتهادات لغوية: ٣٧٠.
٨) ينظر: علم لغة النصّ: النظريّة والتطبيق: عزة شبل محمد: ١٨٤.
٩) علم لغة النص: النظريّة والتطبيق: عزة شبل محمد: ١٨٤.
*) ترجمه عدد من الدارسين بـ (الانسجام) (د. محمد خطابي - الأزهر الزناد - الطيب العزالي قواوة - عثمان أبو زنيد - ليندة قيّاس - محمد يحياتن) [ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٣٤، نسيج النص: ١٥، الانسجام النصي وأدواته (بحث منشور): ٦٢، نحو النص أطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٧، لسانيات النص:٣١،المصطلحات المفاتيح لتحليل=

ونجده عند البعض "مفهوم دلالي يحيل إلـى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تعرفه كنص، إن الانسجام يظهر عندما نؤول عنصراً في الخطاب بربطه بعنصر آخر، الواحد يفترض الآخر"[١]، وكتعريف إجرائي يمكن أن نعرف الانسجام؛ بأنه ذلك الترابط الدلالي، والعلاقات الخفية بين المفاهيم الموجودة في نص ما، التي نستطيع اكتشافها من خلال معارفنا السابقة، وكذلك سياقات النص المختلفة، فهو ناظر إلى أعماق النص والبحث في خباياه التي تسهم في ترابطه من جهة المعنى والأفكار الموجودة فيه، وهذا ما يبحث فيه الانسجام فالترابط الدلالي للنص متمم لترابطه الشكلي والسطحي، وغايته أن يصل إلى تماسكه الكلي؛ لأن النص عندما يكون مترابطاً من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطاً من الناحية المعنوية والفكرية، يُعد غير مكتمل النصية[٢]، لأن الاتساق يمنحنا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والانسجام من خلال اهتمامه بالعلاقات الدلالية والترابط الخفي الذي يوصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية[٣].

يضاف إلى ذلك أنّ "الانسجام أعم من الاتساق، كما أنه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب بناء الانسجام، من المتلقي، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير المتحقق أي: الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)"[٤]، وبذا يكون النص اللغوي - أيُّ نصٍ مهما كانت طبيعته - نظاما من العلامات تمتد بينها علاقات دلالية مختلفة[٥].

فالانسجام من أهم العناصر التكوينية للنصوص من حيث الغنى والطابع المفهومي للتعبير، فهو "ليس مجرد خاصية تجريدية للأقوال (...) ولكنه ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي"[٦]، وممّا سبق يتضح أنّ الانسجام يهتم بالكشف عن العلاقات المعنوية في نسيج النص، التي بسببها تتناسق دلالاته وتتآلف معانيه على الوجه الذي يحقق النصية في أي نصّ ما.

=الخطاب: ١٢٧]، وترجمه تمام حسان بـ(الالتحام) [ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣]، وترجمه محمد الشاوش بـ(الترابط) [ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/١٢٥]، وترجمه أحمد محمد عبد الراضي بـ(التضام) [ينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم: ١٩]، وترجماه إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد بـ (التقارن) [ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: ١١]، وتُرجم بـ (التماسك) من قبل عدد من الدارسين [ينظر: علم اللغة النصي: ١/٩٣،و بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦، والتلقي والتأويل مقاربة نسقية: ١٦٢]، وقد ترجمه بعضهم بـ(الحبك) [ينظر: نحو النص: ٩٠، والدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: ٧٦، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٨١، ونظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ١٢٧، ونحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤]، ويتبنى البحث الفهم الذي يرى في الانسجام بأنه مرتبط بالجانب الدلالي العميق للترابط النصي ناظراً لـ(الانسجام) بوصفه أقدم مصطلح عربي مقابلاً للمصطلح الانكليزي، ولكثرة من ترجم المصطلح بـ(الانسجام) وكذلك لقربه من المفهوم في المعجمات العربية وإن أول من أطلقه د. محمد خطابي في (لسانيات النص) [ويعد كتابه من أقدم الدراسات النصية الحديثة].

١) التماسك النصي في ديوان اغاني الحياة: ٣٤.

٢) ينظر: علم اللغة النصي: صبحي ابراهيم الفقي: ١/ ٩٧.

٣) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥، والترابط النصي بين الشعر والنثر: ٦٥.

٤) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥-٦.

٥) ينظر: نظرية النص من بنية المعنى إلى سميائية الدال: ١٦٢.

٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٣٤٠.

وإن توجه نحو النص، هو دراسة كلية للنص، إذ إنه يدرس العناصر والتراكيب النحوية في ظل علاقتها بالنص، أي: إنه يدرس النص في ضوء وحدته اللغوية الكبرى، فيحلل الجمل في إطار علاقتها بما يجاورها ويدرس التشابك بين الجمل، ويدرس الوظيفة الدلالية لتلك التراكيب ويربطها بمضمون النص الكلي[١]، ولما كانت الغاية من وراء هذا الفصل تكمن في الكشف عن مظاهر الانسجام بين جملة التذييل وما يسبقها في النص القرآني، فإن هذا يقودنا إلى تأكيد، أن الكلام سيكون من خلال البنية الدلالية للنص القرآني في الآيات الشريفة، إذ إن التركيز سيكون منصباً على العلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي سوف توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية، وهذا يحيلنا إلى رصد مجموعة من العلاقات الدلالية التي تسعى إلى جمع الأجزاء المتباعدة للنص، دون الاعتماد على أدوات أو وسائل شكلية، متمثلة بـ: (آليات الانسجام).

آليات الانسجام:

للانسجام آليات وعناصر تُستخدم لتحليل النصوص، وسبر أغوارها؛ ليقع على مكامن علَّات ترابطها المفهومي؛ ليحقق الاستمراريّة لتلك المفاهيم وعلاقاتها الرابطة.

ومن أهمّ آليات الترابط الدلالية، العلاقات الدلالية[*] (علاقات الانسجام)[٢]، وموضوع الخطاب[٣]، والتغريض[٤]، والسياق[٥]، وجعل علماء اللغة العرب المحدثون موضوع (المناسبة)[**] من آليات الترابط الترابط الدلالية[٦]، إنّ هذه الأدوات لها أثر في الكشف عن انسجام النص بالخصوص في القرآن الكريم منها؛ بنية الخطاب القرآني للسورة، والتغريض والمناسبة في السورة وكل هذه الأدوات تساعد على كشف تماسك النص دلالياً، التي تكون نتيجة علاقات خفية تربط وحدات النص[٧]،لذا سنتعرف أولا على مفهوم البنى النصية، وأهم العلاقات الدلالية التي تُوظف للكشف عن هذه البُنى النصية.

---

١) ينظر: علم لغة النص: سعيد بحيري: ٣٤.

*) (الاجمال والتفصيل – العموم والخصوص – علاقة السبب بالنتيجة) [ينظر: لسانيات النص: ليندة قياس: ١٣٩، وما بعدها].

٢) ينظر: لسانيات النَّص: د. محمد خطابي: ٢٦٨.

٣) ينظر: نفسه: ٢٧٥.

٤) ينظر: نفسه: ٢٩٣.

٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/١١٧.

**) (المناسبة، إن أول ما يلفت الانتباه في البحث عن أدوات تحقق الانسجام في النص القرآني ولأهميته البالغة في تبين المعنى القرآني، هو مظهر "المناسبة" [ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني: د. لطفي فكري الجودي: ٢١٨] .

٦) ينظر: علم اللغة النَّصيّ: صبحي ابراهيم الفقي: ٢/٨٣-١٨٥، والتَّرابط النَّصيّ في ضوء التحليل اللساني للخطاب: ٢١٤-٢٢٤.

٧) ينظر: الاتساق والانسجام في سورة الكهف: ١٥٤.

المبحث الأول

البُنى النصّية والعلاقات المفهومية الدلالية

أولاً: علاقة السببية
ثانياً: علاقة العموم والخصوص
ثالثاً: علاقة الإجمال والتفصيل

البنى النصية والعلاقات المفهومية الدلالية:

لقد "وظفت اللسانيات النَّصيّة الكثير من العلاقات التي تربط بين المفاهيم - من خلال توسيع نطاقها - في الكشف عن الحبك [الانسجام] فيما بين الجمل والفقرات، والنَّص بتمامه"[١].

ويتميز نحو النصّ في اتخاذ النص كله وحدة للتحليل اللغوي، بوصف النص وحدة لغوية واحدة تتعالق أجزاؤها وتتفاعل فيما بينها لتنتج دلالة كلية للنص[٢]، إذ يتكوّن النص من مجموعة من البنى الظاهرة على المستوى الأفقي وتسمى البنى الصغرى وهـي "أبنية المتتاليات والأجزاء"[٣]، إذ تدخل البنى البنى الصغرى في علاقات مع ما يماثلها من البنى الصغرى في إطار دلالي أحياناً[٤]، مكونة البنى الكبرى والتي تعني "الوحدات البنيوية الشاملة للنص"[٥].

ويهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة فعلاً، وقد عدّ (فان دايك) الأبنية الكبرى علاقات الترابط وأوجهها التي ترتكز على النص بوصفه كلاً موحداً وتتعلق بالوصف الدلالي للنص، وتتضمن أبنية الجمل والتتابعات التي تخضع لعمليات تحويلية[٦].

فالبنى الكبرى ذات طبيعة دلالية، إذ إنها تصور "الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية، وبذلك يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية"[٧]. وتعرف البنية الكبرى بأنها "تمثيل تجريدي للدلالة للدلالة الشاملة للنص"[٨]، وهذا يعني أنّ "ما يسمى بالبنية الكبرى هو تلخيص لتلك التفاصيل ولا يحتفظ في البنية الكبرى سوى بالأهم والمفيد عند الإبلاغ"[٩]، وهنا يبرز دور المتلقي في اختيار العناصر المهمة التي يعبر بها عن البنية الكبرى، أي أنّ البنية الكبرى تختلف من شخص لآخر، وترتبط بالقضية التي يعبر عنها طريق الجمل المشكلة للنص؛ أي أنّها تولد من صلب البنيات الصغرى وتسمح لمستعملي اللغة باستخلاص الاستنتاجات الضرورية أو المحتملة كذلك تسمح له أيضاً باكتشاف القضايا المفقودة التي تجعل النص متماسكاً عن طريق المعرفة العامة أو المعرفة السياقية.

---

١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤١.
٢) ينظر: تحليل الخطاب: براون ويول: ٢٦٧.
٣) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦-٢٣٧.
٤) ينظر: نظرية علم النص: ١٢٩-١٣٠.
٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦.
٦) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٧٤، وينظر: العلاماتية وعلم النص: د. منذر عياشي: ١٥٨.
٧) علم النص مدخل متداخل الاختصاص: ٧٥.
٨) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.
٩) سيميائية النص الأدبي: أنور المرتجي: ٩٢.

ويتم بناء البنية الكبرى بتطبيق مبدأ الاستلزام (التضمين) الدلالي الذي يعني "أنّ كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلالياً في جملتها داخل سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة"[١]، فهذه القواعد تساهم في بناء وحدات من سلاسل القضايا التي تساهم في بناء القضية الأعم، كذلك تعد عمليات القواعد الكبرى اختصارات للمعلومة الدلالية، فهي تختزل وتقلل وتنظم المعلومات في البنية الصغرى[٢].

إنّ العلاقات التي تربط بين البنى الصغرى "ربما لا تعكسها الأبنية الموجودة على السطح بشكل مباشر؛ ومن ثمّ يحتاج إلى تصور معرفي أكثر اتساعا، حتى يمكن اكتشافها وتحديدها ووصفها بشكل كاف يصير معه النص مفهوماً"[٣]، وتصاعد العلاقات بين البنى يوصلنا إلى البنية أو "القضية الكبرى[*] الكبرى[*] العامة للنص"[٤]، التي تربط بين أجزاء النص لتجعل منه وحدة دلالية، وللوصول إلى هذه البنية، وتعرف البنية الكبرى بأنها "تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص"[٥].

أمّا البنية الكليّة / الكبرى، فيرى محمّد خطابي أنّه لا فارق حقيقيّ بينها وبين موضوع الخطاب، لذا ذهب إلى "أنّ كلاً من موضوع الخطاب، والبنية الكلّيّة تمثيل دلاليّ إمّا لقضية ما، أو لمجموعة من القضايا، أو الخطاب بأكمله"[٦]. وحاول إيجاد الفارق بين الاثنين، ثم عاد إلى جعلهما شيئاً واحداً، قال: "على أنّ الفرق الوحيد بين الاثنين هو أنّ تأسيس البنية الكلّيّة يتمّ عبر عمليات أساسها الحذف والاختزال، بينما موضوع الخطاب يستخلص عن طريق رصد مجموعة من الجمل التي تخصّ هذا الموضوع، لكن - في اعتقادنا - أنّ نفس العمليّات يُمكن أنْ تُنفّذ للوصول إلى موضوع الخطاب ما دامتْ النتيجة التي نصل إليها هي هي"[٧].

ولما كان الانسجام يعني الترابط الذي يتحقّق من خلال وسائل دلاليّة في المقام الأول، ويتمثّل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص، تُقدّم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة، أو مفكّكة على السطح، فهو ذو طبيعة دلاليّة تجريديّة تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغويّة في النص، وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عليه[٨]، وله أثر واضح في تحديد المعاني المفترضة والوصول إلى الدلالات اللازمة، فبناء النص المنسجم يسمح بتحقيق

---

١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١.

٢) ينظر: نفسه: ٧٨.

٣) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : سعيد حسن بحيري : ١٠٨.

*) مصطلح القضية يرادف مصطلح البنية عند بعض الدارسين، ويفضل هنا استعمال مصطلح البنية بدل القضية لأنّ الأخير مصطلح فلسفي منطقي. (ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٨٧).

٤) نظرية علم النص: ١٤٠.

٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

٦) لسانيّات النصّ: د. محمد خطابي: ٤٤.

٧) نفسه: ٢٧٧

٨) ينظر: علم لغة النص: د. سعيد حسن بحيري: ١٢٢-١٢٣.

الفهم الصحيح بمعرفة معنى المعنى أو ما وراء المعنى، فالانسجام كما يعدانه (براون ويول)، "ليس شيئاً معطى، شيئاً موجوداً في الخطاب ينبغي البحث للعثور عليه (على مجسداته)، وإنما هو شيء يبنى، أي: ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي، بل إن المتلقي هو الذي يحكم على نص بأنه منسجم وعلى آخر بأنه غير منسجم"[١]، فيقوم بإدماج النص اللغوي من خلال عمليات عقلية، وبهذا فهما يركزان على انسجام التأويل وليس انسجام الخطاب[*]، فإن حصل وانعدم الانسجام، فالقارئ المتمكن هو الذي سيعيد إلى النص انسجامه من خلال، صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تشكل البنى الكبرى للنصّ وتنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلاً (أو غير المتحقق) أي: الاتساق إلى الكامن (الانسجام)[٢]، إذ إنه يعني "الاستمرارية الدلاليّة التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم"[٣].

وإنّ "الإجراء النصي لا ينظر في العلاقات الأفقية المتعلقة بروابط الجمل فحسب، بل إنّه على الأصح يحاول بناء مجموعة رأسية متصاعدة تفيد في تمثيل العلاقات الدلالية التي بين العناصر السطحية للنص"[٤]، فهي إذن ذات طبيعة دلالية إذ تصور "الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية، وبذلك يمكن أن يشكل؛ تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا، وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية"[٥].

وتعرف البنية الكبرى بأنها "تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص"[٦]، وهذا يعني أنّ "ما يسمى بالبنية الكبرى هو تلخيص لتلك التفاصيل ولا يُحتفظ في البنية الكبرى سوى بالأهم والمفيد عند الإبلاغ"[٧]، وهنا يبرز دور المتلقي في اختيار العناصر المهمة التي يعبر بها عن البنية الكبرى، أي أنّ البنية البنية الكبرى تختلف من شخص لآخر، وترتبط بالقضية التي يعبر عنها عن طريق الجمل المشكلة للنص؛ أي أنّها تولد من صلب البنيات الصغرى وتسمح لمستعملي اللغة باستخلاص الاستنتاجات الضرورية أو المحتملة كذلك تسمح لهم أيضاً باكتشاف القضايا المفقودة التي تجعل النص متماسكاً عن طريق المعرفة العامة أو المعرفة السياقية، وتتحقق البنية الكبرى بتطبيق مبدأ التضمين الدلالي الذي يعني "أنّ كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلالياً في جملتها

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥١.

*) هذا الرأي فيه شيء من الافراط وأنه لا ينسجم مع النص القرآني، لأنه يركز على الدور الفاعل للقارئ في تحقيق عملية الانسجام مغفلا دور المؤلف في تحقيق الانسجام في النص القرآني، فإنه يرى تحقق الانسجام نتيجة علاقة جدلية بين القارئ وذات النص.

٢) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٦.

٣) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٤٥.

٤) إشكالات النص: ٢٣٢.

٥) علم النص مدخل متداخل الاختصاص: ٧٥.

٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

٧) سيميائية النص الأدبي: أنور المرتجي: ٩٢.

داخل سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة"[١]، فهذه القواعد تساهم في بناء وحدات من سلاسل القضايا التي تساهم في بناء القضية الأعم، كذلك تعد عمليات القواعد الكبرى اختصارات للمعلومة الدلالية، فهي تختزل وتقلل وتنظم المعلومات في البنية الصغرى[٢]، كما أنّ هذه البنى لا تتحدد على مستوى متتاليات جملية معزولة وإنّما على مستوى نص كامل أو أجزاء كثيرة منه على أقل تقدير[٣]. وبوجود هذه البنية نتمكن "من إقامة علاقة بين سلسلة من القضايا بوصفها كلا بسلسلة قضايا أخرى"[٤]، والمعنى لا يتحقق من التسلسل الأفقي للبنى النصية إنّما " تنتظم القضايا في النص في شكل هرمي ضمن القضية الكبرى أو موضوع النص"[٥]، قاعدته البنى الصغرى، وكلما زادت البنى في المستوى الأول (الأفقي) أو قاعدة الهرم؛ زادت العلاقات في المستويات الأخرى (العمودية).

وفيما يخصّ أهمية البنية الكبرى للنص يرى أحد الدارسين "أنّ متتاليات الجمل التي تمتلك أبنية كبرى هي وحدها تسمى من الوجهة النظرية نصوصا"[٦]، بمعنى أنّ البنى الصغرى التي لا تؤدي بعلاقاتها إلى تكوين بنى كبرى لا يمكن أن تشكل نصا بشكل من الأشكال.

واستطاع (فان دايك) أن يثبت أن البنية الكبرى تؤدي، في نموذج سيكولوجي لعملية فهم النص، أثراً جوهرياً[٧]، وعليه فإن أثر البنية الكبرى في النص هو تحقيق الانسجام النصي، يظهر ذلك في رد فعل القارئ أو المستمع، وعدم قبوله للنص، لأنه يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته وتوحّد مقاطعه.

وفيما يلي عرض لهذه العلاقات وتطبيقاتها على نصوص جمل التذييل في القرآن الكريم من خلال العلاقات الدلالية المفهومية التي تشكل البنى الكبرى.

العلاقات الدلالية المفهومية:

البحث عن الانسجام النصي يحيلنا إلى مجموعة من العلاقات الدلالية المفهومية التي تسعى إلى جمع الأجزاء المتباعدة للنص من دون الاعتماد على أدوات أو وسائل شكلية، ولا يخفى أن النص القرآني تحكمه علاقات دلالية (مفهومية) تعمل على ترابط أجزاء النص، ومن ثَمّ تعمل على تماسكه وانسجامه ولابد من الاستعانة بهذه العلاقات في الكشف عن انسجام النص.

والعلاقات النصية التي تتناول الترابط المفهومي، هي ما أطلق عليها الدكتور تمام حسان؛ العلاقات الملحوظة بالنظر إلى الملحوظ من المعاني التي تربط بين مفاهيم الجمل[٨].

---

١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١.

٢) ينظر: نفسه : ٧٨.

٣) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري: ١٠٩.

٤) علم لغة النص النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد : ١٩٦.

٥) نفسه: ١٩٥.

٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

٧) ينظر: التحليل اللغوي للنص: ٦٩.

٨) ينظر: العلاقات الملحوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني : د. تمام حسان، مجلة الدراسات القرآنية ، مجلد٣ ،عدد٤ ، سنة ٢٠٠١م ، ص ١٨٧-١٨٨.

إن مرجعية العلاقات النصية ذات الترابط المفهومي، هو ما يُفهم من معاني تركيب جملتين أو أكثر، قد ربط بينهما سياق نصي معين، وهناك روابط دلالية تتمثل في الربط المعنوي والعلاقات المنطقية بين الجمل "هذه العلاقات الدلالية متنوعة ومتجددة مع النصوص؛ بحيث يكاد كل نص يبتكر من الوسائل التي تحقق تماسكه الدلالي، وهذه العلاقات الدلالية هي التي تساعد على ربط الاشارات في النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها، حتى تكون في النهاية، خيطاً قوياً يربط النص رباطاً خفيفاً يحتاج إلى تلطفٍ لكشفه"[١].

وهذه العلاقات تُشكل البنى النصية الكبرى ومن ثَمَّ تؤدي إلى انسجام النص، وهي علاقات بين المعاني وأنها كثيرة ومتنوعة وتختلف باختلاف النصوص وقد يتوافر بعضها في نص وبعضها لا يتوافر، أي أنه: ليس من الضروري أن تتوافر جميع العلاقات في النص الواحد لكي يكون منسجماً ولكن يتحقق الانسجام بتوافر بعضها في النص[٢]، وهذه العلاقات تساعد على فهم النص؛ إذ إن "العلاقات الدلالية التحتية (الأساسية) التي تسمح للنص بأن يُفهم ويُستخدم، فهو سمة داخلية للنص، تُسهم فيه وسائل الربط اللفظي، والعلاقات الدلالية بين الجمل"[٣]، والكشف عن هذه العلاقات المفهومية يجعل المتلقي بحاجة لفهم كل وحدة نصية أو جملة داخل النص، وعلاقة مضمونها بمضمون ما قبلها وما بعدها، فضلا عن ارتباطها بمضمون النص.

والانسجام "يمثل أساساً مهماً من أسس الدرس النصي"[٤]، لكونه يختص بـ "الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم Concepts والعلاقات Relationsالرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجاً وإبداعاً أو تلقياً واستيعاباً، وبها يتم حبك [انسجام] المفاهيم من خلال قيام العلاقات (أو إضفائها عليها إن لم تكن واضحة مستعلنة) على نحو يستدعي فيه بعضها بعضا ويتعلق بواسطته بعضها ببعض"[٥]، لأن الانسجام، يتحقق عبر عناصر دلالية تتعلق بالمضمون المعنوي أو الترابط الكلي للنص، وهو عنصر يختص بالاستمراريّة في عالم النَّص، وهي الاستمراريّة التي تتجلى في منظومة المفاهيم، والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم[٦]، والمفاهيم أشكال المعرفة التي يمكن استعادتها أو إثارتها بقدر ما من الاتساق والوحدة[٧]، ولأن النص ليس مجرد مجرد سلسلة بسيطة من الجمل المنتظمة والمترابطة نحويا، بل هو فعاليات منتظمة ديناميكيا داخل بناء الفعل اللغوي[٨].

---

١) الابداع الموازي: محمد حماسة: ٢٦.
٢) ينظر: المعايير النصية في السور القرآنية: د. يسري نوفل: ١٢٨.
٣) علم لغة النص: عزة شبل: ١٨٦.
٤) علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم الفقي: ٤٢/١.
٥) نحو أُجرومية للنص الشعري: ١٥٤.
٦) ينظر: في البلاغة العربية واللسانيات النَّصيّة آفاق جديدة: ٢٢٨.
٧) ينظر: الدلالة والنحو: ٢٧٤.
٨) ينظر: أسس لسانيات النص: ١٤١.

فهو يتصل "برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي"[١].

إنّ هذه العلاقات الدلالية (المفهومية)؛ "تتراوح بين الوضوح الصريح ودقة الاستخراج، وبين أن تكون عرضة للاحتمال في بعض الحالات؛ إذ يتردد المرء أحياناً في نسبة الموقع إلى هذه العلاقة أو تلك؛ بسبب كون كل منهما ممكنة، إلا أن تقوم قرينة ما على أن إحدى العلاقتين أولى بالاعتقاد من الأخرى"[٢]. الأخرى"[٢].

فهذه العلاقات المفهومية التي تكون بين جمل النص أو فقراته، تنشأ عبر روابط ذاتية (داخلية) مُستَمَدة من مفاهيم الجمل ذاتها، وهذه العلاقات تحتاج من المتلقي إلى كثير من التدبر في النص للكشف عنها[٣]، فـ"إذا قويت العلاقة بين الجملتين اتصلتا من ذات نفسيهما، وصارتا كالشيء الواحد، فإذا أدخلت الواو بينهما فكأنك عمدت إلى جسم غريب وأقحمته بين الشيء ونفسه، مالم يكن لك من وراء ذلك مغزى، وإدراك هذا الضرب من الصلة بين المعاني يحتاج إلى مزيد من التأمل في المعنى، ومعرفة جوهره"[٤].

ويُفهم من هذا، أنّ الانسجام جزء أساس في تشكيل أي نص، فلا يمكن أن يُطلق على قطعة مكتوبة نصّاً إذا لم تكن هذه القطعة تحمل دلالة مركزيّة، وكل حدث في القطعة منسجم ومرتبط بطريقة ما لتكون هذه الدلالة واضحة في السياق وفي ذهن المتلقي، فلا يمكن عدّ هذه القطعة نصّاً إذا فقدت الروابط الدلاليّة بين أجزائها، فالانسجام قضيّة منطقيّة لأجل أن يكون التواصل مفهوماً، فالإفهام هو الغاية من إنشاء النصوص، وهذا الأمر جعل الدكتور محمد خطابي، يعدّ الاتساق مكوّناً من مكونات الانسجام، بمعنى أن تكون وسائل الاتساق متناسبة مع الدلالة[٥].

إذن هذه العلاقات التي تربط أجزاء النص، دون وسائل حرفية أو شكلية وتجعل النص منسجماً، هي علاقات دلالية مفهومية، وهذه العلاقات الدلالية تعتمد على قرائن معنوية وتسمى (العلاقات الملحوظة)[٦]، وتتشكل البنى النصية الكبرى، إذ إن البنية الموضوعية للنص أو الخطاب يمكن وصفها "بالاعتماد على العلاقة الهرمية بين القضايا"[٧]، وفيما يأتي أهم هذه العلاقات الدلالية:

---

١) نحو النص: د. أحمد عفيفي: ٩٠.
٢) البيان في روائع القرآن: ٤٠٤، و٣٩٧.
٣) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٣٤.
٤) دلالات التراكيب: د. محمد محمد ابو موسى: ٢٩٢-٢٩٣.
٥) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٥٦.
٦) اجتهادات لغوية: تمام حسان: ٢٩٩.
٧) نظرية علم النص : حسام أحمد فرج : ١٢٩.

أولا: علاقة السببية (التعليل):

السببية هي إحدى العلاقات الملحوظة التي تعمل على انسجام النص فهي "تربط بين أجزاء النص، دون أن تعتمد في ذلك على أداة من الأدوات التي تعتمد عليها العلاقة السببية الملفوظة: كـ (فاء السببية، ولام التعليل، أو الباء الدالة على السببية)، وفيها يتقدم المسبَب على السبب"[١]، وهي من العلاقات الدلالية التي تُسهم في تلاحم عناصر النص وقد تربط بين جملتين أو سلسلة من الجمل[٢]، ولما كان الانسجام هو الطريق الذي من خلاله تفترق النصوص عن مجرد مجموعات لأيٍّ عدد من الجمل[٣]، إذ إنه يتجلى في البنية العميقة، و"وظيفته الأساس ربط التصورات التي تشكل عالم النَّص، وهذا الأخير يحتاج من المتلقي كفاءة عالية ومعرفة خلفية بالعالم"[٤]،وعلاقة السببية وتفصيل الأسباب يضفي معقولية لكيفية تتابع قضايا النص، ويَسِمها بسمة منطقية[٥]، مما يؤدي إلى قوة الربط المنطقي بين أجزاء النص.

وهي من العلاقات النصّية الاستدعائية ذات الترابط المفهومي وقد تسمى بعلاقة التعليل[٦]، ومن أمثلة علاقة السببية أو التعليل المتحققة بوساطة جملة التذييل المعللة لمضمون ما سبق قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فإن جملة التذييل جاءت معللة لمضمون ما سبق ويؤكد هذا ما ذهب إليه المفسرون في تفسير هذه الآية بقولهم:"(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فينتقم منهم إذا حان حينُه وآن أوانُه، فهو تعليل لما دل عليه ما قبله"[٧]، ومحل هاتين الآيتين في السياق "أنهما بمثابة البيان والتفصيل لحكمة النهي عن المتابعة الوارد في قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا راعِنا...) والوارد في قوله تعالى: (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْئَلُوا رَسُولَكُمْ...) كما أنهما تعليل لعدم الطمع في الإيمان الوارد في قوله تعالى: (أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ...) إذ السياق واحد، (...)، قلنا عن سياق الآيتين بأنهما بمثابة البيان والتعليل للنهي الذي جاء من قبل عن متابعة أهل الكتاب"[٨]، ومن هذا الرأي يتضح الترابط بين جملة التذييل وما قبلها، و رأي ابن

---

١) اجتهادات لغوية: ٣٠١.

٢) ينظر: لسانيات النص: ليندة فياس: ١٤٧.

٣) ينظر: مدخل إلى علم لغة النَّص (مشكلات بناء النص) : سعيد حسن بحيري: ٥٤.

٤) لسانيات النَّص النظريّة والتطبيق: ليندة قياس: ٩٧.

٥) ينظر: نظرية علم النص: حسام احمد فرج: ١٤٣.

٦) ينظر: العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم: ٢٩٧.

٧) ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود: ١/ ١٨٣.

٨) الاساس في التفسير: ١/ ٢١٤ – ٢١٧

عاشور مؤكداً هذا الترابط بقوله: "فجملة (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تذييل مسوق مساق التعليل"[١].

مما سبق يتبين الترابط بين جملة التذييل وما قبلها من النص الكريم بوساطة علاقة السببية أو التعليل؛ إذ كانت جملة التذييل تعليل لما قبلها، وأن من أهم عناصر التحليل النصي؛ معرفة الفكرة الرئيسة أو الموضوع الرئيسي للنص، وهي قد شكلت البنية النصية الكبرى للآية الشريفة وهو موضوع التساهل[٢]، ضمن قضايا الدين وأن هذه العلاقة (التعليل) بين جملة التذييل وما قبلها من النص قد أسست للبنية الكبرى للنص.

ونحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَساجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعى فِي خَرابِها أُولئِكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إِلاَّ خائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، فجملة التذييل (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، جاءت هنا تعليلاً كما ذهب إلى ذلك السيد الطباطبائي بقوله:"(فثَمّ وَجْه الله)، فيه وضع علة الحكم في الجزاء موضع الجزاء، والتقدير – والله أعلم – فأينما تولوا جاز لكم ذلك فإن وجه الله هناك، ويدل على هذا التقدير تعليل الحكم بقوله تعالى:"(إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)، أي: إن الله واسع الملك والاحاطة عليم بقصودكم أينما توجهت"[٣]، فيلحظ هنا أن السيد الطباطبائي جعل من جملة التذييل دليلاً على الحكم، إذ جاءت جملة التذييل تعليلاً للحكم وهنا يتبين الربط بين جملة التذييل وما قبلها من خلال علاقة التعليل أو السببية وهذه العلاقة قد شكلت البنية النصية الكبرى للآية الشريفة وهي موضوع الصلاة[٤]، أو القبلة ضمن القضية الأكبر وهي العبادات.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، إذ جاء تفسير هذا المقطع من الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا)، وأنه ذو" خيلاء وكبر يأنف من أقاربه وجيرانه مثلاً ولا يلتفت إليهم (فخورا) يعد مناقبه عليهم تطاولاً وتعاظماً، والجملة تعليل للأمر السابق"[٥]، جاءت جملة التذييل في الآية الشريفة في في موضع التعليل لما قبلها من الأمر كما هو واضح من تفسير الألوسي.

وفي النص السابق يلحظ فيه أن "السياق يدل على أن من لا يعبد الله، ولا يحسن إلى خلقه، لا بد أن يكون فيه اختيال، وفخر، ولذلك وصف الذين يختالون، ويفخرون بأنهم يبخلون، ويأمرون الناس بالبخل، وأنهم يجحدون نعمة الله عليهم، ولا يظهرونها، لا في العطاء، ولا في البذل"[٦].

---

١) التحرير والتنوير: ١/ ٤٤٠.

٢) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: چول لابوم: ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي: ٢٣٩.

٣) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٢١٧.

٤) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ٢٩٥.

٥) روح المعاني: ٤/ ٤٨. وينظر: نظم الدرر: ٢/ ٢٠٨.

٦) الاساس في التفسير: ٢ / ١٠٥٩.

مما سبق يتبين الدور الذي حققته علاقة السببية في الربط بين جملة التذييل وما قبلها، في الآية الكريمة مشكّلة البنية النصّية الكبرى وهي النظام الاجتماعي والأخلاقي[١]، فحصل بذلك ربط مفهومي دلالي مما يحقق انسجام النص دون وجود ربط شكلي يظهر على سطح النص، والانسجام من الجوانب الهامة في تحليل النص بعدّه، الوحدة الكبرى فهو "ذو طبيعة دلالية متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلي للنص، لذلك فان الذي يحدد اطارها نتيجة لذلك هو المتلقي"[٢]، ولما كان الانسجام يتطلب "من المتلقي النظر إلى مـا هو ليس شكليا ولا معجميا، بل إلى علاقات خفية قائمة داخل النص المراد دراسته، حيث يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدلالية المتحققة داخله"[٣].

فإن جملة التذييل كانت في موضع التعليل لما تقدمها من أوامر كما مر في النصوص السابقة، ويلحظ أن ثمة انسجاماً وتآلفاً وتماسكاً بين معنى الجملة المُذَيَّلة والجملة المُذَيِّلة للتشكّل بذلك البُنى النصية الكبرى.

ثانيا: علاقة العموم والخصوص:

يراد بمصطلح العموم (التعميم الدلالي)، وهو تحويل دلالة المفردة من المعنى الخاص الضيق إلى المعنى العام الواسع، أو من المعنى الجزئي إلى المعنى الكلي[٤].

أما ما يراد بمصطلح الخصوص (التخصص الدلالي)، فهو تحويل دلالة المفردة من معناها العام إلى معنى خاص، ويعني ذلك أنْ تضيق دلالة المفرد أي: يُخصص معناها، وتحويل دلالتها من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي وتضييق مجالها[٥].

إن علاقة العموم والخصوص تكمن في تحقيق نسبة العام في الخاص وبالعكس، إذ اقتضت الدراسة تحديد المراد بالعموم والخصوص وأن المراد به ما كان الأول شاملاً لمعنى الثاني أو بالعكس، لا ما هو معروف عند الاصوليين، وهذا ما يتلاءم مع ظاهرة التذييل التي تعتمد على مبدأ الفقرات والجمل والعلاقات الدلالية بين الجمل في السياق التركيبي المنظم الذي تتابع فيه العبارات لتؤلف بنية النص بشكل متناسق، لتوصل المتلقي إلى قصدية النص والكشف عن دلالته.

فالربط المفهومي يدرك من خلال النظر إلى العلاقات بين الكلمات والجمل، فهو تماسك يتحقق في المقام الأول بوسائل دلالية، ويتمثل في البنية العميقة على المستوى العميق للنص[٦]، وللسياق اللغوي الأثر الأكبر في تحقق هذا النوع من الترابط وعلى هذا فإن الانسجام؛ هو النحو الدلالي الذي يهتم بكيفية

---

١) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ٣٤٢.
٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل: ٣٣٧.
٣) جمالية الخطاب في النص القرآني: د. لطفي فكري الجودي: ٢١٧.
٤) ينظر: علم الدلالة: احمد مختار عمر: ٢٤٣.
٥) ينظر: نفسه: ٢٤٥.
٦) ينظر: تفسير من وحي القرآن: ٦٧ ـ ٦٨.

ارتباط المفاهيم مثل فاعل، وحدث، وحالة، وصفة؛ لإيجاد معنى كلي للنص[١]، أي: أن الانسجام "يحدد تلك العلاقات الدلالية التحتية التي تسمح للنص بأن يفهم ويستخدم، وهذه العلاقات من القوة بحيث تعطي للنص مظهره ووحدته، فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكل كاف إلا بمراعاة قاعدته الدلالية في النصوص وفهم ذلك البناء"[٢]، وقد تعاضدت المعطيات الدلالية، والنحوية، والمعجمية، للوصول إلى غاية التذييل في تحقيق زيادة معنوية، أو إضافة دلالية، أو ترابطية، عبر علاقة العموم والخصوص.

وقد ورد أسلوب العموم والخصوص في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ولاسيما في ظاهرة التذييل، للوصول إلى المعاني الدقيقة ضمن سياقاته المتنوعة مثل، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، ورد في الآية الشريفة تذييلان وهما: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وهذا التذييل الأول، وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وهو تذييل ثان وفي هذا النوع من التذييل تكون فيه العلاقة بين الجملة الأصلية وجملة التذييل، ذات وجوه دلالية[٣].

وهذا النوع من التذييل، "فيه تكون الجملة الأصلية من الخاص وبمنزلة القضية أو الدعوى، والجملة المُذَيِّلة من العام بمثابة الحجة والبينة"[٤]. فلما كانت القضية المبسوطة في صدر الآية هو بطلان ادعاء من قال بأن الله سبحانه وتعالى هو المسيح وإنكار هذه الدعوى عليهم، جاءهم الرد بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ...﴾، وهذه هي القضية المبسوطة في أول الآية وهي من الخاص والتذييل من العام،، فقد جاء في التفسير؛ "ولما كان التقدير: فان ذلك كله لله، يهلكه كيف شاء متى شاء، عطف عليه ما هو أعم منه، فقال معلماً بأنه - مع كونه مالكاً مَلِكاً - له تمام التصرف"[٥]، ثم جاء التذييل الثاني وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إذ جاء هذا التذييل؛ "ليدعم معنى التذييل الأول وهو أعم منه يتضمن معناه ويزيد عليه"[٦].

وقد يكون النص (الآية الشريفة) من ثلاثة مقاطع الأول وهو قضية كفر اليهود وان النص القرآني قد ألزمهم الحجة بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ...﴾ فكانت هذه الجملة هي الأصل وهي قضية من الخاص، ثم جاء بعدها تذييلان وهما من العام، و "التذييلان كلاهما قائم على التعميم؛ تعميم القول بالقدرة الإلهية و كلاهما أقام الدليل على ما ورد في القضية من أمر

---

١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨٥.
٢) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ٣٧، وينظر : نظرية علم النص : حسام أحمد فرج: ١٢٧.
٣) ينظر: الحجاج في القرآن: ٣٥٩.
٤) الحجاج في القرآن: ٣٥٩.
٥) نظم الدرر: ٦/ ٦٥.
٦) الحجاج في القرآن: ٣٥٩.

خاص ومحدود وهو إنكار إلهية عِيّسى وإمكان إهلاكه وإهلاك المخلوقين جميعاً"[١].

ولما كان الانسجام، ركناً أساسياً في تحليل النصوص، إذ إنّ الأبنية الدلالية المحورية الكلية الكبرى وهي (أبنية عميقة تجريدية)، تُشكل مع الأبنية الجزئية الصغرى، هيكلاً تجريدياً منتظماً[٢]، فإنه يُنظر إلى الانسجام على أنه انتظام أجزاء النص في صلب علاقات متآلفة تحددها نوعية بنيتهِ اللسانية[٣]، فالفكرة القائمة على التناسق والتناسب بين الألفاظ والجمل والأفكار في النص يمكن أن تشكل استمراريته[٤].

فيُلحظ في النصّ السابق العلاقة المتآلفة بين التذييلين وبين الجملة الأصلية وهي من باب عود الخاص على العام فقد جاء في تفسير الآية؛ إن "الأشياء كلها تحت قهره وسلطانه فمن يمنع من قدرته ومشيئته؟ إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً، أي: إن أراد أن يهلك من زعموه إلها، وأمّه، والنّاس جميعا، والمعنى: أنّ المسيح عبد مخلوق كسائر العباد، وذكر من في الأرض جميعا في هذا السياق إشارة إلى أنّ المسيح وأمّه من جنسهم، لا تفاوت بينهما وبينهم من حيث المعنى، وهذا يفيد أنّ من اشتمل عليه رحم الأموميّة لا يفارقه نقص البشريّة (...)، وَللَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما فجميع الموجودات ملكه ومنهم المسيح وأمّه وأنّى تجتمع المملوكية مع الربوبيّة (...)، وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فله وحده الربوبية وهو وحده الإله، والسياق كله ردّ على النّصارى فيما زعموه من شأن المسيح"[٥]، فالقضية الرئيسة المبسوطة في هذه الآية هي التوحيد[٦].

وإن الانسجام يقوم بتوصيف التعبيرات الواقعة بالفعل، إلى جانب تحديد العوامل العميقة التي تتحكم فيها وطرحه للعلاقات بين الصياغة اللفظية والأثر النفسي المسيطر على المتلقي، فلو تأملنا صدر الآية الشريفة نجد أن النص بدأ بـ (لقد كفر)، وأن"(قد) مع الفعل الماضي تدل على التحقيق"[٧]، وهذا يشد انتباه المتلقي إلى؛ حال الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ)، وواقعهم المؤلم بعد قولتهم هذه، فجاء في النص تذييلان يبينان القدرة الإلهية وفيهما الحجة القاطعة على تلك القدرة، ليسقط ما في أيديهم، وهذا التوصيف لا تكفي فيه الأحكام العامة أو المطلقة، وإنما لا بد من التحرك مع الصياغة جزئيا والتعرف على الخصائص التي تعرض في نظم الكلام، حتى يبدو الأمر في نهايتهِ وكأننا أمام حلقة متصلة لا تقبل التقسيم[٨]، وبذا يتبين الربط المعنوي بين الجملة الأصلية في الآية وجملة التذييل فيمكن

---

١) الحجاج في القرآن : ٣٥٩.
٢) ينظر: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيري: ١٣٢.
٣) ينظر: العلاماتية وعلم النص :٣٣.
٤) ينظر: اليونيكوزن موطن الخيول دراسة في قصيدة النثر العربية: ٦٠.
٥) الاساس في التفسير: ٣/ ١٣٥١
٦) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ١١٤.
٧) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع عبد الفتاح: ١ / ٢٠٧.
٨) ينظر: النحو بين عبد القاهر وجومسكي: ٣٣.

النظر إلى البنية وعلاقتها بالمفاهيم التي تتألف منها، ومن ثم تقدم مستويات دلالية جديدة متشعبة تتسم بالانسجام التام[١]، ومدى انسجام النص وترابطه عن طريق علاقة العموم والخصوص، لتشكل البنية النصية الكبرى في الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧- ٦٨]، في الآية الشريفة جاء بيان من هم الأولى بإبراهيم ﷺ فهم كما بينتهم الآية: "أقرب الناس وأخصهم بإبراهيم (للذين اتبعوه) أي: كانوا على شريعته في زمانه، أو اتبعوه مطلقاً فالعطف في قوله سبحانه: (وهذا النبي) من عطف الخاص على العام"[٢]، فالقضية المعروضة في هذه الآية الكريمة إن نبينا الكريم محمد ﷺ، هو أولى الناس بإبراهيم عليه السلام لموافقة شريعته للشريعة الإبراهيمية أكثر من موافقة شرائع سائر المرسلين لها[٣]، وهذه القضية هي خاصة بنبينا (صل الله عليه وآله وسلم) ومن تبعه، ثم جاءت جملة التذييل وهي قوله: (والله ولي المؤمنين)، فهو "تذييل أي: هؤلاء هم أولى الناس بإبراهيم، والله ولي إبراهيم، والذين اتبعوه، وهذا النبي، والذين آمنوا؛ لأن التذييل يشمل المذيَّل قطعاً، ثم يشمل غيره تكميلاً كالعام على سبب خاص، وفي قوله: (والله ولي المؤمنين) بعد قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وتعريض بأن الذين لم يكن إبراهيم منهم ليسوا بمؤمنين"[٤].

وجاء في وصف السياق أنه قد " سبقت هذه الفقرة فقرة تضمنت تقرير حقيقة عيسى، وتحدي من يكذب ذلك (...)، وتأتي هذه الفقرة معللة لجدالهم ودعاواهم، (...)، وهاهنا تأتي دعوة لأهل الكتاب: لإفراد الله بالعبادة والربوبية، وفي هذا السياق تناقش دعاوى أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام (...)، ندرك: كيف أن سورة آل عمران تسير في سياقها الخاص في مسرى واحد ومجرى واحد، تتكامل مراحله فتتعانق البدايات والنهايات ضمن الأقسام والمقاطع والفقرات"[٥]، لتتكون البنية النصية الكبرى.

إنّ علماء النص يولون الانسجام عناية خاصة فيذكرون أنه "خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى"[٦]، ويترتب على ذلك، "إن الانسجام الانسجام يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام"[٧]، لأننا "لا نؤول الجمل أو أو القضايا بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها، فالعلاقة بين الجمل محددة بإعتبار التأويلات

---

١) ينظر: الانسجام في النص القرآني: ٣٣.
٢) روح والمعاني: ٣/ ٨٧.
٣) نفسه : ٣/ ٨٧.
٤) التحرير والتنوير: ٣/١٢٧.
٥) الاساس في التفسير: ٢/ ٧٩٨-٧٩٩.
٦) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٣٤٠.
٧) جمالية الخطاب في النص القرآني: ٢١٦.

النسبية"[١]، فهذه التأويلات تكون عادة خاضعة للسياق لأن؛ "للسياق دوراً مزدوجاً إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة، ويدعم التأويل المقصود"[٢]، يضاف إلى ذلك أن السياق له دور هام في تحقيق انسجام النص، لذلك اعتنى به العلماء، قديماً وحديثاً، ولم يغفلوا دور المتلقي في الحكم على انسجام النص من عدمه.

وإن الانسجام من المفاهيم التي تعنى بالتلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنص بكامله[٣]، فيتبين في ضوء ما سبق وأقوال المفسرين العلاقة الدلالية التي ربطت بين جملة التذييل وما قبلها في الآية الشريفة ويبيّن السياق هنا مدى تلاحم وانسجام النص مع قضية خصت نبينا ﷺ والذين آمنوا، بأنهم أولى بإبراهيم عليه السلام وهذه القضية المبسوطة في صدر الآية خاصة بنبي هذه الأُمة والذين آمنوا، وجملة التذييل من العام بمثابة البينة والحجة وهي قائمة على التعميم، تعميم القول بأن الذين لم يكن إبراهيم عليه السلام منهم ليسوا بمؤمنين.

وبذلك تكون علاقة العموم والخصوص بين جملة التذييل وما قبلها في الآية الشريفة شكلت البنية النصية الكبرى وهي قضية الدين والإسلام[٤]، وقد حققت نوع ربط دلالي في النص القرآني، مما أدى إلى انسجام النص الشريف.

ثالثاً: علاقة الإجمال والتفصيل:

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أبرز العلاقات المفهومية التي ركز عليها النص؛ لكونها تضمن "اتصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة"[٥].

والإجمال والتفصيل هو "الإتيان في أول الكلام، أو آخره بمعنى غير مستقل بالفهم، يتوقف فهمه على تفسيره، أو تفصيله بما بعده أو بما قبله"[٦]، وتجدر الإشارة إلى أن علاقة الإجمال والتفصيل تسير وفق اتجاهين فهي لا تسلك دائماً في فضاء النص الاتجاه نفسه، فقد تكون من الإجمال إلى التفصيل أو بالعكس من المفصل إلى المجمل[٧]، فهذه العلاقة "تسير في اتجاهين: إجمال – تفصيل، وتفصيل – إجمال، مما ينقل النص من رتابة الوتيرة الواحدة إلى تنامٍ مطرد بسلوك تينك الطريقتين"[٨].

معنى ذلك أن تلك العلاقة لا تسلك دائماً سبيل المُجمل المُفصل بل قد تتحوّل الأمور فيتقدم المفصل على المجمل لتحقيق غاية معينة وهو ما عبّر عنه ابن عاشور بقوله: "لِلْإِجْمَالِ بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَقْعًا مِنْ

---

١) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٣٤.
٢) لسانيات النص :د. محمد خطابي : ٥٢.
٣) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني: ٢١٧.
٤) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ٢٠٦.
٥) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٧٢.
٦) المعايير النصية في السور القرآنية: د. يسري نوفل: ١٥٧.
٧) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٧٢.
٨) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٧٢.

نفوس السامعين"[١]، وعليه إذا كان في النص جمع ثم تقسيم فإن العلاقة تفصيل بعد إجمال، وإذا كان في النص تقسيم ثم جمع فإن العلاقة إجمال بعد تفصيل ، فكل منهما مرتبط بالآخر: "يأتي التفصيل مقترناً بإجمال فيكون بمنزلة التعريف من التنكير إذ يجد المرء في كل منهما دلالة، ولكن دلالة التفصيل كدلالة التعريف أكثر تحديداً من قرينتها"[٢].

وتؤدي علاقة الإجمال بالتفصيل، أو علاقة التفصيل بالإجمال - بحسب البنية المتقدمة – إلى الربط بين أجزاء النص عن طريق ربط بنية معينة بعدد من البنيات؛ إذ إنَّ الإجمال غالباً ما يكون موضوعا على بنية نصية واحدة، والتفصيل موزعا على عدد من البنيات النصية عندما يريد منشئ النص "إظهار القضية بشكل جليّ فيؤكد على وجودها بأن يظهرها مجملة بعد أن فصّل فيها القول"[٣]، أو مفصلة بعد بعد أن أجمل القول فيها، وهذه العملية تسهم في جمع الأبنية النصية وصولا إلى البنية النصية الكبرى.

فالانسجام هو المفهوم النواة في تعريف النَّص[٤]، وله أهميّة كبرى، في كونه عنصرًا يعتمد على العلاقات الدلاليّة في الجمع بين العنصرَين المتتابعين، وفائدة هذا الربط جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم الأجزاء[٥]، يضاف إلى ذلك أنَّ قوة الربط تكمن حقيقة في العلاقات المعنوية الضمنية[٦]، فلا يكون الكلام مفيدًا وإنْ كان مجتمعًا بعضه ببعض ما لم يكن مترابطًاً دلالياً[٧].

وهذه العلاقة تعدها الدراسات اللسانية من العلاقات ذات الصلة الشديدة بالتماسك النصي؛ "إذ التفصيل يُعدُّ شرحاً للإجمال، والإجمال - في الغالب - سابق التفصيل، ومن ثَمّ ترى أن التفصيل يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال، وكذلك يمثل رداً للعجز على الصدر"[٨].

وقد توصل بعضهم إلى نتيجة مفادها، أن تحليل النصوص يعتمد بشكل رئيس على رصد أوجه الترابط (النحوي) بين المتواليات النصية والتماسك والانسجام (الدلالي) بين الأبنية النصية الكبرى ودور القراءة والتأويل التي تجمعها، في هيكل تجريدي[٩].

وهذه العلاقة على أنماط منها؛ ما يكون بين الآية والآيات المجاورة، أو الكلمة والكلمة / الكلمات المجاورة[١٠]، وهناك أنماط أخرى.

---

١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٠٢.
٢) العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني: ١٨٥.
٣) نظرية علم النص : حسام أحمد فرج : ١٤٦.
٤) ينظر: النَّص والخطاب والاتصال: ٩٠.
٥) ينظر: اتساق النَّص في سورة الكهف: ٦٣.
٦) ينظر: تحليل الخطاب (براون ويول): ٢٣٣.
٧) ينظر: بناء الجملة العربية: ٨٧.
٨) علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم الفقي: ٢/ ١٤١.
٩) ينظر: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : سعيد حسن بحيري: ٢٢٠.
١٠) ينظر: علم اللغة النصي : صبحي ابراهيم الفقي: ٢/ ١٤١.

يزاد على ذلك أن هذين النمطين يحققان الانسجام بين جملة التذييل وصدر الآية ومن علاقات الإجمال والتفصيل في نصوص التذييل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨- ١٦٠]، فالآية (١٦٠) جاءت تذييلاً للآيتين السابقتين لها (١٥٨،١٥٩)، والآيتان الكريمتان كانتا مجملتين، إذ تتوارد في ذهن السامع، أو القارئ مجموعة معان لا يسعه أن يثبت على واحدة لذا فصله قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فهذا النص هو بيان لسابقه، فجاء التفصيل محددا مراد النص، وهذا التفصيل كما قال عنه ابن عاشور في تفسير الآية الشريفة أن؛ "الكلام تذييل جامع لأحوال الفريقين اللذين اقتضاهما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وهذا بيان لبعض الإجمال الذي في قوله: (لا ينفع نفسا إيمانها) الآية، كما تقدم آنفا"[١]، فيلحظ في هذه الآية أن جملة التذييل جاءت تفصيلاً لما أجمل في الآيتين السابقتين وقد شكلت هذه العلاقة (الإجمال والتفصيل)، البنية النصية الكبرى في الآية الشريفة وهي قضية الجزاء والعدالة الإلهية[٢]، ضمن قضية كبرى هي الدين ، إذ إن الموضوع الأساسي الذي تعالجه سورة الأنعام - مثل غيرها من السور المكية - هو موضوع العقيدة الأساسي[٣]؛ (موضوع الألوهية والعبودية)، ومن ثم كان من الطبيعي أن يكون اتجاه السورة كله، يمضي يمضي إلى هذا الهدف المحدد... ولذا فالموضوع الرئيس الذي تعالجه متصل... وعلى الرغم من تعدد مقاطعها، ويُلحظ أن السورة من بدايتها إلى نهايتها، تعالج موضوع العقيدة من خلال التعريف بالله تعالى[٤].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٦- ٧٠]؛ إذ إن "ادعاء التقوى دون سلوك طريقها دعوى زائفة، إن سورة النساء التي تفصل في المحور- الذي دعا الناس إلى السير في الطريق الذي يوصل إلى التقوى - تفصل لنا في

١) التحرير والتنوير: ٨ / ١٩٥.
٢) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ٢٩٠، و٥٨٥.
٣) ينظر: في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٤٤.
٤) ينظر: الأساس في التفسير : ٣/١٥٥٨.

الطريق، وتوضح لنا ماهية التقوى، فالمقطع واضح الصلة بسياق السورة واضح الصلة بمحورها"[١].

فجاء التذييل في الآيتين (٦٩-٧٠) ليكون تفصيلاً لما أُجمل في الآيات السابقة له كما ذهب لذلك بعض المفسرين، ويُلحظ أن النص القرآني قوله تعالى: ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ مجمل ولا يعرف ذلك الأجر، وقد جاء (الأجر، والصراط)،على صورة نكرة غير معرف، وقد فصل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ الذي أوضحه، ورفع إبهامه، بوساطة التفصيل وأيضاً يُلحظ في النص أنه قد عُطِفَت ثلاثة مقاطع على بعضها ثم ترك العطف الذي يعد وسيلة من وسائل الانسجام النصي، ويطلق عليه النصيون اسم الترابط المفهومي، الذي يهتم بكيفية ارتباط مفاهيم من أجل إيجاد معنى كلي للنص[٢]، وبذاك تحقق الترابط النصي بمجموعة من العلاقات الدلالية، والإجمال بتفصيل، والربط المفهومي، و الكلام "ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق إليها ببيان أن نتيجتها أقصى ما تنتهي إليه همم الأمم (...)، ومتضمن لتفسير ما أُبهم وتفصيل ما أُجمل في جواب الشرطية السابقة"[٣]، وإلى مثل هذا ذهب البقاعي، إلى قول: "وكان ما قدمه في وعظه أمراً مجملاً؛ رغب بعد ترقيقه بالوعظ في مطلق الطاعة التي المقام كله لها، مفصلاً إجمال ما وعد عليها فقال: (ومن يطع الله) أي: في امتثال أوامره"[٤]. مما سبق من نماذج قرآنية ومقولات تفسرية يتبين دور علاقة الإجمال والتفصيل وفاعليتها في الترابط والتماسك بين التذييل وما سبقه من النص في الآيات السابقة لتشكل البنية النصية الكبرى وهي طاعة الله سبحانه وتعالى والشهادة في سبيله والاضطهاد بسبب العقيدة، والعلاقة مع القضية المبسوطة في الآيات السابقة ضمن محور وموضوع الزهد وتهذيب الأخلاق[٥]، وأن الآيتين"(وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ... ذلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ فالمقطع) يبدأ بالأمر بطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم، وأولي الأمر من المسلمين في طاعة الله (...)، والمقطع يبين لنا أن الله - عزّ وجل - ما أرسل رسولا إلا ليطاع، فهؤلاء الذين يعصون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحققوا ما يقتضيه إرسال الرسل لهم، وقد بين المقطع أنه لا إيمان إلا بتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في النزاع والتسليم لحكمه، وأن على المؤمن أن يطيع الله، ولو كان في ذلك ترك الأوطان، وقتل الأنفس، وأن عاقبة الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم حميدة، ثم ذكرنا المقطع بأن الطاعة لله والرسول صلى الله عليه وسلم تجعل صاحبها مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذا يذكرنا بصلة المقطع بالمحور"[٦]، و "أنّ هذا المقطع موضوعه الرئيسي طاعة الله

---

١) الاساس في التفسير: ٢/ ١٠٩٩.

٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٨٥.

٣) روح المعاني: ٤/ ١٢٢.

٤) نظم الدرر: ٥/ ٣١٩-٣٢٠.

٥) ينظر: تفصيل آيات القرآن الحكيم: ٥٣، و٢٣٢، و٣٨٨.

٦) الاساس في التفسير: ٢ / ١١٠٠.

والرسول صلى الله عليه وسلم أي طاعة الكتاب والسنة، والاهتداء بهما، وهو ركن من أركان التقوى كما نعلم"[1]، ومن ثَمّ يؤدي إلى انسجام النص.

ولا يخفى في نهاية هذا المبحث أن "النص - أي نص ومنه النص القرآني - الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه - انسجامه - وترابط أجزائه، وعلى من يتصدى لتفسير النص أن يستعين بهذه العلاقات بنوعيها - لغوية، ودلالية - وقد تكون العلاقات أو الروابط اللغوية واضحة تتمثل في بعض الأدوات (...) أما العلاقات الدلالية فإنها متنوعة ومتجددة مع النصوص بحيث يكاد كل نص أن يبتكر وسائل تماسكه (انسجامه) الدلالية، وهذه العلاقات الدلالية هي التي تساعد على ربط الإشارات في النص ببعضها، وتعين على تطورها وأسلوب تحولها حتى تكوِّن في النهاية خيطاً قوياً يربط النص رباطاً خفياً يحتاج إلى تلطف لكشفه"[2]، وقد بان مدى دور هذه العلاقات المفهومية في وصل وربط وحدات النص وأجزاءه مما أدى إلى انسجام النص وتماسكه.

ويلحظ من ذلك أنّ العلاقات الدلالية المفهومية ذات قيمة في ترابط النصوص؛ إذ إنها علاقات تبدأ في مستوى دلالي مفهومي مستمر، فترتبط المعاني والمفاهيم بعضها ببعض، لتصل إلى حقيقة البنية العميقة من وراء الترابط الشكليّ للنَّص، وعن طريق المعلومات في الخطاب، لتحقق هذه العلاقات تواصلاً، يُبنى فيها اللاحق على السابق، فتجمع بين أطراف النَّص وتربط متواليات من دون ظهور وسائل شكليّة، فهي تتعدى التَّرابط الشكليّ إلى ما هو أبعد في بنية النَّص العميقة.

---

١) نفسه : ٢/ ١٠٩٨.

٢) الابداع الموازي: محمد حماسة: ٣٦.

المبحث الثاني

المناسبة

أولاً: المناسبة داخل الآية الواحدة
ثانياً: مناسبة الفاصلة
ثالثاً: المناسبة بين آيتين متجاورتين

المناسبة:

إنّ الدارسين لعلم اللغة النصي ينظرون إلى النص على أنه نسيج من العلاقات الداخلية والخارجية، ويريدون بالداخلية العلاقات داخل النص الكائنة بين عناصره الافرادية والتركيبية، أما الخارجية؛ فيُريدون بها العلاقات التي تكون خارج النص المتمثلة في ثلاثية النص والمرسِل والمرسَل إليه، وعلاقة كل ذلك بالسياق والمناسبة بين مكونات النص ليكون منسجماً، فدراسة هذه العلاقات هي جوهر النظرية النصية التي تدعو إلى تجاوز حدود الجملة إلى بنية النص الكاملة المستقلة، والتي ترتبط بمرسل الفعل اللغوي ومتلق له، وقناة اتصال بينهما، وهدف يتغير بمضمون الرسالة، وموقف اتصال اجتماعي يتحقق فيه التفاعل[١].

ولا يمكن لنص ما أن يبدو منسجماً إذا لم تكن بنيته متداخلة مترابطة، وأن تكون هناك مناسبة - ظاهرة أو خفية - بين أجزائه فضلا على وجود علاقات مختلفة تربط بين المفاهيم في جميع مستوياتها، وهذه العلاقات دلاليّة تشدّ النص وتجعله منسجماً في بنيته العميقة وفي مجمل حركاته وانتقالاته، لكون الانسجام "مفهوماً دلاليّاً يحيل إلى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تعرفه كنص، إنّ الانسجام يظهر عندما تؤول عنصراً في الخطاب بربطه بعنصر آخر الواحد يفترض الآخر"[٢].

وتُعْرف المناسبة بأنها وسيلة من وسائل الانسجام ويقصد بها تحقق التوافق الدلالي بين الجمل وأجزاء النص[٣].

ويُعدّ علم المناسبة من بين العلوم الوثيقة الصلة بالانسجام والمناسبة في اللغة: فـ "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء مِنْهُ النَّسَبُ، سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ. تَقُولُ: نَسَبْتُ أَنْسُبُ. وَهُوَ نَسِيبُ فُلَانٍ. وَمِنْهُ النَّسِيبُ فِي الشِّعْرِ إِلَى الْمَرْأَةِ، كَأَنَّهُ ذِكْرٌ يَتَّصِلُ بِهَا؛ وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي النِّسَاءِ. تَقُولُ مِنْهُ: نَسَبْتُ أَنْسِبُ. وَالنَّسِيبُ: الطَّرِيقُ [الْمُسْتَقِيمُ]، لِاتِّصَالِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ"[٤]، إذ إن: "النسب نسب القرابات (...) النسبة والنسبة والنسب القرابة"[٥]، والمناسبة: "المشاكلة يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب: أي: مشاكلة وتشاكل"[٦].

---

١) انظر علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن البحيري: ١١٠.

٢) سيميائية النص الأدبي: أنور المرتجى: ٨٨.

٣) ينظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم: مصطفى احمد عبد العليم: ٤.

٤) مقاييس اللغة: مادة (نسب): ٥/ ٤٢٣-٤٢٤.

٥) لسان العرب: مادة (نسب): ١/ ٧٥٥.

٦) تاج العروس: مادة (نسب): ١/ ٩٦٩.

وفي الاصطلاح (المناسبة): علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن[١]، ويكون مرجعها في الآيات ونحوها إلى ربط بينها لذلك قالوا فـي كتب علوم القرآن: علم "المناسبة علم شريف، تُحرز به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول... المناسبة في فواتح الآي، وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنىً رابط بينهما: عام، أو خاص، عقليّ، أو حسيّ، أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهنيّ كالسبب والمسبّب، والعلّة والمعلول، والنظيرين، والضدّين، ونحوه، أو التلازم الخارجيّ، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[٢]، وقريب من ذلك ما قاله السيوطي: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام، أو خاص، أو عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنضيرين، والضدين ونحوهم"[٣]، وقال عنه الإمام الرازي في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٤].

ومن المحدثين من عرف المناسبة بقوله: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط كل آية بما قبلها وما بعدها"[٥].

ولما كان القرآن العظيم محبوكا بشكل لافت للنظر فقد استرعى علم المناسبة اهتمام العلماء فأخذوا يدرسون الروابط المعنوية بين آياته، متوسلين في الكشف عن سر نظام القرآن وبديع حبكه، وأن فائدة علم المناسبة "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[٦]، وعنه قال البقاعي "علم تعرف منه علل الترتيب. وموضوعه أجزاء أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعليق الذي هو كلحمة النسب؛ فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال (...)، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها"[٧].

هذا ما جعل بعض الباحثين يذهب إلى أن "البحث في علم المناسبة هو بحث في انسجام النص القرآني، بصورة ضمنية، فإذا كان الغربيون، قد انتبهوا حديثا إلى ضرورة تجاوز حدود الجملة للنظر إلى النص كله، والبحث في انسجامه فان المسلمين الأوائل، قد خاضوا في هذا المجال، وتوصلوا إلى نتائج لا تقل شئنا عما يعرفه المحدثون"[٨].

---

١) ينظر: نظم الدرر: ١/٦.
٢) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤١.
٣) الاتقان في علوم القرآن: ٣/٣٢٣.
٤) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣٦.
٥) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم: ٥٨.
٦) البرهان في علوم القرآن: ١/٤١.
٧) نظم الدرر : ١/٥-٦.
٨) الانسجام في القرآن الكريم: ٩٨.

و تكمن أهمية علم المناسبات في أنه تُعرف به إحدى أسرار النظم من ناحية الترتيب والتركيب[١]، وتُستخرج به كنوز المعارف وجميل اللطائف فمن خلال التأمل "يأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات فكرية، أو روحية"[٢]، إذ إنّ فائدة هذا العلم "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلاحم الأجزاء"[٣]، ويقول الدكتور طه جابر العلواني: "ومع أن الجرجاني لم ينص على مفهوم التناسب والوحدة البنائية في القرآن الكريم، فإن جهوده في بناء نظرية النظم قد أَسَّست لها، وشقّت الطريق إليها؛ من حيث أن الترتيب هو الأساس في النظم، كما أنه السر في التناسب"[٤]، وبذا يكون المفسر بحاجة إلى بصيرة متيقظة وفهماً لمقاصد كتاب كتاب الله، وأن يكون كثير السؤال، لماذا وضعت هذه الآية هنا؟ ولم تُوضع تلك؟ فإن بانَ له سر من أسرارها فبه ونعمت، وإن انغلق عليه، فالتكلف في هذا الميدان مذموم، إذ نقل السيوطيّ قول بعض العلماء في المناسبة، قائلاً: "المناسبة علم حسن، لكن يُشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع أمر متّحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، مَن ربط ذلك، فهو متكلّف بما لا يقدر عليه إلاّ بربط ركيك، يُصان عن مثله حسن الحديث، فضلاً عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة، شرّعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"[٥].

وقال البقاعي: "إنّ للإعجاز طريقتين، أحدهما: نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني: نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب"[٦]. ويقترب مفهوم المناسبة من مفهوم الانسجام إذ يرى الدكتور صبحي الفقي أن المناسبة من أهم العوامل التي تسهم في تحقيق الانسجام إذ يقول "الجهة الجامعة هي المناسبة، ووظيفتها تحقيق اتصال الكلام، ومن ثم تماسكه النصي"[٧].

يُفهم من هذا أنّ مكونات النص المنسجم ترتبط بعضها ببعض بعلاقات دلاليّة تجعلها تتصف بالتتابع المنطقي للمعاني، فالانسجام يضمن للنص فاعليته في أن يكون كلاًّ موحّداً ومتصفاً بالانتظام، لأنّه يضمن "التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وهذا يفترض قبولاً متبادلاً للمتصورات التي تحدّد صورة عالم النص المصمّم بوصفه بناءً عقليّاً"[٨].

فـ"علم المناسبة يبحث في العلاقات المختلفة في أجزاء النص، دون تفرقة بين ظاهر النص وباطنه

---

١) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٣٦.
٢) مباحث في التفسير الموضوعي: د. مصطفى مسلم: ٥٨.
٣) البرهان في علوم القرآن: ١/٣٦.
٤) الوحدة البنائية للقرآن المجيد: طه جابر العلواني: ٣.
٥) معترك الأقران: ١/٤٤.
٦) نظم الدرر: ١/١١.
٧) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي ابراهيم افقي: ٢/١٠٠-١٠١.
٨) العلاماتيّة وعلم النص: ٣٣.

أو سطحه وعالمه، فالتناسب هنا يشمل الأمرين معاً، ولمَّا كانت هذه الأجزاء متكاملة متناغمة منسجماً أولها مع آخرها، فقد استطاع هذا العلم أن يستقطب منظومة اصطلاحية سعت إلى الإبانة عن هذه العلاقات بين الآيات والسور"[١].

فمناسبة العلاقات الدلاليّة بين جمل النص تؤدي إلى الانسجام إذا كانت متّصفة بالمنطقيّة والمقبوليّة من المتلقي، لأنّ الانسجام ظاهرة تأويليّة ديناميكيّة من الفهم المعرفي، تتدخل فيه أنواع كثيرة من المعارف الذاتيّة[٢]، وعليه فإنّ محلّل النص وهو يتناول الانسجام "يستضيف النص ويعقد معه صلات حميمة ليتعاونا معاً على انجاز مهمّة الفهم والتأويل"[٣].

يتبين - مما سبق - أن علم المناسبة ذو أهمية بالغة في دراسة الانسجام، إذ إن الانسجام يتناول العلاقات الملحوظة التي تؤدي إلى انسجام النص وهذا جزء من دراسة المناسبة؛ إذ إنها تختص بالعلاقات الملفوظة والملحوظة، وسيكون الحديث عن المناسبة بما يخدم الانسجام، من خلال تناول العلاقات الملحوظة. وان المناسبة تنقسم إلى مناسبة على مستوى السورة الواحدة، ومناسبة بين السور، والمناسبة المرتبطة بسبب النزول ، وكذلك يتوقف انسجام النص "على علاقاته مع المحيط الخارجي، فالانسجام يدخل السياق بمعناه الواسع، أي المقام الخارجي، إضافة إلى معارف العالم، أو ما يسمى بـ: (الموسوعة الثقافيّة المرتبطة بالنص)"[٤].

يدلّ هذا على أنّ النص ليس تتابعاً للجمل، ولا يمكن أن يُنظر إليه من هذه الزاوية فقط، بل إنّ هناك عواملَ أخرى تدخل حين يتعلّق الأمر بالحكم عليه من ناحية الانسجام، وهذه العوامل كلّها تشترك من أجل الحصول على انسجام النص على مستوى بنيته الكليّة[٥].

وهذه العوامل هي في الأصل علاقات دلاليّة تنمو بين الجمل وعلى مستوى النص كلّه، ومتوافقة ومترابطة في العالم المطروح، وهذا ما أكّده شارول بقوله: "حتى يكون مقطع ما أو نص منسجماً، يجب أن تكون الوقائع التي يوردها في العالم المطروح مترابطة"[٦].

من أجل ذلك، حاول شارول في مقاله (القواعد الواصفة للانسجام meta- regles de coherence)، أن يؤسس لهذه القواعد من منطلق مفاده أنّ الكلام على الانسجام يجب أن يضع في الحسبان خطيّة النص، أي: يجب أن يؤخذ في الحسبان التتابع الذي تظهر فيه العناصر المكوّنة للنص[٧].

وستكون دراسة المناسبة داخل السورة الواحدة من خلال المناسبة داخل الآية الواحدة أو المناسبة بين

---

١) من الجملة إلى الخطاب، قراءة في علم المناسبة، محمد عبد الباسط عيد، مجلة: جذور، ج ٣١، مج ١٢، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ أبريل ٢٠١١م، ٧٢.

٢) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٤٠.

٣) دينامية النص: محمد مفتاح: ٤٢.

٤) ينظر: سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة: رشيد الإدريسي: ٦٢.

٥) ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم: مفتاح بن عروس: ٣٥.

٦) نفسه: ٤٨.

٧) ينظر: نفسه: ١٢.

الآيتين، لأن ماله صلة وطيدة بنحو النص؛ هو المناسبة بين الآيات[1]، ويحاول البحث إدراك المناسبة في ترتيب الأمور المذكورة داخل الآية، ومناسبة الفاصلة في الآية القرآنية ضمن سياقها من خلال ما يذكره المفسرون لتبين الانسجام في الآيات القرآنية الشريفة المتضمنة تذييل وادراك انسجام التذييل مع النص السابق له.

أولاً: المناسبة داخل الآية الواحدة:

إذا كان الباحثون يتحرون لكل آية مناسبة لما قبلها وما بعدها، ولكل سورة، فمن الأولى البحث والتحري عن المناسبة في الآية الواحدة، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤]، هناك مناسبة بين استعمال كلمة (بَارِئِكُمْ) وبين جملة التذييل، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ فان "تعبير موسى عليه السلام في كلامه بما يدل على معنى لفظ البارئ في العربية تحريض على التوبة؛ لأنها رجوع عن المعصية ففيها معنى الشكر وكون الخلق على مثال متناسب يزيد تحريضا على شكر الخالق"[2].

والى مثل هذا ذهب الطيبي في تفسير هذه الآية إذ قال: "ناسبت هذه التوبة لفظ البارئ دون غيره من الأسماء؛ لان البارئ هو الذي خلقهم أبرياء من التفاوت وهي نعمة جسمية، وكان من حق الشكر أن يخصوه بالعبادة، فلما عكسوا وقابلوها بالكفران حيث عبدوا ما لا تمييز له أصلا استرد منهم تلك النعمة بالقتل"[3]، فإن المفسرين يشيرون إلى فيوضات هذا الاسم وهو (البارئ) من الأسماء الحسنى على على النص الشريف وكأنهم يذهبون إلى أن هذا الاسم هو الذي يحمل الدلالة المركزية في الآية الشريفة يقول السيد الطباطبائي في تفسير هذه الآية البارئ "وقع في ثلاث مواضع من كلامه تعالى: اثنان منها في هذه الآية ولعله خص بالذكر هاهنا من بين الأسماء الملائمة معناه للمورد؛ لأنه قريب المعنى من الخالق والموجد، (...) فاختيار لفظ البارئ بإضافته إليهم في قوله: إلى بارئكم، وقوله عند بارئكم للإشعار بالاختصاص لإثارة المحبة"[4]، فنجد أن السيد الطباطبائي قد اهتم بملائمة هذا الاسم للمورد الذي جاء فيه خصوصاً عن باقي الأسماء الحسنى، وهو بذلك يشير إلى مناسبة هذا الاسم للسياق الذي ورد فيه وانسجامه مع النص الكريم، ومن خلال تأمل أقوال المفسرين التي مرت علينا في هذه الآية يتبين بشكل واضح علاقة المناسبة بين لفظ (بارئ) والسياق الذي ورد فيه ومدى انسجام النص مع جملة التذييل من خلال علاقة المناسبة.

---

١) ينظر: العلاقات النصية في القرآن الكريم: مصطفى احمد عبد العليم: ٤.
٢) التحرير والتنوير: ١/ ٢٩٨.
٣) التبيان في البيان: الامام الطيبي: ٢٠٢.
٤) الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٦١.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، وقعت الآية في سياق بيان مؤامرة اليهود في زعزعة إيمان المسلمين وخلخلته في نفوسهم، وجاء هذا لبيان ما يحمله اليهود من حقد وعداء تجاه المسلمين فـ"الخطاب هنا للمؤمنين يحمل رائحة التحذير (...)، فهو استنكار لتشبه بعض المؤمنين بقوم موسى في تعنتهم وطلبهم للبراهين والخوارق (...) وهو تحذير لهم من نهاية هذا الطريق، وهي الضلال، واستبدال الكفر بالإيمان، وهي النهاية التي صار إليها بنو إسرائيل"[١]. ويُلحظ أن سيد قطب قد ربط بين السياق وأسباب النزول وما يحيط بالمسلمين من ظروف خارجية لتفسير الآية الشريفة من خلال المناسبة بين صدر الآية وجملة التذييل التي أكدت إرادة السؤال والكشف عن ماهيته من خلال جملة التذييل فضلا عن أن جملة التذييل قد وضعت حدا للتساؤلات: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فكشفت جملة التذييل أنّ هذه التساؤلات القصد من ورائها منبعه الكفر وغايتها إيقاع المسلمين فيه.

إن جملة التذييل المؤكدة لمفهوم الجملة أو الكلام السابق لها ترتبط به دلاليا؛ إذ إن "ذكر جملة بعد جملة يؤذن بمناسبة بين الجملتين فإذا لم يكن مدلول الجملتين واضح التناسب عَلِمَ المخاطب أن هناك مناسبة يَرمز إليها البليغ فهنا تعلم أن الارتداد عن الإيمان إلى الكفر معنى كلي عام يندرج تحته سؤالهم الرسول كما سأل بنو إسرائيل موسى فتكون تلك القضية كفرا وهو المقصود من التذييل"[٢]، إن ما ذهب إليه ابن عاشور يدل دلالة واضحة على المناسبة بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل وكيف أن جملة التذييل بينة المقصود من أن قضية سؤالات بني إسرائيل ومن يفعل فعلهم هذا من المسلمين يندرج تحت عنوان الارتداد من الإيمان إلى الكفر، وبذلك يتبين انسجام النص المتحقق من خلال المناسبة بين صدر الآية الشريفة وجملة التذييل.

ومن التناسب في الآية الواحدة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦]، إذ جاء التناسب بين أول الآية وجملة التذييل، فبعد أن ذكر ما يدل على مشيئته وقدرته وربوبيته في قوله: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) فجاء يذكر: ما يستدل عليه من ذلك، وهو أن الله واحد لا اله غيره، فالمناسبة هنا من باب "ذكر الدليل والمدلول عليه، وإنما ذكر (العزيز الحكيم) تحذيرا بعد ذكر الدليل؛ ليعلم انه عزيز لا يتهيأ لأحد منعه من عقوبة من يريد عقابه، حكيم في فعل العقاب وفي جميع أفعاله"[٣]. ويرى بعض المفسرين أن "إعادة كلمة التوحيد فيها زجر للنصارى عن قولهم بالتثليث، (...) فالعزيز إشارة إلى كمال القدرة، والحكيم إشارة إلى كمال العليم"[٤]، وأنه "يؤيد إلاحَتَهُ في التهليل إظهار الختم في هذه الآية بصفتي العزة المقتضية للانتقام من أهل عداوته

١) في ظلال القرآن: ١/ ١٠٢.
٢) التحرير والتنوير: ١/٤٣٦.
٣) التبيان: الطوسي: ٢/ ٤٩٤.
٤) التفسير الكبير: ٢/٧/١٣٦. وينظر: جامع البيان: ٣/١٦٨.

والحكمة المقتضية لإكرام أهل ولايته"[١].

فعلم المناسبة في القرآن الكريم، يقوم على إيجاد شبكة من الروابط بين عناصر النص القرآني، مما يؤدى إلى قراءة نصية واعية للقرآن الكريم لا تختلف كثيراً عما يفعله الباحثون في علم اللغة النصي، إذ لا يمكن قراءة النص القرآني على أنه آيات منفصلة أو أنْ تُقرأ آياته بمعزل عن بعضها، وإنما تقرأ على أنها نصوص آخذةٌ بعضها بأعناق بعض، وجملة التذييل في القرآن الكريم في الخطاب القرآني تناسبت تماما مع النصوص، والآيات القرآنية المُذيَلة، فهي تحمل عنواناً موجّه من منشئ إلى متلقي ذات قصدية وغرض محدد لا يمكن الوقوف عليه إلّا بقراءة متأنية للنص.

ثانياً: مناسبة الفاصلة:

تختم الآية القرآنية وتذيل بما يناسب سياقها، فالفاصلة القرآنية تأتي منتظمة وثيقة الصلة بالآية شكلاً ومعنىً، فإن حُذفت أو بُدلت اختل النظم، وفات المعنى إذ يقول الزركشي: "اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة؛ مقطع الكلام، وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله. فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أو لا؛ وإلا خَرجَ بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك؛ لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب"[٢]، فإن ثمة علاقة بين الفاصلة في جملة التذييل وسياق الآية نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، إن جملة التذييل قد ختمت بـ (العزيز الحكيم) فضلا على أن سياق الآية الشريفة هو سياق دعاء، وتعقيب الدعاء بهذين الوصفين مما يستلزمه الدعاء، إذ لو لم يكن عزيزاً لما صح وقوع طلب العون منه[٣]، ولو لم يكن حكيماً لما وقع المطلوب على وفق المصلحة، فالختم بهذين الاسمين "تعليل للدعوات كلها، فهما تذييل لتقريب الإجابة"[٤]، إذ إن طلب العون والتوكل والإنابة يناسبه (العزيز)؛ وأيضاً "لتقريب الإجابة أي: لأنك لا يغلبك أمر عظيم ولا يعزب عن علمك وحكمتك شيء"[٥]، وقد ربط المفسرون بين صدر الآية وجملة التذييل بقولهم: "الجملة تعليل للدعاء وإجابة المسؤول فإن وصف الحكمة مقتض لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التي من جملتها بعث الرسول، ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة"[٦]، فيُلحظ الانسجام الواضح بين جملة التذييل وصدر الآية الشريفة من خلال المناسبة بين الفاصلة وسياق الآية. ووجه المناسبة بين صدر الآية من بعث الرسل وإنزال الكتب أن "بعث الرسول تولية، والتولية لا

---

١) نظم الدرر: ٤/٢٢٢.

٢) البرهان في علوم القرآن: ١/٦٩.

٣) ينظر: اثر السياق في بنية الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى: د. هانم محمد: ٢٠.

٤) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري: ٣/٨٨.

٥) التحرير والتنوير: ١/ ٤٨٥.

٦) ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم: ١/ ٢٠٦.

تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندا إلى حكمة مرسله، لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه، فلا بد وان يكون حكيما، فلا جرم كان اقترانهما مناسبا"[1]، فالمتأمل لأقوال المفسرين السابقة يجد أنهم قد أشاروا إلى المناسبة بين سياق الآية الشريفة والفاصلة في جملة التذييل وكذلك إلى مناسبة اقتران اسمي (العزيز، الحكيم) فيما بينهما وبينوا كيف أن اقترانهما انسجم مع سياق الآية الشريفة وانهما كانا مرتبطين اشد الارتباط في هذا السياق.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٢٩- ١٣٠]، جاءت جملة التذييل (وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا حَكِيمًا) مختومة بفاصلة مناسبة لصدر الآية الشريفة إذ ذهب المفسرون إلى أنه "ناسب ذلك ذكر السعة، لأنه تقدم من سعته، والواسع عام في الغنى والقدرة والعلم وسائر الكمالات، وناسب ذكر وصف الحكمة، وهو وضع الشيء موضع ما يناسب، لأن السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت إلى فساد أقرب منها للصلاح"[2]، وأشار أبو حيان إلى المناسبة بين صفتي (واسعا)، و(حكيما) في ذيل الآية وبين صدر الآية وكذلك قد نبه إلى المناسبة بين الحكمة وصفة (واسعا) وبذلك تكون المناسبة بين الصفتين فيما بينهما وكذلك مناسبتهما مع سياق الآية الشريفة، قد كان لها أثر في انسجام النص الكريم من خلال انسجام جملة التذييل مع صدر الآية. ويتضح من خلال ما سبق الدور الذي لعبته المناسبة في انسجام النص القرآني وخصوصا موضوع الدراسة المناسبة بين جملة التذييل وما يسبقه في صدر الآية فان انسجامه كان واضحا، يضاف إلى ذلك إن المناسبة قد بينت الترابط والتماسك في النص الكريم وبالتالي انسجامه.

وهناك مناسبة بين كلمات الآية الواحدة ومقاطعها وفقراتها من خلال المعنى فمقاطع وكلمات الآية الواحدة يأخذ بعضه بأعناق بعض وهذا ما بينته المناسبة داخل الآية الواحدة ومناسبة فاصلة الآية لسياق الآية ذاتها من خلال الترابط المعنوي بين جملة التذييل والسياق الذي ترد فيه، مما أدى إلى انسجام النص الكريم، وقد تبين من خلال التذييل الذي يؤكد مفهوم الكلام السابق له أن هناك مناسبة بينهما من خلال الترابط المعنوي ومن ثَمّ هناك انسجام في النص.

ثالثاً: المناسبة بين آيتين متجاورتين:

يُلحظ اهتمام العلماء بالمناسبة بين الآيات الكريمة، فالزركشيّ يشير إلى الترابط بين الآيات من جانب، وبين السور من جانب آخر، ويؤكّد على معرفة نوع العلاقة الرابطة بين آية، وأخرى، في قوله: "والذي ينبغي في كلّ آية أن يبحث أول كلّ شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها، أو مستقلة، ثمّ المستقلّة ما وجه

---

١) البرهان في علوم القرآن: ١/ ٧٥.

٢) البحر المحيط: ٣/ ٣٨٢.

مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت له"[١].

وقد أفرد أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض بمبحث خاصّ، قال فيه: "ذكر الآية بعد الأخرى، إمّا أن يظهر الارتباط بينهما لتعلّق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى فواضح. وكذلك إذا كانتْ الثانية للأولى على جهة التأكيد، والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه، وإمّا ألاّ يظهر الارتباط، بل يظهر أنّ كلّ جملة مستقلّة عن الأخرى، وأنّها خلاف النوع المبدوء به، فإمّا أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم، أو لا"[٢].

فالقسم الأوّل: تكون فيه الآية معطوفة على ما قبلها، فيبحث المفسّر عن الجهة الجامعة بينهما، أمّا القسم الآخر: لا تكون فيه الآية معطوفة، وإذ ذاك "فلا بدّ من دعامة تُؤذن باتّصال الكلام، وهي قرائن معنويّة مُؤذنة بالربط"[٣]، وجعل له أسباباً[٤].

ومن المناسبة بين آيتين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٥- ١٢٦]، إذ جاء في تفسيرها أنّه لمّا ذكر الله تعالى أنّه " اتّخذ ابراهيم خليلاً؛ لطاعته ربّه وإخلاصه له العبادة ومسارعته إلى رضاه، بيّن ذلك بفضله لا من حاجة إلى خِلَّته، فقال: وكيف يحتاج إلى خِلَّته من له ما في السموات والأرض من قليل وكثير ملكاً، ومع ذلك مُستغنٍ عن جميع خَلقهِ، وجميعُ الخَلق يحتاجون إليه، فكيف يحتاج إلى خِلَّة إبراهيم، لكنّه اتّخذه خليلاً لمسارعته إلى رضاه وامتثاله ما يأمره به"[٥]، فلما بيّن فيما سبق من يُحبّه ويُرضيه، ومن يَبغضُه ويُغضبُه، أراد إزالة الوَهم في أن يؤخَذ كلامه على غير حقيقته ويُظَنّ أنّه في حاجة إلى الخليل، قال (ولله ما في السموات) فجعله المُختصّ بالوحدانيّة فلا كُفءَ له يملك السموات وما فيها، (وما في الأرض)، أي إنّ إبراهيم عليه السلام وغيره وكلّ مَن على الأرض هو مُلكٌ لله ـ جلَّ شأنه ـ ولكنّه يختار من أوليائه الصالحين، وهو لِما له من صفات الكمال عالِمٌ ومحيطٌ بكلّ شيءٍ وقادرٍ عليه، لا يَخفى عليه شيء ولا يُعجزه أمر[٦] وقد "اصطفى الله – عزّ وجل – إبراهيم لمقام الخلة عنده، وفائدة ذكر هذه الجملة تأكيد وجوب اتباع ملته وطريقته، لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذه خليلا، كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته"[٧]، فجملة التذييل جاءت مناسبة لما قبلها في السياق إذ إن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ﴾، فقد "ذكر هذا بعد ما سبقه إشارة إلى أن اتخاذ الله إبراهيم خليلا إنما كان لاحتياج الخليل إليه؛ مكافأة له على

---

١)البرهان في علوم القرآن: ١/ ٤٣.
٢) نفسه : ١/ ٤٤. وينظر: معترك الأقران: ١/ ٤٥.
٣) نفسه: ١ / ٤٨. وينظر: لسانيّات النصّ: ١٩٣.
٤) ينظر: نفسه: ١ / ٤٨ – ٥١.
٥) التبيان: الطوسي: ٣ / ٣٢٧، وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: ٣ / ٢٠١.
٦) نظم الدرر: ٥ / ٤١٤ ـ ٤١٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٥ / ٤٠٢.
٧) الاساس في التفسير: ٢ / ١١٩٠.

عبوديته، لا لاحتياجه تعالى إليه، لأنه منزه عن ذلك، فهو مالك كل شئ وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً أي: عالما، قال ابن كثير في تفسيرها: أي علمه الفذ في جميع ذلك، لا تخفى عليه خافية من عباده، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ولا تخفى عليه ذرة مما تراءى للناظرين، وما توارى"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الانعام: ١٥١- ١٥٣]، يُلحظ أنّ مناسبة هذه الفواصل مع النص الكريم قد تحققت من خلال علاقة التمكين التي تُعَدُّ "إجراء فاعلا في التفسير والتأويل، به يتبدى انسجام النص، ويتحقق تماسكه، ويُبرهن على إعجازه"[2]، وقد وجه التمكين في النص السابق بشكل يظهر منه انسجام النص كما جاء في قول السيد الطباطبائي بقوله: "اختلفت الخواتيم في الآيات الثلاث فختمت الآية الأولى بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) والثانية بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) والثالثة بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)، ولعل الوجه في ذلك أن الأمور المذكورة في الآية الأولى وهي الشرك بالله العظيم وعقوق الوالدين وقتل الأولاد من إملاق وقربان الفواحش الشنيعة وقتل النفس المحترمة من غير حق مما تدرك الفطرة الإنسانية حرمتها في بادىء نظرها ولا يجترىء عليها الإنسان الذي يتميز من سائر الحيوان بالعقل (...)، فمجرد الاعتصام بعصمة العقل في الجملة والخروج عن خالصة الأهواء يكشف للإنسان عن حرمتها وشآمتها على الإنسان بما هو إنسان، ولذلك ختمت بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)"[3].

وجاءت "الآيات مرتبةً جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل، فإن التقية بالحمية قبل الدواء، وقرن به البر لأنهما من باب شكر المنعم وتعظيماً لأمر العقوق، ثم أولاه القتل الذي هو أكبر الكبائر بعد الشرك، وبدأه بقتل الولد لأنه أفحشه وأفحش من مطلقه (...)، ولما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس، ختمها بما لا يقوله إلا المحب الشفوق ليتقبلها القلب فقال: (وصّاكم به) أمراً ونهياً؛ ولما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها وجلالة

---

١) الاساس في التفسير : ٢ / ١١٩٠.

٢) من الجملة إلى الخطاب، قراءة في علم المناسبة: محمد عبد الباسط عيد: مجلة جذور، ج٣١، مج ١٢، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - إبريل ٢٠١١م، ٨٣.

٣) الميزان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٢١.

وقعها في النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال: (لعلكم تعقلون)"[1]، وفي كلام البقاعي السابق إشارة إلى انسجام النص الكريم وتوافق أجزاءه، وما ذكر من وصايا منها في الآية الثانية وهي "الاجتناب عن مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، والعدل في القول، والوفاء بعهد الله أمور ليست بمثابة ما تليت في الآية الأولى من الظهور بل يحتاج الإنسان مع تعبيه بالعقل في إدراك حالها إلى التذكر وهو الرجوع إلى المصالح والمفاسد العامة المعلومة عند العقل الفطري حتى يدرك ما فيها من المفاسد الهادمة لبنيان مجتمعه المشرفة به وبسائر بني نوعه إلى التهلكة فماذا يبقى من الخير في مجتمع إنساني لا يرحم فيه الصغير والضعيف، ويطفف فيه الكيل والوزن، ولا يعدل فيه في الحكم والقضاء، ولا يصغى فيه إلى كلمة الحق، ولهذه النكتة ختمت الآية بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)"[2].

ولما كانت هذه "الأفعال والأقوال شديداً على النفس العدلُ فيها لكونها شهوات، تقدم بالترغيب فيها والترهيب منها بأن كل من يفعل شيئاً منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله، فلذلك حض على التذكر في الوصية بها ولأنها خفية تحتاج إلى مزيد تدبر فقال: (لعلكم تذكرون)"[3]، فيلحظ مما سبق مدى تناسب الفاصلة مع سياق الكلام ويستم هذا التناسب في النص الكريم فلو تأملنا "الغرض المسوق له الآية الثالثة هو النهي عن التفرق والاختلاف في الدين باتباع سبل غير سبيل الله، واتباع هاتيك السبل من شأنه أن التقوى الديني لا يتم إلا بالاجتناب عنه (...)، وبالجملة التقوى الديني لا يحصل بالتفرق والاختلاف، والورود في أي مشرعة شرعت، والسلوك من أي واد لاح لسالكه بل بالتزام الصراط المستقيم الذي لا تخلف فيه ولا اختلاف فذلك هو الذي يرجى معه التلبس بلباس التقوى، ولذلك عقب الله سبحانه قوله: (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) بقوله: (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)"[4]، وأن الآية الثالثة لما جاء فيها "الأمر باتباعه متضمناً للنهي عن غيره، صرح به تأكيداً لأمره فقال: (ولا تتبعوا السبل) أي المنشعبة عن الأهوية المفرقة بين العباد، ولذا قال مسبباً (فتفرق بكم) أي تلك السبل الباطلة (عن سبيله) ولما مدحه آمراً به ناهياً عن غيره مبيناً للعلة في ذلك، أكد مدحه فقال: (ذلكم) أي الأمر العظيم من اتباعه (وصّاكم به)، ولما كان قد حذر من الزلل عنه، وكان من المعلوم أن من ضل عن الطريق الأقوم وقع في المهالك، وكان كل من يتخيل أنه يقع في مهلك يخاف، قال: (لعلكم تتقون) أي اتبعوه واتركوا غيره ليكون حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك، (...) وفصل ما هنا من الأحكام في ثلاث آيات، وختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك آكد في القول فيكون أدعى للقبول، وختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا إلى التذكير فحمل على التقوى"[5].

---

١) نظم الدرر: ٧ / ٣١٦-٣١٨.

٢) الميزان في تفسير القرآن: ٧ / ٣٢١.

٣) نظم الدرر: ٧ / ٣٢٠.

٤) الميزان في تفسير القرآن : ٧/ ٣٢١ -٣٢٢.

٥) نظم الدرر: ٧ / ٣٢١.

يُلحظ في النص الكريم انسجام جمل التذييل مع النص المُذيَل في الآيات السابقة وتوافق كل آية مع ما تختم به، وبذلك تكون المناسبة بين فواصل أكثر من آية في سياق واحد ومتجاورة قد حققت تماسكاً وانسجاماً بين جملة التذييل والنص، وأن المناسبة قد شكلت نقطة ارتكاز واضحة تلتقي حولها منظومة نصية تشكل انسجام النص القرآني والكشف عن العلاقات والبنى النصية الكبرى التي تشكل نصية القرآن وتجعله كلاً آخذاً بعضه بأعناق

المبحث الثالث

السياق اللغوي الداخلي

أولاً: سياق الآية
ثانياً: سياق المقطع

السياق اللغوي الداخلي:

إنّ للسياق أثراً أساسياً ومهماً في فهم النص اللغوي مسموعاً كان أم مقروءاً ولابد من الوصول إلى معانٍ ودلالاته النص من وضع الكلمة، أو الجملة، في سياقها الذي وردت فيه وقد "عني اللغويون والمفسرون بدراسة السياق لإستنباط الدلالات الحقيقية والمجازية وطبقوا ذلك على القرآن الكريم وغيره من النصوص"[١]، ولكلمة سياق (context) معانٍ عدة وما يخصنا هنا هو المعنى التقليدي الذي وردت به في كتب اللغة والنحو المختلفة حيث دقة المعنى المطلوب منها عند نظم الكلمة وموقعها من النص، على أننا لو تأملنا الآراء المتفرقة التي تشير إلى أن كل معنى من معاني المفردة قرين بالسياق؛ أمكننا من إدراك تأثير السياق على المعنى إدراكاً صحيحاً، وهذا التأثير ذو أهمية قصوى ومتعددة الجوانب، وإذا كان لنا أن نبدأ بأبسط حالات هذا التأثير أمكننا أن نبتكر صورة متدرجة من الأمثلة التي توضح الدور الحيوي المتزايد الذي يلعبه السياق في تحديد المعنى[٢].

أما معنى السياق الاصطلاحي فإن المحدثين حاولوا أن يضعوا له مفهوماً في ضوء النظريات الحديثة فهو من حيث المدلول العام يُقصد به الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص، ووحدته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، بحيث يؤدي مجموعة ذلك إلى إيصال معنى معين أو فكرة محددة لقارئ النص، وبذلك نستطيع أن نلمح وشيجة بين المعنى المعجمي وبين المعنى الاصطلاحي للسياق، وذكر فتحي إبراهيم أنّ السياق هو: "بناء نصي كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائماً ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط، بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"[٣].

وعند البحث عن المعنى الدلالي لمصطلح السياق نجد أن السياق يعني: "تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرة، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود (...) وهي بذلك تعني المتابعة أو التتابع ولا تقتصر على المعنى الإفرادي أو المعجمي وبشكل أوضح ظهور معنىً واحداً بعينه دون غيره للكلمة من خلال الجملة أو مجموع الجمل التي وردت فيها دون المترادف أو المشترك للكلمة في النص الواحد وعن ذلك يقول الدكتور تمام حسان: هي دراسة الكلمة عن طريق المجاورة في السياق بوصفها نواة الدلالة"[٤]، فالمعنى السياقي هو المعنى الذي يُستقى من النظم اللفظي والمعنوي للكلمة وموقعها من ذلك النظم[٥].

---

١) نظرية علم النص: حسام أحمد فرج: ٢٢.

٢) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٩.

٣) معجم المصطلحات الأدبية: فتحي إبراهيم: ٢٠١.

٤) معجم مصطلحات الادب: ٨٩، وينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٦٣ وما بعدها.

٥) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٢.

وقد عرّفه بعض المحدثين بقوله: " سياق الكلام: أسلوبه ومجراه، تقول: وقعتْ هذه العبارة في سياق الكلام، أي جاءتْ متّفقة مع مجمل النصّ، وللتقييد بسياق الكلام في تفسير النصوص، وتأويلها فائدة منهجيّة؛ لأنّ معنى العبارة يختلف باختلاف مجرى الكلام، فإذا شئتَ أنْ تفسّر عبارة من نصّ، وجب عليك أنْ تفسّرها بحسب موقعها في سياق ذلك النصّ"[١]، والسياق عند البعض هو "الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها"[٢].

في حين صرّح بعضهم "بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها)"[٣].

وقد ذهب أحد الدارسين إلى ما يؤكد المعنى اللغوي الذي يدل على (التتابع أو الإيراد) بقوله: "المقصود بالسياق التّوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك [الانسجام]، والسياق من هذه الزاوية يسمى (سياق النص).

والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق (سياق الموقف)"[٤].

لقد وسع بعضهم مفهوم السياق فقال: إنّ السياق "ينبغي أن يشمل – لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب – بل والقطعة كلها والكتاب كله"[٥]، وهذا ما يطلق عليه سياق النص.

والسِّياق آلية من آليات التَّرابط النَّصيّ، كما يطلق هذا المصطلح على مفهومين[٦]:

١- السَّياق اللغوي.

٢- السَّياق غير اللغوي، (سياق الحال أو الموقف).

ويُلحظ في الدراسات اللغوية تعدد أنواع السياق التي يذكرها الباحثون[٧]، إلا أن الدراسات النصّية تميل إلى تحديد السياق بنوعين رئيسين هما:

---

١) المعجم الفلسفيّ: ١ / ٦٨١.

٢) الخطيئة والتكفير :عبد الله الغذامي: ٨-١١.

٣) علم الدلالة: ٦٨-٦٩.

٤) مقالات في اللغة والأدب : ٢/ ٦٥.

٥) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان: ترجمة: كمال بشر: ٦٢. وينظر: علم الدلالة العربي: فايز الداية: ٢١٨.

٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٤٠، ودلالة السياق: ٥١.

٧) ينظر: في أنواع السياق: نحو علم للترجمة: نيدا: ٧٤ وما بعدها، وعلم الدلالة: أحمد مختار عمر: ٦٩.

١- السياق اللغوي:

ويقصد به النص الذي تذكر فيه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة[١]، وهو الذي يحدد معنى الكلمة من خلال تفاعلها مع ما يسبقها، وما يلحقها من الكلمات، أو الأسلوب الذي ترد فيه اللفظة فتكتسب توجيهاً دلالياً من ذلك الأسلوب، وقد ترد في سياق آخر فتكتسب توجيهاً دلالياً آخر، فالكلمة لا يكون لها معنى إلا من خلال النسق اللفظي لها، وموقعها من ذلك النسق، وتحديد هذا المعنى من دون الرجوع إلى المجتمع "وان الكلمة يكون لها من المعاني بقدر مالها من الاستعمالات"[٢]، ممثلاً في النّصّ ذاته بجميع مكوناته اللغوية، وكينونتها النَّصيّة، إذ إنَّ معنى الكلمة لا يتحدد إلَّا بعلاقتها مع الكلمات الأُخرى في السلسلة الكلامية[٣]، وموقعها مِمَّا يجاورها من الكلمات التي تشترك معها في السِّياق فهو الذي بوساطته تتجلى دلالة الكلمة من خلال استعمالها في اللغة[٤]، فدارس النص ينظر إلى السياق اللغوي وصولاً منه إلى معنى ذلك النص، إذ يقول (دي سوسير): إن الكلمة إذا وقعت في سياق ما، لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً[٥]، وقد أثرت هذه المقولة باللغويين المحدثين فدفعتهم لدراسة السياق وعلاقته بالنص من جانب وعلاقته باللغة والمعنى في إطار ما يسمى بالنظرية السياقية للمعنى من جانب آخر[٦]،فدراسة السياق وعلاقته بالنص تعني دراسة كل ما له صلة بالنص.

يُضاف إلى ذلك أنّ السِّياق، هو مجموع الوحدات اللسانية التي تحيط بعنصر معين داخل سلسلة الخطاب، وتؤثر فيه، هذا مقابل سياق آخر مرجعي أو مقامي، أو سياق الحالة الذي يضم مجموع الظروف والوقائع خارج الوحدات اللسانية، كالظروف النفسية والاجتماعية والثقافية التي يجري فيها حدث التواصل من جهة، كما يجري حدث التلقي، ثمَّ يمكن التمييز بين السِّياق اللساني والسِّياق الحالي[٧].

ويرى البعض أن السياق يُعدّ من أهم مبادئ الانسجام؛ لأنه يتحتم على "محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب"[٨]. فالسياق لديهما يشمل كلاً من (المتكلم/ الكاتب) و(السامع/ القارئ) و(الزمان والمكان)[٩]. وهما يقصدان السياق المقامي المادي الذي ينشأ فيه الخطاب ويلعب أثراً مهماً في تحقيق الانسجام؛ لأنه "يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين

---

١) ينظر: المعنى النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة والحديث: د. مصطفى النحاس: ١٦٦ وما بعدها.
٢) دراسات في فقة اللغة: د. صبحي الصالح: ٣٠١.
٣) ينظر: تحليل الخطاب: (براون ويول): ٦٨.
٤) ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: ٦٨ – ٦٩.
٥) ينظر: علم اللغة العام: دي سوسير: ١٤٢.
٦) ينظر: نظرية علم النص: ٢٣.
٧) ينظر: دور السياق في الترجيح بين الأقاويل : د. محمد إقبال: ٧.
٨) تحليل الخطاب: ٣٥.
٩) ينظر: تحليل الخطاب: ٣٥، ولسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥٢.

ذا تأويلين مختلفين"[١]، كذلك يتوقف انسجام النص على علاقاته مع المحيط الخارجي للنص، فالانسجام يدخل السياق بمعناه الواسع، أي المقام خارج لساني، فضلاً عن معارف العالم، أو بتعبير إيكو: الموسوعة الثقافيّة المرتبطة بالنص[٢]، وهناك من اقترح تقسيماً للسياق إلى أربع شعب[٣] يشمل:

١ – السياق اللغوي
٢ – سياق الموقف
٣ – السياق العاطفي
٤ – السياق الثقافي

وربما اقترب مفهوم السياق وبخاصة اللغوي[٤]، من مفهوم النص، على الجمل المحيطة بالتركيب الذي تسبقه والجمل التي تتلوه[٥]، قال (جون لاينز) في بيان مفهوم النص في معنى له "أن النص عبارة عن جمل متتابعة"[٦].

ومنهم من جعل مفهوم السياق (أو الاستعمال) هو المعنى[٧]، قال: "فلا وجود لأحدهما دون الآخر فهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً (...)، وهذا يعني اعتماد المعنى والسياق على بعضهما لتحقيق وجودهما، فلا تقول هذا السياق، وذاك هو المعنى"[٨]، لأن المعنى في هذه النظرية هو "حصيلة استعمال الكلمة في اللغة من حيث وضعها في سياقات مختلفة"[٩]، إذ إن العلاقة بينهما مؤداها: أنَّ السياق يُعنى بالطريقة التي تُستعمل بها الألفاظ دلالياً، والمعنى هو الاستعمال نفسه، أو هو حصيلة الاستعمال لأنه يُفسّر بعدِّهِ وظيفة في سياق، ويُعتمد في تفسيره بالعناصر اللغوية وغير اللغوية كلها لأنها تمثّل مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للحدث المدروس[١٠]، وهناك من عرف السياق أنّه "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية"[١١].

ويظهر دور السياق في تحقيق الترابط النصي عندما تكون هناك تتابعات ليستْ مقبولة منطقيّاً، ولكنّها مقبولة ومترابطة بالنظر إلى السياق الفعليّ والبنية الكبرى، فالسياق تجريد لما نعني به الموقف

١) أصول تحليل الخطاب: ١/١٥٩.
٢) ينظر: سيمياء التأويل: الحريري بين العبارة والإشارة: رشيد الإدريسي: ٦٢.
٣) ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: ٦٩.
٤) ينظر: السياق ودلالته في توجيه المعنى: ٨ ، مبادئ اللسانيات: ٢٩٥.
٥) ينظر: دلالة السياق: ردة الله الطلحي:٢٤٠.
٦) اللغة والمعنى والسياق: ٢١٨.
٧) ينظر: السياق ودلالته في توجيه المعنى: ٢٧.
٨) السياق ودلالته في توجيه المعنى: ٧.
٩) مبادئ اللسانيات: ٢٩٤.
١٠) ينظر: علم الدلالة (بالمر): ٦٦، دور الكلمة في اللغة: ٦٦، (هامش المترجم: د. محمد كمال بشر)
١١) دلالة السياق: ردة الله الطلحي: ٥١.

الاتّصاليّ، وعناصر الموقف الاتّصاليّ هي التي تحدّد قبول الكلام المنطوق، أو عدم قبوله، وكفايته، أو عدم كفايته[١].

ولذلك فإن اللغويين والبلاغيين لا يعولون على دلالة الكلمة أو الجملة بمعزل عن سياقهما، فقد تتعدد دلالات الكلمة أو الجملة باختلاف السياق و كان للسياق دوره الفعال لدى المفسرين في بيان معنى الآية الكريمة، "بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين"[٢].

ولأهمية السياق تناوله كثير من الدارسين قديما وحديثا فمنهم من تناوله من خلال قضايا لغوية أخرى، ومنهم من افرد له بحثا، أو رسالة، أو كتابا.

يضاف إلى ذلك ما تناوله الدارسون من مظاهر السياق ودوره في الكشف عن دلالات النص في كتبهم ضمن موضوعات تتصل بقضايا اللغة المختلفة فضلا عن ما هو موجود في كتب القدماء من خلال تحليلهم للنصوص اللغوية المختلفة ولاسيما القرآن الكريم.

ويحاول البحث أن يُسهم في الكشف عن جوانب متعددة للسياق القرآني مطبقين ذلك على علاقة جملة التذييل بالآيات الكريمة لنرى إلى أي مدى يقوم السياق بأقسامه؛ بدور فعال في استكشاف المراد من الآية القرآنية بالإضافة إلى ما يقوم به من الربط اللغوي والدلالي بين أجزاء النص الكريم.

السياق اللغوي القرآني:

أما السياق اللغوي القرآني: فيُقصد به "الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الاعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته"[٣]، ويقول عنه عنه عبد الفتاح حمود هو: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[٤].

أقسام السياق:

يتضح مما ذكرناه من تعريفات السياق أنها تلتقي عند معنى أساسي وهو مجموعة القرائن التي تعين على فهم النص والكشف عن المراد منه، سواء أكانت هذه القرائن عنصرا، أو أكثر؛ من عناصر النص، ويسمى حينئذ السياق الداخلي، أم كانت متمثلة في مجموعة الظروف المكانية أو الزمانية أو الثقافية أو الاجتماعية المحيطة بالنص، وليست عنصرا من عناصره، وتسمى حينئذ السياق الخارجي، وعليه فان السياق نوعان:

---

١) ينظر: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ١١٦، وعلم لغة النص: النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد: ١.
٢) لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٥٢.
٣) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن: ٨٨.
٤) نظرية السياق القرآني: ١٥.

- سياق داخلي أو نصي.
- سياق خارجي.

وقد اعتمد المفسرون في تفسيرهم للقرآن الكريم على هذين النوعين:

إذ تنبه العرب إلى أهمية السياق في فهم النص القرآني منذ عهد مبكر جدًا فقد "رُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ سَمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ إِلَى آخِرِهَا وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فَقَالَ: مَا هَذَا كَلَامٌ فَصِيحٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَيْسَ التِّلَاوَةُ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَقَالَ: بَخٍ بَخٍ عَزَّ، فحكم، فقطع"[١]، فقد اهتدى هذا الأعرابي إلى صحة الآية احتكاماً إلى السياق والمعنى.

وفيما يلي نتناول السياق الداخلي في جملة التذييل في القرآن الكريم موضحين ذلك بنصوص من آي الذكر الحكيم.

السياق الداخلي اللغوي أو النصي:

ونعني بالسياق الداخلي "النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم"[٢]، فـ "السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله"[٣]، فالسياق هو الذي يحدد المعنى ويبينه بدقة داخل النص، ويشمل هذا النظم: الكلمات، والجمل السابقة واللاحقة للكلمة والتركيب، بل يشمل النص الذي ترد فيه، والتعبير المتضمِّن لذلك النص أيضاً[٤]؛ إذ ترتبط اللفظة في ذلك النظم بعلاقات سياقية بما قبلها وما بعدها من كلمات[٥]، ويرتبط معنى اللفظة في السياق بمعاني كل ما يصاحبها من ألفاظ تساعد على توضيح المعنى، سواء تقدمت تلك الألفاظ على اللفظ أم تأخرت عنه، أم اكتنفه من جانبيه؛ لأن السياق هو "الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة (...) فتكتسب توجيهاً دلالياً من ذلك الأسلوب، وقد ترد في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى"[٦]. فيكون اللفظة فضلاً عن دلالتها المعجمية دلالات أخرى تكتسبها من السياقات المختلفة فتكتسب مثلاً معنىً عرفياً أو تأريخياً[٧].

---

١) البحر المحيط ٤/٢٥٥.
٢) دور الكلمة في اللغة : ٥٧.
٣) نفسه: ٥٧.
٤) ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٥٥.
٥) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ٢٣٣.
٦) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية: د. أحمد نصيف الجنابي (بحث): ١٦٣.
٧) ينظر: علم الدلالة: د. أحمد مختار عمر: ٦٩.

فالألفاظ داخل السياق "شبكة واسعة معقدة من علاقات المعنى، أي أنها تشبه نسيج العنكبوت الواسع المتعدد الأبعاد، يمثل كل خيط فيه إحدى هذه العلاقات، وتمثل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة"[1]. أي: أن السياق هو الذي يحدد دلالة الكلمة في كل حالة من الحالات، والنظم القرآني معجز ليس له نظير، وكثيراً ما يمكن الوصول إلى معانيه من خلاله، فينظر إلى السياق وما به من قرائن تدل على المعنى بدقة، فيكون الاستدلال بها على الحقائق في التفسير.

وينقسم السياق الداخلي اللغوي بدوره في النص إلى نوعين سياق الآية، وسياق المقطع، وقد نبه لذلك أحد الباحثين بقوله: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحد، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن أجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى"[2]، ومن بين هذه الأنواع[3](*):

أولاً: سياق الآية:

هذا النوع من أنواع السياق يأخذ بعين الاعتبار النظر في سياق الآية (سابقها ولاحقها)، لتحديد المعنى واقتناصه المراد لأحد المفردات عبر معانيها المتعددة والمحتملة. ومن أمثلة السياق السابق لجملة التذييل ويكون لها أثر عليه، ما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، جاء في التفسير "يَقُولُ تَعَالَى: مَنْ عَادَانِي وَمَلَائِكَتِي وَرُسُلِي - وَرُسُلُهُ تَشْمَلُ رُسُلَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ،(...) (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) وَهَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، فَإِنَّهُمَا دَخَلَا فِي الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ عُمُومِ الرُّسُلِ، ثُمَّ خُصِّصَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ السِّيَاقَ فِي الِانْتِصَارِ لِجِبْرِيلَ وَهُوَ السَّفِيرُ بَيْنَ اللهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَقَرَنَ مَعَهُ مِيكَائِيلَ فِي اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ زَعَمُوا أَنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّهُمْ وَمِيكَائِيلَ وَلِيُّهُمْ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ مَنْ عَادَى وَاحِدًا مِنْهُمَا فَقَدْ عَادَى الْآخَرَ وَعَادَى اللهَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ - أَيْضًا- يَنْزِلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَعْضَ الْأَحْيَانِ"[4]، وهنا يُلحظ كيف أن ابن كثير وظف السياق لتعليل عطف الخاص على العام.

---

1) اللغة والمعنى والسياق: ٨٣، وينظر: الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي: د. كاصد الزيدي: ١٠-١١.

٢) دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: ٨٨.

٣) ينظر: السياق القرآني وأثره في التفسير: دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير: عبد الرحمن عبد الله سرور: ١٠٧

*) سيتناول البحث في النصوص المدروسة في البحث نوعين من أنواع السياق؛ سياق الآية، وسياق المقطع، (بحسب طبيعة النصوص المدروسة في البحث).

٤) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٤٢.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف:١٧٩]، إذ جاء في تفسير هذه الآية الشريفة، وأثر السياق في بيان النص وبالخصوص جملة التذييل، قولهم "لما كانوا يعظمون الجن ويخافونهم ويضلون بهم، بدأ بهم فقال: (من الجن) أي بنصبهم أنفسهم آلهة بإضلالهم الإنس في تزيين عبادتهم غير الله، فهم في الحقيقة المعبودون لا الحجارة، ونحوها (والإنس) أي بعبادتهم لمن لا يصلح (...)، ولما كان السياق للتفكر، بدأ بالقلوب فقال: (قلوب لا يفقهون بها) أي الفقه الذي كلفوا به، وهو النظر في أدلة التوحيد وثبوت النبوة وما تفرع عن ذلك، وهو الفقه المسعد، عد غيره عدماً لأنه لم ينفعهم النفع المقصود في الحقيقة، وما أحسن التعبير بالفقه في السياق إقامة الأدلة التي منها إرسال الرسل وإنزال الكتب"[١].

ويوظف البقاعي السياق اللغوي النصي في الكشف عن دلالة النص فيقول: "ولما كان البصر أعم من السمع، لأنه ينتفع به الصغير الذي لا يفهم القول، وكذا كل من في حكمه، قدمه فقال: (ولهم أعين) ولما لم يترتب عليهما الإبصار النافع في الآخرة الباقية، نفى إبصارهم وإن كانوا أحدّ الناس إبصاراً فقال: (لا يبصرون بها) أي الآيات المرئية إبصار تفكر واعتبار (ولهم آذان) ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم، نفاه على نحو ما مضى فقال: (لا يسمعون بها) أي الآيات المسموعة وما يدل عليها سماع ادكار وافتكار، ولما سلبت عنهم هذه المعاني كانت النتيجة: (أولئك) أي البعداء من المعاني الإنسانية (كالأنعام) أي في عدم الفقه، ولما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع والبصر قال: (بل هم أضل) لأنهم إما معاند وإما جاهل بما يضره وينفعه"[٢].

وقد يكون من خلال السياق التركيبيّ الذي يعرف بأنه: "هو السياق الذي يدرس البنية النحويّة التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحويّة في كلٍّ متّسق، إنّ الكلمات في الجمل تتوالى على نسق مرتّب، وتخضع في ترتيبها إلى أنساق تركيبيّة مطّردة، وعلاقات شكليّة داخليّة تشكّل في مجموعها قواعد التركيب النحويّ، وتحكم بالسياق"[٣]. فالسياق النحويّ يبحث في معنى الجملة، "ومعنى الجملة ليس مجموع معاني الكلمات المفردة التي ترد فيها، إذ إنّ التغيير في البنية النحويّة، وعلاقات الكلمات، ووظائفها، وموقعها في الترتيب من شأنه أنْ يبدّل في المعنى"[٤]. ويظهر أثر السياق التركيبيّ / النحويّ منسجماً مع مباحث علم المعاني البلاغيّ، فهو يبحث في مناسبة الكلام لمقتضى الحال، ومن أمثلة السياق التركيبيّ؛ استعمال الجملة الاسميّة إذ تُستعمل الجملة الاسميّة للدلالة على ثبوت الخبر للمبتدأ، وقد استنبط النحويون، والبلاغيون هذه القاعدة من الاستعمال القرآني لهذه الجملة، التي تأتي بصورةٍ مطّردة في النصّ الكريم؛ إذ إنّ التذييل وظيفته بيانية توكيدية تتجلى في فتح أفق المعنى المتأتي من

١) نظم الدرر: ٨ / ١٧٣.
٢) نفسه: ٨ / ١٧٣- ١٧٤.
٣) الدلالة السياقيّة: ٦٠ – ٦١.
٤) التطور الدلاليّ بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٧٥، وينظر: الدلالة السياقيّة: ٦٠ – ٦١.

مفهوم التعليل إذ يمثل صورة من صور التذييل حيث فيه عودة العام على الخاص، فبنية الجملة التذييلية لا تخرج عن الوظائف البيانية للتوكيد التي تعتمد أساسا على الترابط التركيبي أو الدلالي، وتُعدّ أكثر أنواع الإطناب تفاعلاً مع ما قبلها محققة التواصل لما بعدها.

ويؤدي التذييل وظيفة مزدوجة ، فيشترك مع أساليب عدة لتقديم المعنى، وتتعاضد وظيفته التوكيدية مع التعليل لتأطير المعنى والكشف عن أدق خصائصه على وفق مقتضى السياق، أي يأتي التذييل معللاً وموضحاً لما قبله كاشفاً عن المعنى بشتى السبل كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٣- ٤]. فقد استعمل الجملة الاسمية ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ للدلالة على ثبوت العهد لهم و"تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على أن مراعاة العهد من باب التقوى"[1].

ويُلمح الدور السياقي للانسجام في هذه الآية من خلال البنية التذييلية المؤكدة بالجملة الاسمية المصدرة بـ (ان): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ والمعللة المبيِّنة للسياق المتقدم، والآية في مسارها الدلالي تُعدّ عدولاً عن المعنى المتقدم، فالسورة بدأت بإعلان البراءة من المشركين وهم المتحدث عنهم ويبدو من الوهلة الأولى أن المعنى قد تكامل واتضحت متعلقاته في قوله تعالى: ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ بعد أن فصل القول عنهم وأحاط بكل الجزئيات حتى إذا ما استشعر المتلقي بتمام المعنى أُعيد عليه المعنى مذكراً إياه بأسلوب موجز يحمل دلالات عديدة والمتجسدة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ إذ إنّ هذه الجملة التذييلية يمكن الوقوف أمامها إذ أنها تثير تساؤلات عدة أهمها: من هم الذين يحبهم الله تعالى؟ لماذا يحبهم الله تعالى؟ من هم المتقون؟ فالجملة تحمل في طياتها معانٍ خاصة وعامة، وقد ميزهم القرآن في مواطن غير هذا المقام بسيماهم وأفعالهم، وقد تكررت الجملة التذييلية في سياقات متعددة أخرى خارج نطاق هذه الآية فقال تعالى في المقام ذاته: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، فقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ تركيب ثانٍ تمثل بجملة صغرى واقعة ضمن جملة استئنافية كبرى تدور حول البؤرة الدلالية ذاتها في معاهدة المشركين، و"أسلوب هذه الآيات وإيقاع التعبير فيها، يأخذ شكل الإعلان العام، ورنينه العالي، فيتناسق أسلوب التعبير وإيقاعه مع موضوعه والجو الذي يحيط بهذا الموضوع على طريقة القرآن في التعبي"[2]، لكن مما يُلحظ على هذا، السياق الأول فيه تكرار دلالي أدى إلى تأكيد الفهم بالعودة على متقدم ضمناً مقابلاً لإعلان البراءة والتوبة فارتبط بما ذكر قبله واسهم في توجيه المعنى التذييلي الذي انماز ببنائه على تعدد دلالي واسع تُشرق منه معطيات

---

١) روح المعاني: ٥ / ٢٤٤.

٢) في ظلال القرآن: ٣ / ١٥٩٦.

كثيرة متزامنة مع السياق وهو توجيه بدا غير واضح في التركيب الثاني، فالمقام فيه إبانة صريحة والخطاب جلي، أي أن: (الله يحب الذين استقاموا) والجملة التوكيدية قد أقرت دلالة الاستقامة فـ" القيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء أي يثبت كالعماد، وللسناد ما يعمد ويسند به، وهو المراعاة للشيء والحفظ له، والاستقامة تقال فـي الطريق الذي يكون على خط مستو.. واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم"[١].

ففي الآية بيان من استثناهم الله سبحانه وتعالى من البراءة، فالله تعالى بريء من (المشركين – الذين كفروا والذين استحقوا العذاب الأليم)، والاستثناء عام يشمل كل مـن نجا مـن تبرئة الله تعالى لـه سواء اقر بالذنب أم صدق النية وعزم على الفعل "لأن شأن الاستثناء إذا ورد عقب جمل أن يرجع إلى ما تحتويه جميعها مما يصلح ذلك الاستثناء، فهو استثناء لهؤلاء: من حكم نقض العهد، ومن حكم الإنذار بالقتال المترتب على النقض، فهذا الفريق من المشركين باقون على حرمة عهدهم وعلى السلم معهم"[٢]. إلا أن شمول الاستثناء لا يعني اطلاقه، فقد قيد بدلالة العهد المشروط، والعهد "حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً"[٣]، فهو يمثل مرحلة اتفاق والتقاء بين طرفين، وقد أبان السياق أحدهما واصفاً حالتهم بأنهم (من المشركين) لكن حالهم قابل للتبدل والانتقال من رحلة إلى اخرى، إذ تتباين مرتبتهم بتبدل فعلهم، وصرح بذلك من خلال إمكانية تحقق هذا الانتقال بحرف التراخي (ثم) الذي يدل على البعد المعنوي والارتقاء بين الفاضل والمفضول[٤]، بالإضافة إلى مجيئه لتوسيع الدلالة بالكشف عن دقائق الأشياء، وذكر تفاصيلها وأبعادها الحقيقية من خلال ما بعدها موضحاً بشروط العهد وتمامه، فقال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ لبيان ما شمله العهد من الميثاق المتين الأجل دون النقص الذي خصه بالذكر موازياً للإظهار فقال: ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ (لم) تفيد النفي القطعي و"قلب المضارع ماضيا"[٥]، متعاضدة مع دلالة (النقص) فلم يقل (النقض) إذ أن النقص هو "الخسران في الحظ... أما النقض: فهو انتثار العقد من البناء والحبل والعقد وهو ضد الإبرام"[٦]، فالاختلاف بينهما واضح، مع أنهما اتفقا في موقف واحد للتعبير عن الحلف والموالاة، والتوافق بين (شيئاً، أحدا) يكمن في أن كليهما يحمل في مضامينه دلالة العموم والإطلاق وعدم محدودية الشيء، وفي هذا توقع لأي حدث، فالعهد المذكور لم يحمل دلالة الثبات والديمومة، المنبثقين من تنكيرهما، إذ إن النقص فيه دلالة نفسية متوغلة في الأعماق والإحساس لما اشربوا فيه من الكفر والإلحاد، في حين أن (النقض) ارتبط بالعقل والمنطق أولاً و"نقص الشيء إزالة بعضه، والمراد أنهم لم يفرطوا في

---

١) المفردات في غريب القرآن : ٤١٧، ٤١٨.
٢) التحرير والتنوير: ١٠/١١١-١١٢.
٣) المفردات في غريب القرآن: ٣٥٠.
٤) أساليب العطف في القرآن الكريم: ١٧٥.
٥) شرح الرضي على الكافية: ٤/٨١.
٦) المفردات في غريب القرآن : ٥٠٣-٥٠٤.

شيء مما عاهدوا عليه"[1]، وقوله: ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ فالمظاهرة: المعاونة على الباطل من قبل الجماعة أو الفرد، وقد ارتبطت بقطيعة الشيء ولزومه وعدم الفكاك منه، ومما أكد هذا المعنى دخول (لم الجازمة) عليها، فجاء لزوم العهد وإتمامه إلى مدته دون ذكر الأجل مترافقا مع دلالة التراخي في (ثم)، فجاءت الجملة التذييلية لتعبر عن الدلالات المتعددة وتوحيدها في مسار المعنى لتوجيهها نحو الفهم وتوثيق الروابط الدلالية والتركيبية، إذ إن: ﴿إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين عاهدوا الله سبحانه وتعالى ولم ينقضوا عهده ولم يظاهروا على المسلمين فكان لزاماً على المسلمين إتمام العهد، وفي هذا الاستثناء تكريم لهم فاستحقوا إيفاء المسلمين لهم وشمولهم بمحبة الله تعالى، التي تعد نتيجة طبيعية لإتمام العهد بين الطرفين، وبذا فقد تحقق التوكيد من خلال الجملة التذييلية التعليلية، إذ أسهمت في إثراء الدلالة السياقية للنص وتوكيده، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّه يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾" تذييل في معنى التعليل للأمر بإتمام العهد إلى الأجل لان ذلك من التقوى، أي من امتثال الأمر الذي أمر الله جل جلاله به، لأن الإخبار بمحبة الله تعالى للمتقين عقب الأمر كناية عن كون المأمور به من التقوى"[2].

ثانياً: سياق المقطع(*):

من المعروف أن السورة القرآنية تتضمن نصوصاً ومقاطع من الآيات متحدة المعاني، مترابطة المباني، لها أغراض محددة، وهذه الأغراض متناسبة ومتناسقة، ومن الأمثلة على علاقة جملة التذييل بالسياق الداخلي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨-٢٩]، ذهب بعض العلماء ممن عنو بأسرار ترتيب النص القرآني ومناسباته بخصوص علاقة جملة التذييل في هذه الآية الشريفة وعلاقتها بسياق الآية النصي إلى أن سياقها يتحدث عن الخلق وتسوية السماوات، فَإِنَّ الْمُتَبَادِرَ إِلَى الذِّهْنِ أن تختم بالقدرة إلا أنها ختمت بالعلم "لَمَّا تَضَمَّنَتِ الْإِخْبَارَ عَنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَمَا فِيهَا عَلَى حَسَبِ حَاجَاتِ أَهْلِهَا وَمَنَافِعِهِمْ ومصالحهم وخلق السموات خَلْقًا مُسْتَوِيًّا مُحْكَمًا مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ وَالْخَالِقُ عَلَى الْوَصْفِ الْمَذْكُورِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَا فَعَلَهُ كُلِّيًّا وَجُزْئِيًّا مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا نَاسَبَ خَتْمَهَا بِصِفَةِ الْعِلْمِ"[3]، وفي هذا التنّبه إلى علاقة جملة التذييل بالغرض الذي سيقت له الآية وموضوعها، ربط دقيق بعلاقة عناصر السياق المختلفة بصياغة النصّ.

---

١) المفردات في غريب القرآن: ٥٠٤.

٢) التحرير والتنوير: ١٠/١١٣.

*) سياق المقطع: هو ما يدور حول موضوع واحد، والمعاني المحتملة فيه لابد أن تدور حول هذا الموضوع [ينظر: السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي: ١٠٩].

٣) الاتقان في علوم القرآن : ٣ / ٣٥٣.

يضاف إلى ذلك أن هذا المقطع كله يخدم المحور، وكما "انسجم المقطع مع السياق القرآني العام، فإنّ المقطع منسجم في تسلسله الخاص، إذ تحدّث عن مجموعة مظاهر من مظاهر قهر الله، وعلمه، وحكمته، وهي المعاني التي بدأ بها المقطع، والتي يدور المقطع في سياقه الخاص حولها، والكفر بدايته واحدة ولكن منحنياته ومنعرجاته كثيرة جدا، وقد ناقش المقطع كثيرا من هذه المنحنيات والمنعرجات، والإيمان بالله بدايته واحدة، ولكنه يبتنى عليه مواقف وسلوكيات، وقد حدّد المقطع كثيرا من مواقف وسلوكيات الإيمان بالله، والإيمان بالله يقتضي فهما لحوادث الكون على شكل معيّن، وقد حدّد المقطع كثيرا من الفهوم لأسرار هذا الكون على حقيقتها"[1]، وكنّا ذكرنا من قبل أنّ المقطع سائر على النسق المستمر للسياق الخاص للسورة في معالجة الشرك والامتراء، وتقرير خلق الله للأشياء، واستحقاق الله الحمد مما تعرضت له مقدمة السورة، ومما ذكر في بيان هذا النص القرآني وأثر الربط بين أجزاء النص والسياق وانتظام النص أنه "بَعْد بَيَانِ بَعْضِ آيَاتِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ بِذِكْرِ الْمَبْدَأِ وَالْمُنْتَهَى ذَكَّرَهُمْ بِآيَاتِهِ فِي الْآفَاقِ فَقَالَ:(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) فَالْكَلَامُ عَلى اتِّصَالِهِ وَتَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِ جَوَاهِرِهِ فِي سِلْكِ أُسْلُوبِهِ"[2]، وقد أشار المفسر لملمح إعجازي بقوله: "هَذَا الِاتِّصَالِ الْمَتِينِ، وَلَعَمْرِي إِنَّ وُجُوهَ الِاتِّصَالِ بَيْنَ الْآيَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ دَقَائِقِ الْمُنَاسَبَاتِ لَهِيَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْبَلَاغَةِ، وَفَنٌّ مِنْ فُنُونِ الْإِعْجَازِ، إِذَا أَمْكَنَ لِلْبَشَرِ الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُهُمُ الْبُلُوغُ إِلَيْهِ (...)، ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، أَيْ: فَهُوَ الْمُحِيطُ بِكَيْفِيَّةِ التَّكْوِينِ وَحِكْمَتِهِ وَبِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ بَيَانُهُ، وَإِذَا كَانَ الْعَاقِلُ يُدْرِكُ أَنَّ هَذَا النِّظَامَ الْمُحْكَمَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عَلِيمٍ حَكِيمٍ، فَكَيْفَ يَصِحُّ لَهُ أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ لِهِدَايَةِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؟ فَهَذَا الْآخِرُ يَتَّصِلُ بِأَوَّلِ الْآيَةِ فِي تَقْرِيرِ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِبْطَالِ شُبَهِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ الْبَشَرُ رَسُولًا، وَالَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْعَرَبِ رَسُولٌ؛ لِأَنَّ قُصَارَى ذَلِكَ كُلِّهِ اعْتِرَاضُ الْجَاهِلِينَ عَلَى مَنْ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"[3].

ومن أسرار ما ختم به النص نظم جملة (وهو بكل شيء عليم)، إذ إنّ الاتساق والانتظام يدلان على وجود العلم الكامل كما أن العلم يفيد الانتظام"[4]، فهذه الأمثلة من القرآن الكريم توضح لنا أهمية السياق اللغوي أو الداخلي، في الكشف عن المعنى المراد من الآية بعدِّ السياق قرينة توجه معنى النص.

---

١) الاساس في التفسير : ٣ / ١٦٨٣- ١٦٨٤.

٢) تفسير المنار: ١/ ١٠٦-٢٠٩.

٣) نفسه : ١ /٢٠٦-٢٠٩.

٤) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي: ١ / ٢٢٨- ٢٣٠.

الفصل الثالث

الموقفية والقصدية والاعلامية وجملة التذييل

في السبع الطوال

المبحث الأول: الموقفية

المبحث الثاني: القصدية

المبحث الثالث: الإعلامية

المبحث الأول

الموقفية

الموقفية:

من المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية للنص، وتعرّف بأنّها "كل عناصر موقف النص التفاهمية التي تحدد أيضا مغزى النص ومعناه"[١]. كما تعرّف بـ"العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي أو بموقف قابل للاسترجاع"[٢]، إذ يرى دي بوجراند أن الموقفية تتضمن العناصر التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه[٣]، أوهي كون "النص موجها للتلاؤم مع موقف معيّن بغرض كشفه أو تغييره"[٤].

وقد وضح البحث فيما مضى أن السياق الداخلي اللغوي هو الدليل أو القرينة التي تتمثل في عنصر من عناصر النص، أما السياق الخارجي (رعاية الموقف) فقد عرفه علماء النص بأنه "ما يشير إلى الموقف الاتصالي بعناصره: المتكلم / الكاتب، والمستمع / القارئ، والعلاقة بينهما، وزمان ومكان النص، والظروف الاجتماعية والسياسية المرتبطة به"[٥].

وقد عني المفسرون والبلاغيون والعلماء في علوم القرآن بالسياق الخارجي للنص القرآني عناية فائقة؛ لأنه يعينهم على فهم المراد من الآية الكريمة، قال الشاطبي: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان"[٦]، أمّا مراعاة الموقف أو المحيط الذي قيل فيه النص فهو الذي يبيّن لنا مراد مُنتجي النصوص ومقاصدهم المتوارية خلف ظاهر النص، لذا فالباحثون في علم النص يرفضون ما ينادي به الشكلانيون من بتر العلاقة بين النص والعوامل الخارجية، التي تسهم في فهم معنى النص بشكل أدق،

وذكر بعضهم أن السياق الخارجي هو "الظروف والخلفيات المحيطة بالنص سواء ما يتصل بالمخاطِب أو المخاطَب وكذلك البيئة الزمانية والمكانية النابع منها النص"[٧]، أما المقام: فهو "الأحوال الداعية إلى إيراد الكلام على وجه الخصوص وكيفية معينة حيث إنه المنزلة التي حلّ فيها ذلك الوجه من الكلام"[٨]، وهو أيضاً حصيلة الظروف الواردة في الوقت الذي تم فيه المقال، وما يعتري الموقف من ملابسات لها تأثير في الحدث اللغوي[٩]، وذكر آخرون أنه "العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة

---

١) أسس لسانيات النص: ١٥٢.
٢) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ١٢.
٣) ينظر: النص والخطاب والاجراء: ٤٥٦، ومدخل إلى علم لغة النص: ١٥٢.
٤) النص الغائب: ٤٨.
٥) نظرية علم النص: د. حسام احمد فرج: ٢٥.
٦) الموافقات: ٣ / ٣٥١.
٧) السياق وأثره في المعنى: ١٥.
٨) الكليات: أبو البقاء الكفوي: ٣٧٤.
٩) ينظر: الكلمة، دراسة لغوية معجمية: حلمي خليل: ١٥٨.

بالحدث اللغوي أو النص ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضا"[١]، فهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي.

ولما كان سياق الموقف: هو "توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال"[٢]، فإن أهمية هذا المعيار تتجلى في قراءة النص من عدة جوانب وفهمه؛ إذ لا يمكن في بعض الأحيان تجاهل الموقف الذي نشأ فيه النص، والموقف الاتصالي الذي قيل فيه، أي: أن النص لا يكون نصاً إلا إذا روعي الموقف الذي أنتج في ضوئه، بمعنى أنّ النص يتأثر في تشكيله بهذا الموقف هذا من جانب، ومن جانب آخر يحاول النص الإبانة عن هذا الموقف أو محاولة تغييره، ويعدّ هذا من دواعي رُقي النص.

أمّا مراعاة الموقف أو المحيط الذي قيل فيه النص فهو الذي يبيّن لنا مكنونات مُنتجي النصوص ومقاصدهم المتوارية خلف ظاهر النص، أي: إن النص لا يكون نصاً إلا إذا أُخذ بالحسبان الموقف الذي أنتج في ضوئه، فالنص يأبى أن ينسلخ عن سياقه العام، إذا ما أريد له أن يُفهم بكل أبعاده، وأن يظهر بكل تمثلاته والتصورات التي من شأنها أن تبيّن عن مقاصده التي وضع بسبب منها؛ إذ إنّ النص نفسه وبنيته اللغوية يمثل المعنى الحرفي، أو التمظهر الأول للنص الذي يُفهم من الكلام لأوّل وهلة؛ وهو المعنى البسيط، وربما هذا المعنى هو الذي يسبب الإشكالات التي تظهر عند بعض النصوص[٣]. ولكي نحلل معيار الموقفية في جمل التذييل في القرآن الكريم، سنقف على بعض المظاهر التي يبرز دور الموقف فيها، ومن أهمها:

أسباب النزول:

هو "العلم الذي يختص بمعرفة ما لبعض آي القرآن من سبب نزلت بشأنه، أو سؤال وقعت الآية جوابا عنه في زمن نزول الوحي"[٤]، وإن "معرفة أسباب النزول، وما أحاط بالآيات من ظروف وملابسات تعين على فهمها؛ ولذا قالوا: معرفة سبب نزول الآية يعين على فهمها، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، ثم ما يعطاه أحدهم من فهم وسعة إدراك يمكنه من الوصول إلى مراد الآيات"[٥]، وقال السيوطي في الإتقان: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[٦]، "لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التأريخ، ومن فوائده الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال"[٧]، فإن معرفة الظروف والأحوال المحيطة بهذا النص الشريف تكاد تكون

١) الكلمة، دراسة لغوية معجمية: حلمي خليل: ١٦١.
٢) مقالات في اللغة والأدب : ٢/ ٦٥.
٣) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٣٨.
٤) التفسير وعلوم القرآن: عبد الجود خلف: ١٦٠.
٥) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): محمد أبو منصور الماتريدي: ١ /٢١٢.
٦) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٩٥، ٩٦.
٧) لباب النقول في أسباب النزول: ١٣.

مكملاً لشروط التحليل، أي أن لكل نص قرآني مناسبة نزول مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتلازم النص وتماسكه، وكذلك هناك علاقات خارجية أيضاً ما بين دلالات النص وأخرى داخلية، "وذلك لأن النص القرآني يقدم نفسه بوصفه نصوصاً متداخلة في إطار واحد فضلاً عن كونه يقدم نفسه نصاً واحداً في إطار السور المتعددة"[١].

وأن سياق الموقف، وأن أحد مصاديقه، أسباب النزول له أهمية بالغة، إذ إنّ معرفته أمر مهم للمفسر، وتتوقف على معرفته فهم الآيات وما ينبني عليها من أحكام؛ وأنه لا يمكن التعرّف على معنى الألفاظ المعجميّة، وهي مفردة، من دون أنْ تدخّل عناصر خارجيّة، تُسهم في الكشف عن معناها في الكلام، وتحديده. وتشمل تلك العناصر كلّ الظروف التي تُصاحب إنتاج النصّ، وتُحيط به[٢]. وإذا كان البلاغيون قد عرفوا هذا السياق بمصطلحات، مثل: مقتضى الحال، الذي يُفسّره عبارات مثل: لكلّ مقام مقال، ولكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، وهاتان العبارتان عُدّتا الركيزة الأساس في دراسة اللغة في الفكر المعاصر[٣]، وأن بعض الألفاظ تأتي لتدل على صفات معينة، وإن لكل سياق آية وردت فيها إحدى هذه الصفات التي يؤدي فهمها حسب ظواهرها إلى تجسيم المعاني، فلا بدّ من معرفة سياق الحال للآية وعندئذٍ تفهم بتأويل مناسب لها يتنزه الله فيه عن هذه الصفة بقرينة عقلية تساندها إحدى القرائن الأخر من سياقية أو حالية، فمن ذلك:

لفظ (الوجه) المضاف إلى الله عز وجل في كثير من الآيات القرآنية منها، قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، ذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية أن: "فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ أى جهته التي أمر بها ورضيها. والمعنى أنكم إذا منعتم أن تُصلّوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس، فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في أى بقعة شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إسكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان إِنَّ اللهَ واسِعٌ الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عَلِيمٌ بمصالحهم"[٤]، فقد ابتعد المفسرون عن فهم هذا التعبير (وجه الله) حسب ظاهره، إلى تأويلات عدة:

منها: أن (فثم وجه الله) معناه فأينما تولوا وجوهكم، فهناك وجه الله، أي القبلة[٥]، وعلى رأي؛ أن معناه إليه المقصد بالعبادة، وأيضا؛ أن معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم، وجاء في تفسير قوله (إن كل شيء هالك إلا وجهه) أي إلا هو، (ويبقى وجه ربك) أي: يبقى ربك، وجاء أيضاً؛ إن معناه فثم رضوان الله، يعني: الوجه الذي يؤدي إلى رضوانه[٦].

---

١) دلالة السياق في القصص القرآني: ٢٠١.

٢) ينظر: أدعية الصحيفة السجاديّة، دراسة في ضوء علم اللغة النصّيّ: ٢٦٢.

٣) ينظر: اللغة معناها ومبناها: ٢٠ – ٢١.

٤) الكشاف: ١/ ١٨٠.

٥) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٣٦٠-٣٦١، والتفسير الكبير: ٤/ ١٨-١٩.

٦) مجمع البيان: ١/ ١٩١.

والرأي الراجح هو الأول بتضافر القرينة الحالية مع القرينة العقلية في كون المقصود بالجهة، (القبلة) بقرينة سبب نزول الآية، التي اختلف فيها أيضاً، فقيل: إنها نزلت في اليهود الذين أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس، فكانت الآية رداً عليهم. وقيل: إنها نزلت في صلاة التطوع على الراحلة تصليها حيثما توجهت إذا كنت في سفر. وأما الفرائض فقوله، (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) يعني أن الفرائض لا تصليها إلا إلى القبلة[١].

يُلحظ أن الآية وردت للإخبار بصحة صلاة المسلمين، فضلاً على أن القرينة الحالية متمثلة بسبب النزول والحال التي عليها المسلمون في جهة الصلاة قبل نزولها هي التي حددت معناها ويضاف إلى ذلك القرينة العقلية[٢].

ومما يُلحظ الدور السياقي لجملة التذييل في بيان المعنى، الذي تنبه له ابن عاشور في تفسير هذه الآية، مما يدعّم القرينة الحالية المتمثلة بسبب النزول إذ إنّ "وَوَجْهُ اللهِ بِمَعْنَى الذَّاتِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ لُغَوِيَّةٌ تَقُولُ: لِوَجْهِ زَيْدٍ أَيْ ذَاتِهِ كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [الْبَقَرَة: ١١٢] وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ عَمَلِهِ فَحَيْثُ أَمَرَهُمْ بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَرِضَاهُ مَنُوطٌ بِالِامْتِثَالِ لِذَلِكَ، وَهُوَ أَيْضًا كِنَايَةٌ رَمْزِيَّةٌ عَنْ رِضَاهُ بِهِجْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي سَبِيلِ الدِّينِ لِبِلَادِ الْحَبَشَةِ ثُمَّ لِلْمَدِينَةِ وَيُؤَيِّدُ كَوْنَ الْوَجْهِ بِهَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ فِي التَّذْيِيلِ: إِنَّ اللهَ واسِعٌ عَلِيمٌ فَقَوْلُهُ: واسِعٌ تَذْيِيلٌ لِمَدْلُولِ وَللهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ وَالْمُرَادُ سَعَةُ مُلْكِهِ أَوْ سَعَةُ تَيْسِيرِهِ وَالْمَقْصُودُ عَظَمَةُ اللهِ، أَنه لَا جِهَةَ لَهُ وَإِنَّمَا الْجِهَاتُ الَّتِي يُقْصَدُ مِنْهَا رِضَى اللهِ تَفْضُلُ غَيْرَهَا وَهُوَ عَلِيمٌ بِمَنْ يَتَوَجَّهُ لِقَصْدِ مَرْضَاتِهِ، وَقَدْ فُسِّرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِأَنَّهَا الْمُرَادُ بِهَا الْقِبْلَةُ فِي الصَّلَاةِ"[٣]. فيُلحظ الدور الذي حققته جملة التذييل في تدعيم السياق لبيان معنى النص.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]، إذ لا يمكن أن نفهم منه التقاعد والتقاعس عن واجب الجهاد، وعدم اقتحام ميادين القتال، فهذا فهم غير مراد من الآية بل ينبغي أن نفهم هذا الخطاب القرآني على ضوء سبب النزول الذي نزلت الآية بسببه؛ وإنما المعنى كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس ذلك في القتال، إنما هو في النفقة أن تمسك بيد عن النفقة في سبيل الله"[٤].

يوضح هذا المعنى ما رواه "الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن اسلم أبي عمران قال: حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا أبو أيوب الانصاري فقال ناس ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: نحن اعلم بهذه الآية إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه، فلما فشا الاسلام وظهر اجتمعنا معشر الانصار نجيا، فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه ﷺ ونصره، حتى فشا الاسلام وكثر أهله وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال

١) مجمع البيان: ١/١٩١.
٢) ينظر: نفسه : ٩/٢٠٢.
٣) التحرير والتنوير: ١ / ٦٣٨.
٤) تفسير ابن كثير: ١ / ٥٢٩.

والأولاد وقد وضعت الحرب أوزارها فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم، فنزلت فينا: (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، فكانت في الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد"[1].

فإن هذه الجملة الكريمة لا يمكن فهمها مجردة من سياقها، وفي ذلك يقول سعيد حوى: "وأما النهي عن إهلاك النفس فإذا نظرنا إلى النص مجردا كان له معنى وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا معنى آخر وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدا وكل هذه المعاني مرادة وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية فإذا نظرنا إلى النص مجردا فهمنا منه أنه نهي عن قتل أنفسنا، أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها، وهل يدخل في ذلك ما لو أمر إنسان بمعروف أو نهي عن منكر فقتل؟ الجواب لا؛ بل هو مأجور، ويدخل في ذلك ما إذا هاجم الكفارَ وألقى بنفسه عليهم فقتل؟ قالت الحنفية: إذا كان بفعله هذا ينكي فيهم ويلقي الرعب في قلوبهم"[2].

وإذا نظرنا إلى هذا الأمر وروده بعد الأمر بالإنفاق فهمنا منه أنه نهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله، لأنه سبب للإهلاك.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨]، اختلف في سبب نزول الآية؛ "فروي عن ابن عباس أنه قال إن رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله ﷺ ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله هذه الآية وقال الحسن عنى بذلك مشركي العرب وقد سألوا فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلا وقالوا لو لا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وقال السدي: سألت العرب محمدا أن أتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد: سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، قال: نعم، ولكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى عليه السلام فرجعوا، وقال أبو علي الجبائي: روي أن رسول الله ﷺ سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الثمر وغيره من المأكولات كما سألوا موسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة"[3]، وجاء في سبب نزولها أيضا "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ رَافِعَ بْنَ خُزَيْمَةَ وَوَهْبَ بْنَ زَيْدٍ قَالَا لِلنَّبِيِّ ﷺ: ائْتِنَا بِكِتَابٍ مِنَ السَّمَاءِ نَقْرَؤُهُ، وَفَجِّرْ لَنَا أَنْهَارًا نَتَّبِعْكَ"[4]، "سياق الآية يدل على أن بعض المسلمين - ممن آمن بالنبي – سأل النبي أمورا على حد سؤال اليهود نبيهم موسى عليه السلام والله سبحانه وبخهم على ذلك في ضمن ما يوبخ اليهود بما فعلوا مع موسى والنبيين من بعده، والنقل يدل على ذلك. قوله تعالى: سواء السبيل أي مستوى الطريق"[5]، وأن علاقة جملة التذييل

---

١) تفسير ابن كثير: ١/ ٥٢٩.

٢) الاساس في التفسير: ١/ ٤٧٤.

٣) مجمع البيان : ١ / ٣١٤.

٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢/ ٧٠. والتبيان في تفسير القرآن : ١ / ٤٠٠.

٥) الميزان في تفسير القرآن : ١/ ١٤٨.

بمضمون النص وسبب نزول هذه الآية يوضحه ما ذكره أحد المفسرين بقوله: "هذا الآية الكريمة، وإن كانت تخاطب مجموعة من المسلمين ضعاف الإيمان أو المشركين إلاّ أنّها ترتبط أيضاً بمواقف اليهود.

لعل هذا السؤال وجه إلى الرّسول بعد تغيير القبلة، وبعد حملات التشكيك التي شنها اليهود بين المسلمين وغير المسلمين، والله سبحانه في هذه الآية الكريمة نهى عن توجيه مثل هذه الأسئلة السخيفة (أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسى مِنْ قَبْلُ)؟! مثل هذا العمل إعراض عن الإيمان واتجاه نحو الكفر، ولذلك قالت الآية: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾"[1]، وهذا المقطع من النص الشريف (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) يُرجح سبب نزول الآية وأنها نزلت في اليهود أو في المشركين. إذ جاء في التفسير؛ "وَعَلَى الْخِلَافِ فِي الْمُخَاطَبِينَ، يَجِيءُ الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ: رَسُولَكُمْ. فَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَصَمِّ وَالْجِبَائِيِّ وَأَبِي مُسْلِمٍ، فَيَكُونُ رَسُولَكُمْ جَاءَ عَلَى مَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَعَلَى مَا أَقَرُّوا بِهِ مِنْ رِسَالَتِهِ. وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ لِلْكُفَّارِ، كَانَتْ إِضَافَةُ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ عَلَى حَسَبِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، لَا عَلَى إِقْرَارِهِمْ بِهِ. وَرُجِّحَ كَوْنُ الْخِطَابِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ: وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمانِ، وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يَصِحُّ إِلَّا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ، وَبِأَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: لَا تَقُولُوا راعِنا، أَيْ هَلْ تَفْعَلُونَ مَا أُمِرْتُمْ، أَمْ تُرِيدُونَ؟ وَرُجِّحَ أَنَّهُمُ الْيَهُودُ، لِأَنَّهُ سَبَقَ الْكَلَامُ فِي الْحِكَايَاتِ عَنْهُمْ مَا قَالُوا، وَلِأَنَّ الْمُؤْمِنَ بِالرَّسُولِ لَا يَكَادُ يَسْأَلُهُ مَا يَكُونُ كُفْرًا"[2].

وقد استدل أحد المفسرين من خلال السياق بأن المخاطبين بهذا النص هم اليهود بقوله: "المراد بهم اليهود، وهذا القول أصح، لأن هذه السورة من أول قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذكروا نِعْمَتِي﴾ [البقرة: ٤٧] حكاية ومحاجّة معهم؛ ولأن الآية مدنية، ولأنه جرى ذكر اليهود وما جرى ذكر غيرهم"[3]. ويؤيد هذا ما ذهب إليه بعض المفسرين "فالمخاطبون بقوله أم تريدون هم اليهود واضافة الرسول إليهم في قوله رسولكم باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالإيمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه قال الامام وهذا أصح لان الآية مدنية ولان هذه السورة من أول قوله يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ حكاية عنهم ومحاجة معهم وفي الآية إشارة إلى حفظ الآداب فمن لم يتأدب بين يدي مولاه ورسوله وخلفائه فقد تعرض للكفر"[4]، وجاء في تفسير قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، أنه "تَذْيِيلٌ لِلتَّحْذِيرِ الْمَاضِي لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمُحَذَّرَ مِنْهُ كُفْرٌ أَوْ يُفْضِي إِلَى الْكُفْرِ لِأَنَّهُ يُنَافِي حُرْمَةَ الرَّسُولِ وَالثِّقَةَ بِهِ وَبِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكُفْرِ أَحْوَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ أَيْ لَا تَتَبَدَّلُوا بِآدَابِكُمْ تَقَلُّدَ عَوَائِدِ أَهْلِ الْكُفْرِ فِي سُؤَالِهِمْ كَمَا"[5]، ويُلحظ الدور الذي قام به التذييل في تدعيم

---

١) تفسير الأمثل: مكارم الشيرازي: ١ / ٣٣٤.

٢) البحر المحيط: ١ / ٥٥٥.

٣) اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل: ٢/ ٣٨٩.

٤) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ): ١/ ٢٠٣.

٥) التحرير والتنوير: ١/ ٦٦٧.

دور السياق المقامي (سبب النزول) في بيان المعنى القرآني وترجيح الرأي القائل بأن الآية الشريفة نزلت في اليهود.

وهكذا فإن السياق الخارجي للنص القرآني على نحو ما وضحنا يشكل أهمية فائقة في فهم المراد من الآية أو المقطع من السورة، وإذا تضافر السياق الداخلي والسياق الخارجي على فهم المراد من الآية أو السورة كان الفهم أتم وأكمل، وبهذه الطريقة يبعد عن النص القرآني تعدد الوجوه التي لا تلائمه في التأويل، والتي لا تنسجم مع النص ومقاصده[1].

ومما يُلحظ أن القرآن الكريم قد وظف السياق بنوعيه في تحليل الآيات والكشف عن معانيها ثم أن اعتبار المفسرين السياق منهجا عاما في تفسيرهم للقرآن الكريم جعلهم يوظفونه في فهم دلالات ألفاظه وتركيبه، وقد تجلى اعتماد المنهج السياقي أكثر ما تجلى في تفسير القرآن بالقرآن ولما كانت دلالة السياق من أهم القرائن التي تدل على مراد المتكلم واثبات المعنى المراد دون غيره فإن المفسرين اهتموا بمنهج السياق وعدّوا كل قول لا يؤيده السياق لا عبرة به، ولا يعول عليه.

١) ينظر: تفسير القرآن بالقرآن: نشأته وتطوره حتى عصر الجلالين: د. كاصد الزيدي: ٢٨٥- ٢٨٦ .

المبحث الثاني

القصديّة

القصدية:

يُنظر لمعياري (القصدية والاعلامية) - مع المعايير السابقة - بأنهما تعملان مجتمعتين في تكوين صورة عامّة يتم من خلالها تقييم النص، ويكون دورهما تكامليّاً، فالقصد الذي يطلبه منشئ النص، ينتقل إلى المتلقي، فإمّا أن يقبله، أو يرفضه؛ لِيحقّقَ قبول المتلقي، ويكسر أُفق التوقّع بالصياغة التركيبيّة، أو بجدّة الفكرة والمحتوى المعنويّ الذي يعرضه عبر النصّ، "فكلّما كان النص منسجماً متّسقاً كان أكثر مقبوليّة، وكلّما كانتْ هناك مقبوليّة كانتْ هناك قصديّة، فالمنتج يحرص على أنْ يكون نصّه مقبولاً لدى المتلقي، والقبول لا يتحقّق إلاّ بالاتّساق، والانسجام"[١].

وقد تنبه اللغويون العرب القدامى إلى هذا المعيار بربطه بالمعنى، فهذا أحمد بن فارس يقول: "فأما المعنى - فهو القصد"[٢]، أمّا عبد القاهر الجرجاني، فيرى أن توفر القصد في النص يُعّد من الأمور البديهية وهذا ما يُلحظ في قوله: "وكان مما يعلم ببدائه المعقول، أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً، ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده"[٣].

والقصدية هي أحد المعايير السبعة التي وضعها روبرت دي بوجراند للنصّ، ويسلط هذا المبحث الضوء على معيار القصدية بوصفه المعيار الذي "يتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتماسكة، والمتسقة وسيلة لإنجاز قصد المتكلم، ومثال ذلك توزيع المعرفة، أو الوصول إلى هدف يُحدَّد في ضوء خطة ما"[٤].

إذ إنّ الهدف الأهمّ في إنتاج النصوص هو إيصال قصد منشئ / منتج النص إلى متلقّيه، فلا يمكن أن يوجد نصٌّ خالٍ من القصد، لأنّه بذلك سيكون نصاً مفرغاً من وظيفته الرئيسة، فهو يدخل في صلب العمليّة التواصليّة بين مستعملي اللغة، وإذا انعدم القصد انعدم الاتصال والإفهام.

يضاف إلى ذلك أنّ المعاني التي ترتبط بلفظة (قصد) في المعجمات العربية هي التوجه، والنية، والاعتزام ولكنها نية عامة وتوجه عام، فإذا ما كانت هذه النية من مُنشئ النص ويوجهها في صورة من صور اللغة يعتزم أن تكون نصاً كان هذا هو معنى القصد كمعيار من معايير النصية ويعرفه (دي بو جراند) بأنه "يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام – الانسجام – وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة

١) سورة البقرة، دراسة في ضوء علم لغة النصّ: ١٥٢.
٢) الصاحبي في فقه اللغة : ١٩٨.
٣) دلائل الإعجاز: ١/ ٥٣٠.
٤) الدلالة والنحو: صلاح الدين صالح حسنين: ٢٣١.

والوصول إلى غاية بعينها، وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد، قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام"[١].

ولما كانت اللغة ليست نظاماً من العلامات فحسب، وإنما هي في الأساس نظام تواصلي[٢]، فـ"المنطوقات اللغوية والبنى النصية تهدف في العادة إلى الإسهام في الاتصال والتفاعل الاجتماعي؛ لذلك فهي تتضمن وظيفة دينامية"[٣]، ولكي نفهم كيف يعمل النص يجب علينا أن نأخذ بالحسبان القصدية في تفسير النص لأنها تعد أحد المعايير التي تتحقق بها صفة النصية وحينئذ "يتوجب علينا إدخال اتجاهات مستعملي النص ضمن المعايير النصية"[٤]، وهذا يقتضي أن النص "ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً ومترابطاً من أجل تحقيق هدف محدد، وبمعنى آخر هو عمل مخطط، له غاية يود بلوغها"[٥]، وبمعنى أوسع فالقصدية "تعني قصد منتج النص من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون قصداً مسبوكاً محبوكاً وفي معنى أوسع تشير القصدية إلى جميع الطرق التي يتخذها منتجو النصوص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"[٦].

فضلاً على أن "منتج النص يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون نصاً متضاماً متقارناً"[٧]، وتعد القصدية الشرط الثالث من الشروط الأربعة اللازمة لوصف نص ما بالنصية، فالقصدية: "شرط أساسي لكل نوع من أنواع التواصل ويتعلق بموقف منتج النص الذي يريد أن يبني نصاً مترابطاً متماسكاً لتحقيق قصد منتجه، أي: ليقدم معرفة أو يحقق هدفاً يطرح في إطار خطة أو تخطيط ما"[٨]. ما"[٨].

ويشترط ليُعبّر منشئ النص لدى دارسي النص، عن القصد الذي يروم إيصاله إلى المتلقي؛ أنْ يمتلك اللغة في مستوياتها المعروفة، ومنها المستوى الدلاليّ، من خلال معرفته العلاقة بين الدوال، والمدلولات، وكذلك معرفته بقواعد تركيبها، وسياقات استعمالاتها، وعلى الإجمال معرفته بالمواضعات التي تُنظّم إنتاج الخطاب بها[٩]، وهذه العلاقة بين الدالّ، والمدلول، والمعرفة بقواعد اللغة، يجب أنْ تكون ممكنةً للمتلقّي على النحو الذي قصده المتكلّم، إذ إنّه بـ "خلاف ذلك قد يغيب أساس ضمان الفهم عن المخاطب في عملية التواصل، ولذلك يجب أنْ يُفترض أنّ التعلّق الممكن أنْ يقصده المتكلم بالسياق اللغوي محددٌ

---

١) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.
٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص (مشكلات بناء النص) : سعيد حسن بحيري: ٢٥.
٣) علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات): ١١٤، وينظر: علم لغة النص : عزة شبل محمد: ٢٨.
٤) مدخل إلى علم لغة النص: جيرار جنت: ١٥٢.
٥) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٧.
٦) علم لغة النص: عزة شبل: ٢٨.
٧) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد: ١٥٢.
٨) اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٦.
٩) استراتيجيات الخطاب: ١٨٣.

قاعدياً، وأن المتكلم، والمخاطب يتمكنان من القواعد الأساسية بقدر مناسب تقريباً"[١]، ويهتم البحث بهذا المعيار بوصفه المعيار الذي "يتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتماسكة، والمتسقة؛ وسيلة لإنجاز قصد المتكلم"[٢].

يُفهم مما سبق أنّه يجب أن تكون هناك ثمة علاقة بين الوقائع اللغويّة ومستعملها، إذ لا بُدَّ من أن تكون هذه الوقائع مبيّنة لمقاصد وأهداف مستعمل اللغة، فتتابع التراكيب اللغويّة دون أن يكون وراءها نية وقصد مُعبَّرٌ عنه يُعدّ ضرباً من العبث، لذا " فالمعاني لا تكمن في الأدوات اللغويّة المستعملة، بل لدى المتكلّم الذي يستعمل تلك الأدوات ويوظّفها بشتى السبل لتحقيق مقاصده ونواياه"[٣]، وهذا يؤكّد أنّه لا غنى لأي تراكيب لغويّة يُراد استعمالها في التفاعل الاتصالي عن توافر القصد فيها لأن تكون نصّاً، وعن قبولها بهذا الاعتبار[٤].

وهذا ما يؤكّده بعضهم قائلا : إن "المعنى اللغوي صورة حقيقية من القصديّة ولكنه ليس قصديّة باطنية وإنما قصديّة مشتقة من القصديّة الباطنية لمستعملي اللغة"[٥].

إنّ قصديّة النصّ لا تتمثّل فقط في الدلالة الكامنة فيه، وإنّما تتمثّل – كذلك- في نيّة منتج النصّ في أنْ يوصل تلك الدلالة إلى المتلقّي[٦]، فهي ما يريده منشئ النصّ من خلال تعبيره، فما تعنيه هو: التعبير عن هدف النص[٧]، إذ إنّ النص يتحدد "بعاملين يجعلان منه نصاً: النية (العزم)، وتنفيذ هذه النية، وهما يتفاعلان بشكل ديناميكي"[٨]، ويستمدّ القصد شرعيّة وجوده في الدراسات اللغويّة من أنّ "كلّ فعلٍ كلاميّ يفترض وجود نيّة للتوصيل، والإبلاغ، إذ لا يتكلّم المتكلّم مع غيره إلاّ إذا كان لكلامه قصد"[٩]، ومعنى هذا أنّ للقصد "تأثيراً في بنية النصّ وأسلوبه، ذلك أنّ الكاتب يبني نصّه بناءً معيّناً، ويختار لذلك الوسائل اللغويّة الملائمة بما من شأنه أنْ يضمن تحقيق قصده (...) إنّ تجسيد القصد، أو النيّة يقتضي وضع خطة معيّنة تجعل النصّ يتّسم بالترابط، والاتّساق، ويسير في اتّجاه غاية محدّدة"[١٠].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القصديّة ترتبط بالمتلقّي، لأنّ الهدف منها الفهم الذي هو "تحديد دقيق

---

١) إسهامات أساسيّة في العلاقة بين النصّ والنحو والدلالة: سعيد حسن بحيري: ٢٧.
٢) الدلالة والنحو: ٢٣١.
٣) تحليل الخطاب: براون- يول: ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطي ود. منير التريكي: ٢٢٧.
٤) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: د. إلهام أبو غزالة ود. علي خليل: ١٥٢.
٥) نظرية جون سيرل في القصديّة: دراسة في فلسفة العقل: د. صلاح إسماعيل، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية السابعة والعشرون، جامعة الكويت ٢٠٠٧م: ١٢٠.
٦) ينظر: نحو النَّص بين الأصالة والحداثة: ٨٩.
٧) ينظر: علم لغة النصّ: المفاهيم والاتّجاهات: سعيد حسن بحيري: ١٦٦.
٨) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: محمد الأخضر الصبيحي: ٩٧.
٩) نفسه : ٩٦.
١٠) نفسه: ٩٧.

لمراد المتكلّم، وتعيين للمعنى المقصود من اللفظ ضمن محتملاته العديدة في اللغة"[١]، والمتلقّي لا يكتفي فقط بتحرير قصد المؤلّف، وإنّما يشكّل لنفسه قصداً خاصّاً قد يكون أضيق أو أوسع من معنى المؤلّف بحسب ذخيرته اللغويّة وقدراته المعرفيّة، فيتشارك (معنى المتلقّي ومعنى المؤلّف) في إنتاج النص[٢].

فالقصديّة شرط ضروري في التفاعل الاتصالي؛ لأنه "لا غنى لأية تشكيلة لغوية يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصاً"[٣].

وقد أشار بعضهم إلى أمرين مهمين، الأول: الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعياري (الاتساق والانسجام)، إذ يمكن أن نحافظ على هذين المعيارين بدرجة ما، وذلك بصياغة خاصة لتحقيق أهداف نصية متغايرة[٤].

الثاني: ضرورة محافظة منتج النص عليها في ضمن حرصه على دوام التواصل ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن يقطع نهائياً آخر الأمر[٥]، لذلك نلحظ أن بعض علماء النص قد قصروا تعريفه على هذين الأمرين فـ (ديبوجراند) يذهب إلى أن القصد: "يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وإن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها"[٦]، وهو بهذا التعريف يرى أن (الاتساق والانسجام) شرطان أساسيان للقصد،؛ ولأن "اعتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تشكل نصاً مسبوكاً... يكون أداة لتحقيق مقاصد المنشئ، كأن ينقل معرفة أو يحقق هدفاً جرى توصيفه في إطار خطة موضوعة"[٧]، فمحافظة منتج النص على معياريَ الاتساق والانسجام تتضمن حرصه ورغبته على إيصال مقاصده إلى متلقيه (مستمعه)، ولا يخفى أن النص القرآني الكريم متسق بالروابط النحوية ومنسجم بين أجزائه بشبكة من العلاقات القائمة على فهم المعنى الدلالي[٨].

ويؤكد ذلك القول: "إن النص ليس بنية عشوائية، وإنّما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقاً مترابطاً لكي يحقق هدفه"[٩]، وليس المراد من القصدية العشوائية والاضطراب، وإنما تعني، الهدف أو القصد الذي يحدد كيفية التعبير، والغرض المتوخى، وهي البوصلة التي توجه تلك العناصر،

---

١) فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عن محيي الدين بن العربي: نصر حامد ابو زيد: ٢٨٤.

٢) ينظر: المفارقة الروائيّة: الرواية العراقيّة نموذجاً، صالح محمد عبد الله: أطروحة دكتوراه، كلية التربية/ جامعة الموصل، ٢٠٠١م: ٢٠١.

٣) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ١٥٢.

٤) ينظر: الدرس النحوي النصي: ١٥٧.

٥) ينظر: نفسه : ١٥٧.

٦) النص والخطاب والأجراء: ١٠٣، وينظر: اجتهادات لغوية: ٣٧

٧) الدرس النحوي النصي: ١٥٧.

٨) ينظر: الدرس النحوي النصي : ١٥٨.

٩) مدخل إلى علم لغة النص : إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد : ١٢.

وتجعلها تتضام إلى مقصد عام

ويتضح من ذلك أن القصدية لا تتحقق إلا بشروط[١]:

١- وجود المنتج أو المبدع الذي يعد نصاً متماسكاً مترابطاً له أهداف محددة، ومقاصد معينة، ورسالة موجهة.

٢- النص موجه إلى متلقٍ يجيد فك شفرات النص، ويحلل معانيه وصولاً إلى الأهداف الخفية غير المعلنة.

٣- يمر النص عبر قناة تواصلية تربط منتج النص بمتلقيه.

فالقصدية تُعد شرط ضروري في التفاعل الاتصالي؛ لأنه "لا غنى لأية تشكيلة لغوية يراد استقلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصاً"[٢]، وأن ذلك التواصل لا يتحقق إلا بالتفاعل فهو جزء من نظرية الفاعلية التواصلية عند (هابر ماس)، والتي تشكل نواة لنظرية في المجتمع، فهو ينظر إلى التفاعل بصفته نشاطاً تواصلياً "يخضع ضرورة للمعايير الجاري بها العمل، التي تحدد انتظارات مختلف أنماط السلوك المتبادلة على أساس أن تكون مفهومة ومعترف بها، بالضرورة من طرف ذاتين فاعلتين على الأقل"[٣]. ولذلك فإن ما تنماز به الوظيفة التواصلية هو القصدية[٤]، فالقصدية فالقصدية "تحدد كيفية التعبير والغرض المتوخى وهي البوصلة التي توجه العناصر الأخرى وتجعلها تتضام وتتضافر وتتجه إلى مقصد عام"[٥]، وقبل إجراء معيار القصديّة في نصوص التذييل في السور القرآنية لابد من الوقوف على أنماط المقاصد وأقسامها في الدراسات النصيّة ومن ثمّ عرض تطبيقاتها في النصوص المدروسة. إذ يقسم النصيون المقاصد على قسمين، فمنها: المقاصد المباشرة، ومنها: المقاصد غير المباشرة[٦].

ويُلحظ أن للقصد تأثيراً في بنية النص وأسلوبه؛ لذلك فإن منتج النص يبني نصه بناءً معيناً ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده، وبذلك نلحظ أن النص يعد مظهراً من مظاهر السلوك اللغوي، وشكلاً من أشكال اللغة يتضمن قصداً معيناً وتكمن أهمية القصد في؛ أنه يمثل جزءاً مهماً من دلالة النص، بل لا يكتسب النص دلالة إلا بفعل قصد المتكلم[٧].

ومن خلال ما سبق تتبين مجموعة من الملاحظات الهامة وهي:

أولاً: الاتساق والانسجام معياران لهما صلة وثيقة بمادة النص غير أنهما من اختيار منشئ النص،

---

١) ينظر: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم: ١٨٨.

٢) مدخل إلى علم لغة النص: ١٥٢.

٣) الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابر ماس: محمد نور الدين أفاية: ١٨٢.

٤) الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة: مارسليو داسكال، ترجمة: حميد لحمداني وآخرون: ٤٠.

٥) في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم: ١٨٩.

٦) ينظر: علم لغة النص: د. عزة شبل: ٣٦، نظرية علم النص: حسام أحمد فرج: ٤٨.

٧) ينظر: مدخل إلى علم النص: د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ١٥٢.

أما القصدية فهو معيار له صلة وثيقة بمنتج النص ومن ثمّ فالاتساق والانسجام تابعان للقصدية.

ثانياً: إن القصد قصدان أولهما؛ هو متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها، وهذه الغاية هي القصد الأصلي لمنشئ النص، أما الثاني؛ وهو القصد الفرعي فهو قصد منشئ النص بصورة ما من صور اللغة أن يكون نصاً يتمتع بالاتساق والانسجام، وهذا القصد الفرعي وسيلة للوصول إلى القصد الأصلي الذي يؤمُه منشئ النص.

ثالثاً: وجود مساحة متغيرة من التغاضي في مجال القصد؛ إذ إن هناك مواقف يصعب فيها تحقيق الاتساق والانسجام، ومع ذلك يظل القصد – من الناحية العملية – قائماً.

وبالتالي فإنه من الضروري أن يحافظ منتج النص على معياري الاتساق والانسجام فالمحافظة عليهما تتضمن حرصه على دوام التواصل ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن تنقطع نهائياً آخر الأمر.

القصد والمعنى القرآني:

إن معرفة مقاصد القرآن الكريم تنبني على الاحتمال والاجتهاد، ولا يمكن لبشر بحال أن يقف على مراد الله تعالى ومقاصده في القرآن الكريم يقيناً وجزماً، لكن الوقوف على مقاصد ومعاني القرآن لا يتحقق بإدراك معاني مفردات القرآن في حقولها المعجمية منفردة عن غيرها، فـ " أَنَّ الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغةِ، لم تُوضَعْ لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض، فيُعرفَ فيما بينها فوائدُ. وهذا علِمٌ شريفٌ، وأَصْلٌ عظيم. والدليلُ على ذلك أنَّا إنْ زعمنا أنَّ الألفاظَ التي هي أوضاعُ اللغةِ إنما وُضِعتْ ليُعرَفَ بها معانيها في أَنفُسها، لأَدَّى ذلك إلى ما لا يَشُكَّ عاقِلٌ في استحالته"[1]، وإذا ما سعينا إلى تبيان (المعنى القرآني) علينا أن نتذكر أنَّ الدلالة المعجمية لكلمة (عنى) ذات بُعْدَين رئيسين: بُعْدُ القصد والاهتمام، وبُعْدُ الظّهورِ.

فأما الذي يرجع إلى المتكلم إنَّما هو بُعْدُ القصد والاهتمام، أمَّا بُعْدُ الظهور فإنَّما يرجع إلى الكلام نفسِه من وجه وإلى المخاطَبِ به من وجهٍ آخر.

فإن البعْدُ الأول (القصد) ليس لأحد أن يزعم في تدبر البيان القرآني سعيًا إلى إدراك المعنى القرآني أنّه يملكُ القطع بتحريره وتحقيقه من بيانه القرآنيّ، فإنَّ ما تفهمه الأمَّة من كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس هو عين مراده من كلامه الموحى إلى نبيه ﷺ ذلك أن القطع بأن ذلك المعنى من هذه الآية مثلا هو عين مراد الله – عز وجل – منها إنما يكون بطريق توقيفي صحيح الإسناد إلى رسول الله ﷺ[2].

ولا يستطيع متلقٍ لبيانَ القرآن الكريم الزعمَ بتطابق إدراكه مع مراد الله تعالى لأنَّ القول بهذا فيه جرأة على الله جل جلاله!

---

١) دلائل الإعجاز: ١/ ٤٢٣.

٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/١٦.

وقد قُسِّمَ المعنى القرآنيّ إلى نوعين[1]:

الأول: المعنى القصْدِيّ: وهذا هو عين مراد الله سبحانه وتعالى، وهو معنى توقيفي ليس لنا معه إلا الاجتهاد فـي فهمه حين يبلغنا بسند صحيح عن سيد المرسلين محمد ﷺ.

والآخر: المعنى الإدراكِيّ: وهو كلُّ ما يدركه أهلُ العلم والتَّدبُّر من النَّصِّ القرآنيّ وفقا لأصول الإدراك والتَّدبُّر وضوابطها. وهذا الضرب (المعنى الإدراكي) هو مناط دراسات السابقين وبالإمكان تعريفه أنّه: "كلُّ ما يدركه ويستنبطه أهلُ العلم من النَّصِّ في سياق السورة المقاليّ والمقاميّ وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط"[2]، وذلك هو المبتغَى من التَّدبّر.

آليات القصد في القرآن الكريم:

١- العدول:

إن من بين آليات تحديد مقاصد القرآن الكريم هو تعليل العدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فقد ذكر المفسرون في بيان دور جملة التذييل في الكشف عن مقاصد الآية "وَلِهَذَا ذُكِرَ اسْمُ الْجَلَالَةِ بِلَفْظِهِ الظَّاهِرِ وَلَمْ يَقلْ فَإِنِّي عَدُوٌّ أَوْ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِمَا يَشْعُرُ بِهِ الظَّاهِرُ هُنَا مِنَ الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ"[3]، إذ علل ابن عاشور؛ العدول من ذكر الاسم الظاهر في جملة التذييل إلى ذكر الضمير بقصد بيان القدرة والعظمة، وقد أتى "باسم الله ظاهراً ولم يقل فإنه عدو دفعا لانفهام غير المقصود، أو التعظيم والتفخيم، والعرب إذا فخمت شيئاً كررته بالاسم الذي تقدم له"[4].

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦]، جاء في جملة التذييل بوصف المتقين ولم يأتِ بالضمير فيقول (معكم) وإنما جاء بالمظهر لقصد يُلمح في قول ابن عاشور: "مِنْ أَجْلِ مَا فِيهَا مِنَ الْعُمُومِ فِي الْمُتَّقِينَ، دُونَ أَنْ يُقَالَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَكُمْ لِيَحْصُلَ مِنْ ذِكْرِ الِاسْمِ الظَّاهِرِ مَعْنَى الْعُمُومِ، فَيُفِيدُ أَنَّ الْمُتَّصِفِينَ بِالْحَالِ الْمَحْكِيَّةِ فِي الْكَلَامِ السَّابِقِ مَعْدُودُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُتَّقِينَ، لِئَلَّا يَكُونَ ذِكْرُ جُمْلَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ غَرِيبًا عَنِ السِّيَاقِ"[5]، وجاء فـي تفسيرها؛ "وإنما وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين على ذلك وإيذانا بأنه المدار في النصر، وقيل: هي بشارة

---

١) ينظر: العزفُ على أنوار الذِّكر: محمود توفيق محمد سعد: ١٣ -١٤.

٢) العزفُ على أنوار الذِّكر: محمود توفيق محمد سعد: ١٤.

٣) التحرير والتنوير: ١ / ٦٢٤.

٤) روح المعاني: ١ / ٣٣٣.

٥) التحرير والتنوير: ١٠ / ١٨٨.

وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم كما يشعر بذلك التعليق بالمشتق"[١]، وبذلك يتبين دور جملة التذييل في بيان مقاصد النص الكريم من خلال العدول من المضمر إلى ذكر المظهر.

٢- إبهام القصد (بالتنكير والتعريف):

أشار النصيّون إلى أنّ هناك نوعاً من الخطاب، يكون الغرض فيه إبهام القصد وإخفاءه على السامع[٢]. ويكون ذلك بقصد منتج النص، يسمّى التوجيه، أو الإبهام، وهو "أن يقول المتكلّم كلاماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميّز أحدهما على الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً"[٣]، ويكون ذلك لبيان مقاصد أخرى مستفادة من إبهام القصد وأهمّها التعظيم والتخويف والتفخيم والتهويل.

مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [١٥٨: البقرة]، جاء في تفسير الآية الشريفة أن " قَوْلُهُ: وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَّ شاكِرٌ عَلِيمٌ تَذْيِيلٌ لِمَا أَفَادَتْهُ الْآيَةُ مِنَ الْحَثِّ عَلَى السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بِمَفَادِ قَوْلِهِ: مِنْ شَعائِرِ اللهَّ، وَالْمَقْصِدُ مِنْ هَذَا التَّذْيِيلِ الْإِتْيَانُ بِحُكْمٍ كُلِّيٍّ فِي أَفْعَالِ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا مِنْ فَرَائِضَ وَنَوَافِلَ أَوْ نَوَافِلَ فَقَطْ فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ (خَيْراً) خُصُوصَ السَّعْيِ لِأَنَّ خَيْرًا نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الشَّرْطِ، فَهِيَ عَامَّةٌ وَلِهَذَا عُطِفَتِ الْجُمْلَةُ بِالْوَاوِ دُونَ الْفَاءِ لِئَلَّا يَكُونَ الْخَيْرُ قَاصِرًا عَلَى الطَّوَافِ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ"[٤]، وقد "وَقَعَتِ الصِّفَتَانِ هُنَا الْمَوْقِعَ الْحَسَنَ، لِأَنَّ التَّطَوُّعَ بِالْخَيْرِ يَتَضَمَّنُ الْفِعْلَ وَالْقَصْدَ، فَنَاسَبَ ذِكْرَ الشُّكْرِ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وَذِكْرَ الْعِلْمِ بِاعْتِبَارِ الْقَصْدِ، وَأُخِّرَتْ صِفَةُ الْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً، عَلَى الشُّكْرِ، كَمَا أَنَّ النِّيَّةَ مُقَدَّمَةٌ على الفعل لتواخي رؤوس الْآيِ"[٥]، وأن "وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً أي من انقاد انقيادا - خيرا أو بخير، أو آتيا بخير - فرضا كان أو نفلا، وهو عطف على فَمَنْ حَجَّ (...)، آتيا بخير من حج أو عمرة أو طواف لقرينة المساق، وعليه تكون الجملة مسوقة لإفادة شرعية التنفل بالأمور الثلاثة، وفائدة خَيْراً على الوجهين مع أن التطوع لا يكون إلا كذلك التنصيص بعموم الحكم بأن من فعل خيرا أي خير كان يثاب عليه، أو من تبرع تبرعا خيرا أو بخير أو آتيا بخير من السعي فقط بناء على أنه سنة، والجملة حينئذ تكميل لدفع ما يتوهم من نفي الجناح من الإباحة، وفائدة القيد التنصيص بخيرية الطواف دفعا لحرج المسلمين"[٦].

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ

---

١) روح المعاني: ٥/ ٢٨٥.
٢) مدخل إلى نظرية علم لغة النص: د. ألهام أبو غزالة ود. علي خليل الحمد: ١٥٥.
٣) تحرير التحبير: ٥٦٦.
٤) التحرير والتنوير: ٢ / ٦٤.
٥) البحر المحيط: ٢ / ٦٨.
٦) روح المعاني: ١ / ٤٢٥.

دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢]، فجاء الأجر مبهماً، وعُلّق بجملة التذييل للدلالة على عظمة الذي لا يقدّر بقدر ولا يعلم كنهه ولا حقيقته إلاّ هو لأنّه من الذات المقدّسة فإبهام الأجر دلّ على عظمته، لأنّه واقع من الله، وليس باستطاعة أحد أن يحيط بقدره. فقد جاء في التفسير أنه "أكد المعاني المذكورة بقوله ﴿اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي تصدير الجملة الاسمية بأن وفي لفظ (عند) وتقديمه وتنكير (أجر) ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى"[١].

وممّا ورد من أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فجاء في التفسير أنه "لما خص من ذكر عمم وبشر بقوله: (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْر)، أي: مما يعد خيراً من عين أو معنى من هذا أو غيره مع هؤلاء أو غيرهم (فإن الله) المحيط علماً وقدرة بكل شيء. ولما كان على طريق الاستئناف في مقام الترغيب والترهيب لكونه وكل الأمر إلى المنفقين وكان سبحانه عظيم الرفق بهذه الأمة أكِد علمه بذلك فقدم بذلك فقدم الظرف إشارة إلى أن له غاية النظر إلى أعمالهم الحسنة فقال: (به عليم) أي بالغ العلم"[٢]، وفي "قَوْلِهِ: مِنْ خَيْرٍ، فِي الْإِنْفَاقِ يَدُلُّ عَلَى طِيبِ الْمُنْفَقِ، وَكَوْنِهِ حَلَالًا، لِأَنَّ الْخَبِيثَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ (...)، وَقَوْلُهُ: مِنْ خَيْرٍ فِي قَوْلِهِ: وَمَا تَفْعَلُوا، هُوَ أَعَمُّ: مِنْ، خَيْرٍ، الْمُرَادِ بِهِ الْمَالُ، لأنه مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ هُوَ الْفِعْلُ، وَالْفِعْلُ أَعَمُّ مِنَ الْإِنْفَاقِ، فَيَدْخُلُ الْإِنْفَاقُ فِي الفعل، فخير، هُنَا هُوَ الَّذِي يُقَابِلُ الشَّرَّ، وَالْمَعْنَى: وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ شَيْءٍ مِنْ وُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ (...)، وَالْأَوْلَى الْعُمُومُ، لِأَنَّهُ يَشْمَلُ إِنْفَاقَ الْمَالِ وَغَيْرَهُ"[٣]، وَيَتَرَجَّحُ بِحَمْلِ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنَ الْعُمُومِ إذ أنه جاء نكرة، وَلَمَّا كَانَ أَوَّلًا السُّؤَالُ عَنْ خَاصٍّ، أُجِيبُوا بِخَاصٍّ، ثُمَّ أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ الْخَاصِّ التَّعْمِيمُ فِي أَفْعَالِ الْخَيْرِ، وَذَكَرَ الْمُجَازَاةَ عَلَى فِعْلِهَا، ويُلحظ من خلال النصوص السابقة أن استخدام النكرة لإبهام المراد من النص لقصد العموم أو أن يشمل اللفظ الخاص والعام وبذلك تتسع مقاصد النص.

٣- الإيجاز:

وهو أداء المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ، والنص القرآني نص راقٍ في هذا المجال، يقول الثعالبي في كتابه الإعجاز والإيجاز "من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار ويحيط ببلاغة الإيماء ويفطن لكفاية الإيجاز فليتدبر القرآن وليتأمل علّوه على سائر الكلام"[٤]. فيهدف منشئ النص من الإيجاز: إلى أن يقود قارئه إلى فهم معين للنص[٥]، ووصول مقصده للمخاطَب دون أن تَشتُت

---

١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣ / ٤٤٥.

٢) نظم الدرر: ٣ / ٢١٦.

٣) البحر المحيط: ٢/ ٣٧٨.

٤) الإعجاز والإيجاز: ١٥.

٥) ينظر: بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية: يوسف بديدة: ٤١.

العملية الذهنية التواصلية عند المخاطب، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٨- ١٧٩]، ففي الكلام إيجاز بيِّن كما جاء في التفسير؛ أنه "اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الْإِيجَازِ مَعَ جَمْعِ الْمَعَانِي بِاللُّغَةِ بَالِغَةٌ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثير، كَقَوْلِهِمْ: قَتْلُ الْبَعْضِ إِحْيَاءٌ لِلْجَمِيعِ، وَقَوْلُ آخَرِينَ: أَكْثِرُوا الْقَتْلَ لِيَقِلَّ الْقَتْلُ، وَأَجْوَدُ الْأَلْفَاظِ الْمَنْقُولَةِ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، ثُمَّ إِنَّ لَفْظَ الْقُرْآنِ أَفْصَحُ مِنْ هَذَا"[1]، ولبيان فصاحة النص القرآني مع إيجازه ذكر الرازي أكثر من مرجح للنص القرآني على أقوال العرب هي:

"أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَهُ: وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ أَخْصَرُ مِنَ الْكُلِّ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَلَكُمْ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ، إِذْ لَا بُدَّ فِي الْجَمِيعِ مِنْ تَقْدِيرِ ذَلِكَ، لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: قَتْلُ الْبَعْضِ إِحْيَاءٌ لِلْجَمِيعِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تَقْدِيرِ مِثْلِهِ، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِمْ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ فَإِذَا تَأَمَّلْتَ عَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَهُ: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ أَشَدُّ اخْتِصَارًا مِنْ قَوْلِهِمْ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، وَثَانِيهَا: أَنَّ قَوْلَهُمْ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ ظَاهِرُهُ يَقْتَضِي كَوْنَ الشَّيْءِ سَبَبًا لِانْتِفَاءِ نَفْسِهِ وَهُوَ مُحَالٌ، وَقَوْلَهُ: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ لَيْسَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الْمَذْكُورَ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْقَتْلِ وَهُوَ الْقِصَاصُ، ثُمَّ مَا جَعَلَهُ سَبَبًا لِمُطْلَقِ الْحَيَاةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْحَيَاةَ مُنَكَّرَةً، بَلْ جَعَلَهُ سَبَبًا لِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَاةِ، وَثَالِثُهَا: أَنَّ قَوْلَهُمْ الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ، فِيهِ تَكْرَارٌ لِلَفْظِ الْقَتْلِ وَلَيْسَ قَوْلُهُ: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ كَذَلِكَ، وَرَابِعُهَا: أَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ: الْقَتْلُ أَنْفَى لِلْقَتْلِ. لَا يُفِيدُ إِلَّا الرَّدْعَ عَنِ الْقَتْلِ، وَقَوْلُهُ: فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يُفِيدُ الرَّدْعَ عَنِ الْقَتْلِ وَعَنِ الْجَرْحِ وَغَيْرِهِمَا فَهُوَ أَجْمَعُ لِلْفَوَائِدِ، وَخَامِسُهَا: أَنَّ نَفْيَ الْقَتْلِ مَطْلُوبٌ تَبَعًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَتَضَمَّنُ حُصُولَ الْحَيَاةِ، وَأَمَّا الْآيَةُ فَإِنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى حُصُولِ الْحَيَاةِ وَهُوَ مَقْصُودٌ أَصْلِيٌّ، فَكَانَ هَذَا أَوْلَى وَسَادِسُهَا: أَنَّ الْقَتْلَ ظُلْمًا قَتْلٌ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ نَافِيًا لِلْقَتْلِ بَلْ هُوَ سَبَبٌ لِزِيَادَةِ الْقَتْلِ، إِنَّمَا النَّافِي لِوُقُوعِ الْقَتْلِ هُوَ الْقَتْلُ الْمَخْصُوصُ وَهُوَ الْقِصَاصُ"[2]، ويُلحظ على كلام الرازي كيف أنه عقد موازنة بين النص السماوي، والنصوص البشرية لبيان مزية النص القرآني بإيجازه وسعة معناه وكثرة مقاصده مع الإيجاز مما يدلل على براعة المنشئ في توجيه النص إلى قصدية محددة من خلال حبكة النص بهذا الإيجاز.

وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١٠- ٢١١]، يُلحظ ذكر دور جملة التذييل في بيان قصدية النص الكريم "وَقَوْلُهُ: (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ) تَذْيِيلٌ لِجُمْلَةِ (سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ كَمْ آتَيْناهُمْ) إِلَخ، أَفَادَ أن الْمَقْصُودَ أَوَّلًا مِنْ هَذَا الْوَعيد هم بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمُتَحَدَّثُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: (سَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ)، وَأَفَادَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ

١) التفسير الكبير: ٥/ ٢٢٩.

٢) نفسه : ٥ /٢٢٩-٢٣٠.

بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ تَعَالَى فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي أُوتِيَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ هِيَ نِعَمٌ عَلَيْهِمْ وَإِلَّا لَمَا كَانَ لِتَذْيِيلِ خَبَرِهِمْ بِحُكْمِ مَنْ يُبَدِّلُ نِعَمَ اللهِ مُنَاسَبَةٌ وَهَذَا مِمَّا يَقْصِدُهُ الْبُلَغَاءُ، فَيُغْنِي مِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ عَنْ ذِكْرِ جُمَلٍ كَثِيرَةٍ إِيجَازًا بَدِيعًا مِنْ إِيجَازِ الْحَذْفِ وَإِيجَازِ الْقَصْرِ مَعًا لِأَنَّهُ يُفِيدُ مُفَادَ أَنْ يُقَالَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ هِيَ نِعْمَةٌ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُقَدِّرُوهَا حَقَّ قَدْرِهَا، فَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ بِضِدِّهَا بَعْدَ ظُهُورِهَا فَاسْتَحَقُّوا الْعِقَابَ، لِأَنَّ مَنْ يُبَدِّلُ نِعْمَةَ اللهِ فَاللهُ مُعَاقِبُهُ، وَلِأَنَّهُ يُفِيدُ بِهَذَا الْعُمُوم حكما جَامعا يَشْمَلُ الْمَقْصُودِينَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ يُشْبِهُهُمْ وَلِذَلِكَ يَكُونُ ذِكْرُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ الْجَامِعِ بَعْدَ حُكْمٍ جُزْئِيٍّ تَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْلِ تَعْرِيضًا يُشْبِهُ التَّصْرِيحَ"[1]، وبذا يكون لجملة التذييل الأثر البالغ في بيان مقاصد النص الشريف مع مزية الإيجاز والاختصار في الكلام مع سعة المعنى وشمول من نزل فيهم هذا الحكم ومن ينطبق عليهم الكلام من دون تصريح بهم.

نخلص مما سبق إلى أن معيار القصدية أشبه بالعمود الفقري للنص ناهيك عن أن النص أو منشئ النص يستعمل كافة الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تخدم مقاصده وتحققها، إذ إنه أنشأ النص من أجلها، ولا مبالغة إذا ما قيل أن كل المعايير النصية تعتبر أدوات ووسائل لتحقيق القصدية في النص، فإنه قد يختل أو يتخلف أحد معايير النصية ويتحقق قصد منشئ النص إلا أنه لا يمكن أن تتحقق النصية في أي نص ما لم تكن فيه قصدية.

---

١) التحرير والتنوير: ٢ /٢٩١.

المبحث الثالث

الإعلامية

الإعلامية:

لا يختلف مفهوم الإعلاميّة في الدراسات النصيّة الحديثة كثيراً عن دراسات القدماء، فقد شمل مصطلحات عدّة عند العلماء المسلمين القدماء، من تلك المصطلحات: (الغرابة - التعجيب -الاستبداع - المستندر - المستطرف - الاستطراف)[١]، و(الاستظراف - الإغراب - اللطف)[٢]. ومن ذلك ما قيل في بيان مفهوم التعجيب: "والتعجيب يكون باستبداع ما يثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقلّ التهدّي إلى مثلها، فورودها مستندر، مستطرف لذلك: كالتهدّي إلى ما يقلّ التهدّي إليه من سبب للشيء تخفى سببيته، أو غاية له، أو شاهد عليه، أو شبيه له، أو معاند، وكالجمع بين مفترقين من جهة لطيفة قد انتسب بها أحدهما إلى الآخر، وغير ذلك من الوجوه التي من شأن النفس أنْ تستغربها"[٣].

وتُعدّ الإعلامية أحد المعايير السبعة التي وضعها روبرت (دي بوجراند) للنصّ، وهو من المعايير النصية التي ترتبط بالسياق المادي والثقافي، و"موضوعه مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول"[٤]، ويعرفها ، أنها "العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلاميّة تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع"[٥].

ويرتبط هذا المعيار بالمخاطب ويَبيّن عن نسبة الوضوح والغموض في النصِّ ويربط بين درجة الغموض واحتمالية النص وإمكانية وجود البدائل الاقترانية للألفاظ[٦].

إذ تعتمد الإعلاميّة - بوصفها معياراً نصّياً - على الجدة، أو التنوع الذي توصف به المعلومات، وعلى مدى الإثارة لانتباه المتلقّي.

وتكمن أهمية الإعلامية في كونها معياراً نصّياً، إذ إنها تتعلق "بمدى (توقع / عدم توقع) أو (معرفة / عدم معرفة) العناصر (الوقائع) التي يقدمها النص، ويقصد بذلك المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإن كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقل إعلاميّة، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإنه يوصف بأنه أكثر إعلامية وهذا يعني أن المعلومة

---

١) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠ – ٩١. وينظر: الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ: ٥.

٢) ينظر: أسرار البلاغة: ٢٠٤. وينظر: الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ: ٥.

٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ٩٠.

٤) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ٣٢-٣٣.

٥) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.

٦) ينظر: نفسه : ١٠٤.

الجديدة، إذا قدّمت للمتلقي فإن النص يكون أقل إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي فإن النص يكون أكثر إعلامية"[١]، فكلما "كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الاعلامية"[٢]، وهي بذلك نسبية تختلف باختلاف المتلقي، وقدرات استقباله للنص.

وتختلف درجة الإعلامية من نص إلى آخر وفقاً لنوعه وغايته، ولكن مما يؤكده علماء النص، هو أن كل نص يجب أن يشتمل على قدرٍ من المعلومات الإعلامية[٣]، وتقول الدكتورة إلهام أبو غزالة "إن لكل نص حظّهُ من الإعلاميّة فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بحذافيرها ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان"[٤].

لذا فإن نسبة الإعلامية تكون مرتفعة عندما يتلقى مُستقبلو النص نصاً، ويجدون أنه خارج الاحتمالات التي توقعوا أن يكون عليها من حيث معانيه ودلالاته، أو من حيث تراكيبه، وهذا ما أشار له البعض إذ نظر إلى هذا المصطلح "لا من حيث كونه يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال بل من حيث يدل بالأحرى على ناحية الجدة، والتنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف فإذا كان استعمال نظام في صياغة نص ما يتكون من الهيأة التي تبدو عليها العناصر المستعملة في وقائع صياغة هذا النص، فإن إعلامية عنصر تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من جهة النظر والاختيارية، وكلما بعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية"[٥].

ويُلحظ ممّا تقدم أنّ الكفاءة الإعلاميّة ليستْ بدرجة واحدة - كما يرى بعضهم - بل هي متباينة بحسب احتماليّة ورود البدائل في النصّ، فكلّما قلّتْ احتماليّة ورود تلك البدائل كانت الكفاءة الإعلاميّة أعلى درجة؛ ولذا قسّم الكفاءة الإعلامية ثلاث مراتب[٦]:

١- كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة:

وهي المحتوى المحتمل في الهيأة المحتملة، ويكون النص سهل الصياغة وعليه يكون غير إعلامي، "وتتحقّق كفاءة إعلاميّة من المرتبة الأولى في العوالم الواقعيّة، حيث توجد بدائل كثيرة، ويحدث ذلك عند اختيار بديل في الدرجة العليا من الاحتمال"[٧]، ويعني ذلك أنّ الألفاظ، والتراكيب، المستعملة في النص متوقّعة بدرجة عالية، وليس فيها لفظ، ولا تعبير خارج نطاق أُفق توقّع متلقي النصّ.

---

١) الدلالة والنحو: ٢٣١، ينظر: نظرية علم النص: ٦٦.

٢) علم لغة النص: عزة شبل: ٦٨.

٣) ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث: ١٠٢، علم النص ونظرية الترجمة: ٥٠ ـ ٥١.

٤) مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد: ٣٣.

٥) النص والخطاب والأجراء: ٢٤٩.

٦) ينظر: النص والخطاب والأجراء: مقدمة المترجم: ٢٣، و: ٢٥١.

٧) النص والخطاب والإجراء: ٢٥٣. وينظر: الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ: ٧.

٢ – كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة:

وهي المحتوى غير المحتمل في الهيأة المحتملة أو المحتوى المحتمل في الهيأة غير المحتملة، وهي "اختيار بديل من الدرجة الوسطى، أو من دنيا الوسطى من الاحتمالات، يفضي إلى المرتبة الثانية من الكفاءة الإعلاميّة... ولعلّ وجود عناصر واردة من المرتبة الثانية هو المستوى العادي للاتّصال بطريق النص، حتى إنّ العناصر الواردة من المرتبة الأولى يُمكن إعلاء مرتبتها... كما أنّ العناصر الواردة من المرتبة الثالثة يمكن خفض نسبتها"[١]. وفي هذه المرتبة من الكفاءة يكون صاحب النصّ قد اختار (التعويضات)، أو (التفضيلات) التي تصلح أنْ تكون بدائل لغيرها متوقّعة، وتكون تلك التعويضات، أو (التفضيلات) أقلّ توقّعاً[٢].

٣ – كفاءة إعلامية مرتفعة الدرجة:

وهي المحتوى غير المحتمل في الهيأة غير المحتملة، وهذا النص شأنه أن يكون صعب الصياغة مثيراً للجدل الحاد، وهي "ما يُعدّ من بين العناصر الواردة خارج نطاق الخيارات المحتملة على درجة التقريب يصل بنا إلى المرتبة الثالثة من الكفاءة الإعلاميّة، وهذه العناصر غير معتادة، وشديدة الإثارة للانتباه، ومن ثمّ يصعب فهمها، والسيطرة عليها"[٣]، يضاف إلى ذلك أنّ الإعلاميّة تكون "عالية في الوقائع التي تبدو لأوّل وهلة خارجة بعض الشيء على قائمة الاختيارات المحتملة، وهذه الوقائع قليلة الحدوث نسبيّاً، وتتطلب قدراً من الاهتمام، وتكون أكثر إمتاعاً. وتنقسم إلى قسمين، هما: الانقطاعات، وفيها تبدو تشكيلة ما خالية من المادة، والمفارقات، وفيها تبدو الأنماط المعروضة في النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة ممّا يستلزم من مستقبلي النص البحث في الدافع، وسبب الاختيار من أجل استمراريّة الاتّصال"[٤]. ولذلك يذهب البعض إلى ارتباط هذه المراتب بمعرفتنا عن العالم "فإذا كان عالم النص يؤكد العلاقات التي سبق العلم بأنها محددة فإن لدينا إعلامية من الدرجة الدنيا فقط وتأكيد العلاقات النموذجية يؤدي إلى كفاءة إعلامية أكبر كلما نقص الطابع النموذجي"[٥].

وتتعلق الإعلامية "باستقبال الكلام على أنه نص ذو محتوى يتعلق بحكم المتلقي على طريقة عرض المحتوى بالجدة وبمدى توقعه لطريقة العرض"[٦]. وقد حدد علماء لغة النص لمصطلح (الإعلامية) ثلاثة ثلاثة مفاهيم وهي[٧]:

---

١) النص والخطاب والإجراء: ٢٥٥.
٢) ينظر: نفسه : ٢٥٥. وينظر: الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ: ٨.
٣) النص والخطاب والإجراء: ٢٥٥.
٤) علم لغة النص، النظرية والتطبيق: عزة شبل محمد : ٦٩.
٥) النص والخطاب والأجراء: مقدمة المترجم: ٢٥.
٦) في اللسانيات العربية المعاصرة: ٢٣٣.
٧) ينظر: نظرية علم النص : حسام أحمد فرج: ٦٦-٦٨، وأصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٦٥.

١- الإعلامية بالمعنى العام، تدل على أن أي نص لابد أنه يقدم خبراً ما، فالنصوص تشترك كلها في هذه الوظيفة.

٢- الإعلاميّة بمعنى الجدة وعدم التوقع، وهذا يدل على ما يجده المتلقي في النص من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.

٣- الإعلاميّة بمعنى الدعاية، إيجاباً أو سلباً لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.

وقد وصفت الإعلاميّة بالمفهومين الأول والثالث بأنها إعلاميّة منخفضة؛ لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب، أما الإعلاميّة بالمفهوم الثاني فقد وصفت بأنها إعلاميّة مرتفعة، لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص[١].

وفي هذه الحالة يكون لزاماً على المتلقي أن يبذل جهداً أكبر من الحالين الآخرين، بيد أنه يكون أكثر إمتاعاً، ولا بدّ لمنتج النص من توخى الحذر، كي لا تنوء قدرة المتلقي بالعبء عندما يعالج جدة المعلومات إلى الحد الذي قد يتعرض فيه الاتصال إلى الانقطاع، والتشتت، والانهيار[٢]، ففي الواقع أن لكل نص إعلاميته ومعلوماته الجديدة التي تقدم بأي شكل من الأشكال[٣]، إلا أن "مقدار المعلوماتية هو الذي يوجه اهتمام السامع: الحد المنخفض جداً من المعلوماتية (الابتذال، الأمور البدهية لمجموعة معينة من السامعين) تكون مللاً ويمكن أن تقود إلى رفض النص؛ أما المعلوماتية ذات الدرجة العالية (لمجموعة معينة من السامعين) فإنها تكلف الشريك من جهتها أكثر من طاقته، ويمكن أن تدفعه إلى الانصراف عن مثل ذلك النص. فالمقدار المناسب من المعلوماتية في النص - المعتمد على المقصد والتوقع والموقف - يشكل بذلك عاملاً نصياً أساسياً"[٤].

وبناء على ما تقدم فـ "إن الإعلاميّة ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره"[٥].

فمصطلح الإعلامية "يطلق على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع وفي العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى والربط بين الوقائع في النص؛ وتبرز بصفة خاصة في المجاز (...)، وقد تقع الإعلامية في التركيب النحوي من خلال تتاليات تخرج عن المألوف"[٦].

---

١) ينظر: نظرية علم النص : حسام أحمد فرج: ٧٠.

٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة و علي خليل حمد: ٣٣.

٣) ينظر: نحو النص: د. أحمد عفيفي: ٨٦.

٤) مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينه من وديتر فيهفجر: ٩٤.

٥) نحو النص: د. أحمد عفيفي: ٨٦.

٦) علم لغة النص: عزة شبل: ٦٨.

آليات الإعلامية[1]:

وهناك من النصوص التي تحمل درجة عالية من الإعلامية إلى المتلقي بتأثير المتوقع واللامتوقع من خلال:

١- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار الألفاظ ٢- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار التراكيب.

١- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار الألفاظ:

تتحصل الجدة وكسر أفق التوقع باختيار ألفاظ غير مستعملة في حقل دلالي معين وغريبة، إذ إنّ استعمال الكلمات الغريبة يجعل النص يختلف إعلامياً وهذا الأمر يرتبط بثقافة الكاتب أو المتكلم[2]، فكلما "كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية"[3]، فاختيار الألفاظ في النص من ناحية دلالتها ومعناها، ومن خلال تغير مواقع الكلمات، وذلك بتوظيفها مجازياً، أو باستعمالها معجمياً في غير مواقعها يرفع من مستوى الاعلامية في النصّ، وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، واستعمل ألفاظهم، وتراكيبهم النحويّة، وكل إمكانيات اللغة العربية ولكن "لا يُمكننا تجاهل أنّ نوعاً من الألفاظ القرآنيّة يتّصف بأنّ له نزعة تجريديّة غير معلومة عند المخاطبين، أفلا يؤدّي النظر إلى هذه الألفاظ التي هي بظاهرها معروفة عند العرب، والتي تحمل ثقافة جديدة، ورؤية مختلفة إلى تحميل القرآن لتلك المفردات المأنوسة عند العرب معاني جديدة تماماً، لم تكن قبل ذلك في قاموس العرب، ولم يكن ذهنهم مسبوقاً بها"[4]، ويمكن أن نمثل لذلك بالنماذج القرآنية المتوافرة على إعلامية نصّية في جمل التذييل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦][*]، فيلحظ في النصّ القرآني استعمال لفظ (فاسق) في كل مرة مع فئة معينة من الناس، وقد جاء في مفردات الراغب "فَسَقَ فلان: خرج عن حجر الشّرع، وذلك من قولهم: فَسَقَ الرُّطَبُ، إذا خرج عن قشره، وهو أعمّ من الكفر، والفِسْقُ يقع بالقليل من الذّنوب وبالكثير، لكن تعورف فيما كان كثيرا، وأكثر ما يقال الفَاسِقُ لمن التزم حكم الشّرع وأقرّ به، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه، وإذا قيل للكافر الأصليّ: فَاسِقٌ، فلأنّه أخلّ بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة"[5]، فلفظة (فاسق) لم تستعمل في وصف الانسان قبل القرآن إذ قال ابن

---

١) ينظر: المعايير النصية في السور القرآنية: ٢٥٧.

٢) ينظر: علم لغة النص: د. عزة شبل: ٧٠.

٣) علم لغة النص: د. عزة شبل: ٦٨.

٤) تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه: ٣٠٢.

*) ينظر: المائدة: ٤٧، ١٠٨، والتوبة: ٢٤، ٨٠.

٥) المفردات في غريب القرآن : ١/ ٦٣٦.

الأعرابيّ: أنه "لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب"[١]، وحكى ابن فَارس: "قَالَ: ابْن الْأَعرَابِي: لم يسمع فِي كَلَام الْجَاهِلِيَّة فِي شعر وَلَا فِي كَلَام: فَاسق. قَالَ: وَهَذَا عجب هُوَ كَلَام عَرَبِيّ وَلم يَأْتِ فِي شعر جاهلي"[٢]، وبذا يكون القرآن قد استعمل لفظة عربية في وصف الانسان لم تستعمل قبله، وهنا قد تحققت الإعلامية المطلوبة في النص بإحداث نوع من المفارقة باستعمال لفظة عربية مخزونة في ذاكرة العربي إلا أنه لم يستعملها في وصف الانسان ففيها "تبدو الأنماط المعروضة من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة ويستلزم الأمر قيام مستقبلي النص بالبحث في الدافعية... وسبب اختيارها واستيعابها المحدد في إطار الاستمرار الذي يؤلف الاتصال"[٣]، ومثل هذا متحقق في ألفاظ كثيرة في القرآن الكريم، إذ يتم اختيار الألفاظ لدعم إعلاميّة النص، وقد أشار البعض إلى أن "المدى الذي تكون فيه العناصر / المعلومات / داخل النص / معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها؛ فهي تمثل كفاءة إعلاميّة منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة؛ فتمثل كفاءة عالية الدرجة"[٤]، إنّ الاستعمال القرآنيّ للألفاظ يسير باتّجاه "إيجاد لنوع من العلاقة بين المعنى واللفظ، دون أن يكون للخصوصيّات، والمصاديق أيّ تأثير في نوع هذه العلاقة. وهذا التحليل اللغويّ لمفهوم الوضع يرتبط بالكثير من المفردات، كالتكلّم، والقدرة، والحياة، والعلم، والإرادة، والعظمة، وأمثال هذه المفردات"[٥].

فاستعمال الألفاظ يسعى إلى تحقيق معنىً مركزيّ تكون باقي المعاني هامشيةً بالنسبة إليه، ومنضويةً تحته، ومن ذلك مفردة (وسع) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٢ – ٧٣]، إذ جاء في التفسير أن "واسِعٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَهُوَ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ لَا مَحَالَةَ لِاسْتِحَالَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ فِي شَأْنِهِ تَعَالَى، وَمَعْنَى هَذَا الِاسْمِ عَدَمُ تَنَاهِي التَّعَلُّقَاتِ لِصِفَاتِهِ ذَاتِ التَّعَلُّقِ فَهُوَ وَاسِعُ الْعِلْمِ، وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، وَاسِعُ الْعَطَاءِ، فَسِعَةُ صِفَاتِهِ تَعَالَى أَنَّهَا لَا حَدَّ لِتَعَلُّقَاتِهَا، فَهُوَ أَحَقُّ الْمَوْجُودَاتِ بِوَصْفِ وَاسِعٍ، لِأَنَّهُ الْوَاسِعُ الْمُطْلَقُ.

وَإِسْنَادُ وَصْفِ وَاسِعٍ إِلَى اسْمِهِ تَعَالَى إِسْنَادٌ مجازي (...)، فَوَصْفُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنَّهُ وَاسِعٌ هُوَ سِعَةُ الْفَضْلِ لِأَنَّهُ وَقَعَ تَذْيِيلًا لِقَوْلِهِ: ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَأَحْسَبُ أَنَّ وَصْفَ اللهِ بِصِفَةِ وَاسِعٍ فِي

---

١) المفردات في غريب القرآن: ١ / ٦٣٧.

٢) مجمل اللغة : ١/ ٧٢١. ، وينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٥٠٢.

٣) مدخل إلى علم لغة النص: د. الهام أبو غزالة ود. علي خليل حمد: ١٩٠.

٤) نظرية علم النص : حسام أحمد فرج : ٦٦.

٥) تحليل لغة القرآن: ٣٠٧.

الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مُبْتَكَرَاتِ الْقُرْآنِ"[1]، ومما سبق يتّضح أنّ الاستعمال القرآنيّ للألفاظ في "الآيات القرآنيّة، وكلّ التعبيرات الموجّهة من قبل مخاطِب لمخاطَب تأتي لفائدة يصدر عنها فعل، أو ردّ فعل، وليستْ تذكرة بأمر معلوم، وخطاباً في غير فائدة"[2]، وبذا يكون النص الكريم قد وظف هذه اللفظة (واسع) بشكل مبتكر وفيه جدة في الاستعمال من خلال المجاز للرفع من إعلامية النص، والانتقال ممّا هو متوقع إلى ما هو غير متوقع من قبل المُخاطَب أو المتلقي.

٢- إيحائية اللغة على مستوى الجدة في اختيار التراكيب:

لما كان "الغرض الأصلي من وضع الكلم هو التركيب"[3]، فإن التفسير الدلالي لأي تركيب يقوم على معطيات مفرداته المؤلفة له وطريقة تأليفها، "وهو أَنَّ الألفاظَ المفردةَ التي هي أوضاعُ اللغةِ، لم تُوضَعْ لِتُعْرفَ معانيها في أنفسها، ولكن لأن يُضَمَّ بعضُها إلى بعض"[4]، ولأن التركيب أحد شقي سياق الخطاب الداخل في إيضاح الدلالة وتبيين المعنى وهو السياق اللغوي[5]، بل هو مركزها والحامل لها، لأن "التركيب "التركيب النحوي هو الوسيلة المباشرة التي أعدتها اللغة لنشوء المعنى الدلالي"[6].

وأن النحو هو العلم الذي يكشف لنا عن المعاني، وما المعاني إلا الألوان النفيسة المتباينة، التي ندركها من علاقات الكلام بعضه ببعض، ومن استخدام اللغة الذي يجعل من ارتباط بعضها ببعض نسيجاً حيّاً متشعباً من الصور والمشاعر[7]، وإن لكلّ لغة من اللغات قواعد يؤلّف الكلام على وفقها، وتنسج التراكيب، والتعابير بحسبها، فلا يخرج التركيب عن القواعد، ولا يُغيّر فيها إلاّ لمعنى يريده المتكلّم، أو أنّ سياق الحال يفرض عليه ذلك الخروج، أو الكسر تلك القواعد. وقد بُنيتْ قواعد اللغة العربيّة على معيارية صارمة ولكنّ هذه القواعد لم تكن مطّردة، لا في كلام العرب، ولا في النص القرآنيّ الكريم، فقد تتقدّم بعض العناصر على عناصر أخرى؛ لغايةٍ متحقّقة في النص، فيتغيّر بناء القاعدة النحوية في أثناء الكلام لغاية يحقّقها منشئ النص، وقد أظهر النصّ القرآنيّ استعمالات غير متوافقة مع قواعد النحو التي وضعها نحاة العربيّة، فكسرتْ بذلك أفق توقعهم (إعلاميتهم) في كون النص الكريم قد خالف قواعدهم الموضوعة على القياس، والمنطق، لا الاستعمال، والمعنى[8]. ومن مظاهر ذلك الخروج على القاعدة النحويّة، الذي أكسب النصّ الكريم مزية الإعلاميّة على مستوى تركيب الكلام:

---

١) التحرير والتنوير: ٣ / ٢٨٤.
٢) التلقي والتأويل، مقاربة نسقيّة: ٣٥ – ٣٦.
٣) مفتاح العلوم: ١ / ١٤١.
٤) دلائل الإعجاز: ١ / ٤٢٣.
٥) ينظر: استراتجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٤٢.
٦) نظام الربط والارتباط في تركيب الجملة العربية: مصطفى حميدة: ١٣١.
٧) ينظر: أبحاث في بلاغة القرآن الكريم: محمد كريم الكواز: ٩٩.
٨) ينظر: نحو القرآن: ٧ – ١٠.

الجملة الاعتراضية:

وقد عرّفها البعض أنها الجملة التي "تفيد تَأْكِيدًا وتسديدا لِلْكَلَام الَّذِي اعترضت بَين أَجْزَائِهِ و(...)، أَن تكون مُنَاسبَة للجملة الْمَقْصُودَة بِحَيْثُ تكون كالتأكيد أَو التَّنْبِيه على حَال من أحوالها"[١]، ولا تأتي إلا بين الجزأين المنفصل بعضهما عن بعض، المقتضي كل منهما الآخر، أي: تأتي لتفصل بين المتلازمين لتفيد معنى دلالياً، ولتقوية وتبيين المعنى أو توضيحه[٢]، وأن الجملة الاعتراضية ترتبط ارتباطاً تركيبياً بالجملة المفصولة[٣].

وقد أشار ابن جني إلى قيمة الاعتراض بقوله: "اعلم أن هذا القبيل من العلم قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد فلذلك لا يشنع عليهم ولا يُستنكر عندهم أن يُعترض به بين الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره، وغير ذلك"[٤]، و"لا يكون الاعتراض إلا لغرض عند المتكلم كالدعاء، وكتهييء نفس المخاطب لقبول ما بعده"[٥]، ومن بين أهم الوظائف التي تؤديها الجملة الاعتراضية هي وظيفة الإعلامية، أو الإخبارية من خلال تمتين العلاقة التواصلية بين منتج النص والمتلقي، عبر ربط كل جزء لغوي بالغرض الفعلي منه أثناء الاستعمال لتكوين علاقة تواصلية تؤدي إلى لفت انتباه المتلقي وشده تجاه مقاصد النص إذ بدخوله في التركيب المُعترَض يُحدث فيه خلخلة وانكسارا وانتهاكا للروابط التي تقتضيها معايير النحو وهذا الانتهاك يجعل للغة قواعد ودلالات جديدة نابعة من صميمها تعدُّ انزياحا عن تلك المعايير والقاعدة العامة، وانحرافا عن الأصل، بخرقها للمألوف[٦]. ومما سبق يتبين موقع وأهمية الاعتراض في النصوص التي يرد فيها، ومن أمثلة ذلك في جملة التذييل في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٤- ١٤٥]، إذ جاء التذييل من خلال جملة اعتراضية وهي قوله تعالى: (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)، "تَذْيِيلٌ إِجْمَالِيٌّ لِيَأْخُذَ كُلٌّ حَظَّهُ مِنْهُ وَهُوَ اعْتِرَاضٌ بَيْنَ جُمْلَةِ: وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا وَجُمْلَةِ: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ"[٧]، وهو "اعتراض بين الكلامين جيء به للوعد والوعيد للفريقين من أهل الكتاب الداخلين تحت العموم السابق المشار إليهما"[٨]، والاعتراض هنا واقع بين

---

١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي: ٢ / ٣٢٧.
٢) ينظر: موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب: خالد الأزهري: ١ /٥٥.
٣) ينظر: الجملة في القرآن الكريم: رابح بو معزة: ٩٥.
٤) الخصائص: ١ / ٣٣٦.
٥) الموجز في قواعد اللغة العربية: سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني: ١ / ٤٠٠.
٦) ينظر: البنى الإسلوبية، دراسة في انشودة المطر للسياب: حسن ناظم: ٤٤.
٧) التحرير والتنوير: ٢ / ٣٥.
٨) روح المعاني: ١ / ٤٠٩.

متعادلين "فَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ لِقَوْلِهِ: فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَتَكُونُ مِنْ بَابِ الِالْتِفَاتِ. وَوَجْهُهُ أَنَّ فِي خِطَابِهِمْ بِأَنَّ اللهَّ لَا يَغْفَلُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، تَحْرِيكًا لَهُمْ بِأَنْ يَعْمَلُوا بِمَا عَلِمُوا مِنَ الْحَقِّ، لِأَنَّ الْمُوَاجَهَةَ بِالشَّيْءِ تَقْتَضِي شِدَّةَ الْإِنْكَارِ وَعِظَمَ الشَّيْءِ الَّذِي يُنْكَرُ (...)، فَهُوَ إِعْلَامٌ بِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى لَا يُهْمِلُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَلَا يَغْفَلُ عَنْهَا، وَهُوَ مُتَضَمِّنٌ الْوَعِيدَ"[1]، وقد نبه البقاعي على الإعلامية في هذا التذييل بقوله: " فيه إنباء بتماديهم على سوء أحوالهم في رتبتين: في متماد على سوء هدد فيه لما أقبل عليه، وفي متماد على أسوأ منه أوجب في تهديده الإعراض عنه"[2]. وبذلك يكون التذييل قد حقق إعلامية مرتفعة في النص الكريم كونه كسر أفق التوقع في التركيب اللغوي من خلال جملة الاعتراض.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۝١٠ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: ٩- ١٢]، فقد ذهب ابن عاشور في هذا النص إلى أنه: "اعْتِرَاضٌ وَتَذْيِيلٌ، وَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ، وَمُنَاسَبَةُ مَوْقِعِهِ عَقِبَ قَوْلِهِ: اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهَّ ثَمَناً قَلِيلًا [التَّوْبَة: ٩] أَنَّهُ تَضَمَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِآيَاتِ اللهَّ وَنَبَذُوهَا عَلَى عِلْمٍ بِصِحَّتِهَا (...)، فَكَانَ قَوْلُهُ: وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ جَامِعًا لِلْحَالَيْنِ، دَالًّا عَلَى أَنَّ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةَ آنِفًا فِي قَوْلِهِ: اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهَّ ثَمَناً قَلِيلًا [التَّوْبَة: ٩] آيَاتٌ وَاضِحَةٌ مُفَصَّلَةٌ، وَأَنَّ عَدَمَ اهْتِدَاءِ هَؤُلَاءِ بِهَا لَيْسَ لِنَقْصٍ فِيهَا وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا يَهْتَدِي بِهَا قَوْمٌ يَعْلَمُونَ، فَإِنْ آمَنُوا فَقَدْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[3]، وبذا يكون النص قد حقق حقق إعلامية على مستوى التركيب النحوي من خلال جملة الاعتراض وقد دخل هنا في حركة توافقية متنامية مع معنى التركيب للتركيز على أن تكون الأخوة في الدين.

فيُلحظ مما سبق أن الاعتراض أسلوب عدولي عن أصل الكلام، لأن في "الأصل في الكلام أن يكون متصلا لأن العلاقات النحوية (...) تتجلى من خلال الاتصال"[4]، لكن ضرورة أسلوبية أباحت هذا العدول فتحقق بذلك اتساق وانسجام دلالي في ذات الوقت بين الجملة الاعتراضية والتركيب الذي ترد فيه وبالتالي قد حقق جدة واضحة وخرج للرتابة التركيبية مما جعل الإعلامية تكون مرتفعة من خلاله.

---

١) البحر المحيط: ٢ / ٢٥ - ٢٦.

٢) نظم الدرر: ٢ / ٢٢١.

٣) التحرير والتنوير: ١٠ / ١٢٨.

٤) البيان في روائع القرآن: ٢ / ١١٧.

النتائج

كما بدأ البحث بحمد الله والصلاة والسلام على أشرف خلقه، كذلك يكون المنتهى؛ في ختام ما تقدّم يرى الباحث أنّه لابدّ من ذكر ما مر به البحث من مراحل و ما توصل إليه الباحث؛ فقد حاول البحث أن يقدّم جانبا من الدرس اللغويّ المعاصر، وهو الجانب الذي تناول النصّ، متجاوزاً حدود الجملة المفردة، مبرزاً العلاقات التي تربط مجاميع الجمل في النصّ الواحد.

عَرَّض البحث لمفهوم من المفاهيم التي قدّمت في هذا الحقل من الدراسات اللغويَّة، ألا وهو مفهوم (التذييل)، ذلك المبحث الدلاليّ الذي يجعل من الجمل المكونة للنصّ متماسكة يحيل بعضها على بعض وتغدو في معناها كالجملة الواحدة، إذ هو إما مؤكد لمفهوم النص أو منطوق النص المُذيَل. وقد قارب بين مفهوم التذييل ومفهوم النصّ، وبيّن معنى هذين المفهومين، كما بيّن مفهوم النصّ ودور معاييره ووسائله في ترابط النصّ. من ثَمّ طبق البحث المعايير النصّيّة على جملة التذييل في القرآن الكريم في السور السبع الطوال من خلال إضاءةِ بعض النصوص الكريمة برؤى تلك المعايير لبيان طائفة من المعاني والافكار وايضاحها في النص الكريم فوجد ما يأتي:

❖ إنّ الجملة التذييلية متلائمة دلالياً مع السياق الذي ترد فيه والجو العام للآية المَذيَلة وموقعها ذو أثر بالغ في تحديد المعنى عبر ارتباطها بالبنية النصّية الكلية للنص المُذيَل ومن هنا يتبيّن أنها مظهر من مظاهر تماسك النص القرآني.

❖ إنّ ثمة توافقاً بين جمل التذييل مع مفهوم النص في الدراسات النصيّة، بخلاف ما ذهب إليه السابقون من أن جملة التذييل جملة مستقلة والغرض منها توكيد الكلام السابق لها بل هي ترتبط معه بوشائج نصيّة كثيرة وتشكل معه نصّاً، لذا صحّ دراستها في ضوء نحو النص.

❖ تأتي جملة التذييل في هذه الآيات تأكيداً وتحقيقاً وتقريراً لما سبقها من الأحكام والتشريعات والتنظيمات الاجتماعية، والفقهية، والجهادية فـي السـور المدنية، والحث علـى العقيدة والجهاد في السور المكية بما ينسجم مع السياق العام لها.

❖ لم تكن نصوص التذييل على مستوى واحد من حيث الموقع، فهي تأتي في نهاية النص المُذيَّل وتأتي في وسطه وتأتي في بدايته وتكون في بعض الأحيان آية برأسها تقصر وتطول حسب موضوع النص والغرض الذي سيقت له والجو العام للنص، وغالباً ما كان التذييل لنصوص طويلة يربطها موضوع معين، تُذيَّل بآية أو آيتين، فكان وسيلة مساعدة على إقناع الناس بوجه وآخر، إذ كان لابدّ من الإلحاح على الفكرة، وكأن تلك النصوص بمثابة الحجج والأدلة والبراهين، من حيث بيان الأسباب الموجبة والتعليل ونحوها.

❖ إنّ وظيفة وسائل التماسك النصي في جمل التذييل لم تكن وظيفة فنية بقدر ما هي وظيفة تواصلية قُصِدَ من ورائها التأثير في المتلقي وإيصاله إلى درجة من الفهم لمقصود النص.

❖ تبين من البحث فعالية عناصر الاتساق (النحوي، والمعجمي) في أثناء التحليل النصي، فهي تعين على الفهم، وترابط أجزاء النص مع جملة التذييل من بدايته إلى نهايته.

❖ شغلت الإحالة النصية الداخلية في جمل التذييل في القرآن الكريم مجالاً أوسع مما شغلته العناصر الأخرى، وتبيّن أنّها تخدم النصية بإزالة الإبهام واللبس عند المتلقي من ربط الأخير بين المواقف داخل النص وربطها بعالمها الخارجي مما يضمن للنص تماسكه وترابطه.

❖ تبين أنّ الاستبدال يُسهم في الترابط النصي ويشمل المستوى النحوي والمعجمي بين مفردات أو عبارات، وما يتم ذلك إلا من خلال الأثر الذي يقوم به الاستبدال في اتساق النص ومن خلال العلاقة بين العنصر المستبدل والعنصر المستبدل به، واستمراره فيه، فضلاً على أنّها تنشأ بينهما علاقة تقابل، التي هي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق في النص، والاستغناء عن إعادة وحدات نصية سابقة، وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق (تركيب نحوي) في النص وعنصر لاحق فيه. فتأويل أحدهما وفهمه يتوقف على الرجوع إلى العنصر الآخر، وعلى أساس ذلك يغدو الاستبدال عنصراً مهماً في اتساق نصوص التذييل.

❖ يؤدي الاستبدال إلى الإيجاز ومن ثَمَّ تيسير المعنى وتقريبه للقارئ، ويهدف إلى توليد الجمل في الإطار القرآني بإحلال عنصر لغوي مكان آخر مما يؤدي إلى تغيير في البنية الشكلية في العبارات، وأنه يحقق تنويعاً في الشكل على مستوى الاسمي، والفعلي، والقولي ويسهم في تحقيق الترابط والتواصل النصي.

❖ أدى الحذف بُعداً تدولياً في جملة التذييل فهو جزء من عملية الفهم والتفسير التي عن طريقها يتّم التفاعل بين طرفي العملية التواصلية، والابتعاد عن قراءته على وفق التقعيدات النحوية التي دفعت بعض الباحثين أن ينظروا إلى أساليب من الحذف تبدو، لكثرة دورانها ومعرفتها مبتذلة، ويظهر الأثر الذي يقوم به الحذف في جمل التذييل يؤدي إلى تحقيق الترابط النّصّي في الآيات السابقة من إثارة الذهن في تقدير المحذوف وملء الفراغات في النّصّ مما ينتج عنه تكرار واضح بين الدليل المذكور سواء كان لاحقاً أو سابقاً وبين العنصر المحذوف، والمرجعيّة العائدة إلى المذكور، يلمس معها المتلقي ترابطاً واتساقاً واضحاً بين جمل النّصّ.

❖ إن بناء النص في ضوء عنصر التكرير يحمل طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير، مما يؤكد الأثر الذي يتركه التكرير في الدلالات الدينية والاجتماعية فإن اللفظ المكرر وإن كان بسيطاً فإنه يحظى عبر التكرار بقوة دافعة.

❖ يتبين من دراسة الاتساق المعجمي علاقة الربط بين جملة التذييل والنص الذي ترد فيه، من خلال علاقة التلازم الذكري أو الارتباط بموضوع معين بين العناصر المعجمية المحققة للاتساق المعجمي وكونه احد عناصر الاتساق النصي وله دور واضح في الربط الشكلي بين عناصر النص، إذ إن المصاحبة المعجمية لها أثر كبير في تحديد مفهوم كثير من الألفاظ، والتراكيب القرآنية التي لا يمكن أن يتوصل إلى فهم دلالتها من النص القرآني إلا عن طريق مصاحبتها مع اللفظة المجاورة لها في السياق، فهي تقترب من الإحالة البعدية التي لا يتم معناه إلا بالنظر لما بعدها.

❖ يعد الانسجام معياراً مهماً من المعايير التي يتم توظيفها في فهم نصوص التذييل من خلال التمثل الدلاليّ للنص، ومن أبرز مظاهره التي أغلبها علاقات ضمنية، عملت بين القضايا على بناء موضوع النصوص، فالانسجام مرتبط بالبنية الكلية للنص وموضوعه الأساس، كذلك يتجاوز إلى الحكم بالانسجام بين مجموعة من النصوص التي تتسم بوحدة الموضوع.

❖ إنّ العلاقات الدلالية المفهومية ذات قيمة في ترابط نصوص التذييل؛ إذ إنها علاقات تبدأ في مستوى دلالي مفهومي مستمر، فترتبط المعاني والمفاهيم بعضها ببعض، لتصل إلى حقيقة البنية العميقة من وراء الترابط الشكليّ للنَّص، وعن طريق المعلومات في الخطاب، لتحقق هذه العلاقات تواصلاً، يُبنى فيها اللاحق على السابق، فتجمع بين أطراف النَّص وتربط متوالياته من دون ظهور وسائل شكليّة، فهي تتعدى التَّرابط الشكليّ إلى ما هو أبعد في بنية النَّص العميقة.

❖ أشار البحث إلى علاقة معنويَّة مهمة، وهي "المناسبة" بين سور القرآن الكريم وآياته، فكان علم المناسبة في القرآن الكريم، يقوم على إيجاد شبكة من الروابط بين عناصر النص القرآني، وهي مما لم يشر إلى مثيلتها النصّيّون في وسائلهم النصّية، وأن المناسبة قد شكلت نقطة ارتكاز واضحة تلتقي حولها منظومة نصية تشكل انسجام النص القرآني والكشف عن العلاقات والبنى النصية الكبرى التي تشكل نصية القرآن وتجعله كلاً آخذاً بعضه بأعناق بعض، ما أدى إلى قراءة نصية واعية للقرآن الكريم لا تختلف كثيراً عما يفعله الباحثون في علم اللغة النصي، إذ لا يمكن قراءة سور القرآن الكريم على أنها آيات منفصلة أو أنْ تُقرأ بعزل بعضها عن بعض، وإنما تقرأ على أنها نصوص، فالخطاب القرآني نزل على هيأة نصوص، والآيات القرآنية نفسها نصوص، فهي تحمل عنواناً موجّهاً من منشئ إلى متلقٍ ذات قصدية وغرض محدد لا يمكن الوقوف عليه إلّا بقراءة متأنية للنص وما يحيط به من ملابسات في عالمه الخارجي، هذا ما طُبق على موضوع الدراسة (جملة التذييل في القرآن الكريم).

❖ وُظِف السياق بنوعيه في تحليل الآيات والكشف عن معانيها ثم أن اعتبار المفسرين السياق منهجا عاما في تفسيرهم للقرآن الكريم جعلهم يوظفونه في فهم جمل التذييل ودلالات ألفاظها وتراكيبها.

❖ تعدّ القصدية المعيار المهيمن على كل المعايير النصيّة، فلكل لفظة هناك قصد في اختيارها، وكل تركيب يَذكر، وكل نص يوجه لا يخلو من القصدية التي يراد للنص تحقيقها، بأساليب لغوية منها التعريف والتنكير والعدول وغير ذلك، وأن معيار القصدية أشبه بالعمود الفقري للنص ناهيك عن أن النص أو منشئ النص يستعمل كافة الوسائل اللغوية وغير اللغوية التي تخدم مقاصده وتحققها، إذ إنه أنشأ النص من أجلها، ولا مبالغة إذا ما قيل أن كل المعايير النصية تُعدّ أدوات ووسائل لتحقيق القصدية في النص، فإنه قد يختل أو يتخلف أحد معايير النصية ويتحقق قصد منشئ النص إلا أنه لا يمكن أن تتحقق النصية في أي نص ما لم تكن فيه قصدية.

❖ كان استعمال النصّ القرآنيّ للمفردات اللغويّة العربيّة استعمالاً خاصّاً، فكان مظهراً من مظاهر الإعلاميّة في مستوى المفردات، والتراكيب في جملة التذييل، إذ وظف النصّ الكريم المفردات

والتراكيب على غير ما تعارف عند العرب، فكان أن طغى الاستعمال القرآنيّ، وقد وظّف النصّ القرآنيّ الكريم الجملة الاعتراضية؛ لكسر أفق توقّع القرّاء / المتلقين في الأحداث التي تشتمل عليها القصة، خاصّة إذا علمنا أنّ القصة القرآنيّة قصة واقعيّة لأحداث ماضية، وحتميّة الوقوع للأحداث المستقبليّة، فكان ذلك سبباً في رفع مستوى الكفاءة الإعلاميّة للنصّ. هذه أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

فإن وفِّقتُ في ذلك فللّه الحمد والشكر والثناء، وإن ذلك منتهى الغاية والسؤل، وإن قصَّرتُ، فللّه وحده ـ جل ثناؤه ـ الكمالُ.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- أبحاث في بلاغة القرآن الكريم : محمد كريم الكواز ، الانتشار العربي ، ط١، ٢٠٠٦م.
- الإبداع الموازي – التحليل النصي للشعر ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع ، القاهرة ٢٠٠١م.
- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ط١، دار نوبار للطباعة، شركة ابو الهول للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م.
- الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة : مارسليو داسكال ، ترجمة :حميد لحمداني
- إتجاهات لغوية معاصرة، د. سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع ٣٨، الموافق ١٠ رمضان ١٤٢١ه/ ديسمبر ٢٠٠٠م.
- الاتساق النصي في الخطاب الأدبي : يمينة جدرة ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة / الجزائر .
- الاتساق في العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، (رسالة ماجستير)، جبار سويس حنيحن الذهبي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- الاتساق والانسجام في القرآن : مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م.
- الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوستة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٩هـ ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨م – ٢٠٠٩م.
- الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم ، فاطمة زايدي،(اطروحة دكتوراه) الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة ، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٢-٢٠١٣م.
- الاتساق والانسجام في قصيدة مديح الظل العالي : غنية لوصيف ، (رسالة ماجستير) ، معهد اللغات والادب العربي ، الجزائر ، ٢٠٠٩م.
- الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطيّ – ضبطه وصحّحه وخرّج آياته : محمد سالم هاشم – ط ٢ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٤٢٩ هـ .
- أثر التكرار في التماسك النصيّ مقاربة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- اثر السياق في بنية الآيات المنتهية بأسماء الله الحسنى ، د. هانم محمد حجازي، مكتبة الاداب ، ط١، القاهرة، ٢٠١٣م.
- أثر السياق في فهم النص القرآني ،عبد الرحمن بو درع ، مجلة الإحياء المغربيّة، عدد/ ٢٥، جمادي ٢، ١٤٢٨هـ- يوليو ٢٠٠٧م.
- أثر النحو في تماسك النص،عابد بوهادي، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد: ٤٠،العدد:١،السنة:٢٠١٣ م .
- أثر عناصر الاتساق في تماسك النص : محمود سليمان الهواوشة ، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٨م.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـــ

(م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م- ٢٠٠٦م.

- الإحالة في القرآن الكريم من خلال التحرير والتنوير : الزهرة توهامي، (رسالة ماجستير)الجزائر ، كلية الاداب و اللغات ، جامعة آكلي محند أو لحاج البويرة ، ٢٠١٠- ٢٠١١م .
- الإحالة في القرآن الكريم، د. عباس علي الأوسي، ط١، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي، د.ط.، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د.ت.
- أدعية الصحيفة السجاديّة ، دراسة في ضوء علم اللغة النصيّ – منتهى عناد تمل الموسويّ – أطروحة دكتوراه – كلية التربية للعلوم الإنسانيّة – جامعة البصرة – ٢٠١٤ م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشريّ ، قراءة وضبط وشرح : محمد نبيل طريفي ، ط ١ ،دار صادر – بيروت ، ١٤٣ هـ - ٢٠٠٩ م .
- الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام – القاهرة، ط٦، ١٤٢٤ هـ .
- أساسيات علم لغة النص مدخل إلى فروضه ونماذجه وعلاقاته وطرائقه ومباحثه: كلماير وآخرون، ترجمة سعيد حسن بحيري ،الناشر مكتبة زهراء الشرق،القاهرة – مصر،ط ١ ، ٢٠٠٩م.
- أساليب العطف في القرآن الكريم ، مصطفى حميدة ، مكتبة ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر ــ لونجمان ، بيروت ــ لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م.
- أسباب النزول – محمد بن علي الواحديّ النيسابوريّ – ضبطه وصحّحه : محمد عبدالقادر شاهين – ط ٢ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: ه. ريتر، (د. ط.)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. محمد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- أسس لسانيات النص، مارغوت هاينمان وفولفغنغ هاينمان، تر: أ. د. موفق محمد جواد المصلح، ط١، دار المأمون، بغداد، ٢٠٠٦م.
- الإسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان، د.ط.، الدار الفنية للنشر والتوزيع،١٩٩٠م.
- إسهامات أساسيّة في العلاقة بين النصّ والنحو والدلالة ، – مجموعة مؤلفين – نقله إلى العربيّة وعلّق عليه : سعيد حسن بحيريّ – ط١ – مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – القاهرة – ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م .
- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي ، مكتبة ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر، بيروت ــ لبنان .
- إشكالات النصّ - ، دراسة لسانية نصّية – جمعان بن عبدالكريم – ط ١ – النادي الأدبيّ ،

والمركز الثقافيّ العربيّ – الرياض ، والدار البيضاء – ٢٠٠٩ م .
- اصول البيان العربي ، د. محمد حسين الصغير ،مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
- أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، (رسالة ماجستير)، عبد الخالق فرحان شاهين، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- الإطناب في القرآن الكريم : انماطه ودلالاته ، وفاء فيصل اسكندر محمد، أطروحة (دكتوراه)كلية الاداب جامعة الموصل ، ٢٠٠٣م.
- إعجاز القرآن – أبو بكر الباقلانيّ – تحـ: محمود محمد مزروعة – ط ١ – مكتبة كنوز المعرفة – جدّة – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ .
- الإعجاز والإيجاز ، عبد الملك بن منصور الثعالبي ، تح : محمد آل تونجي ، دار النفائس، ١٩٩٢م .
- إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، محيي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار كثير، دمشق، بيروت، ط١٠، ٢٠٠٩م.
- الإعلاميّة في الخطاب القرآنيّ ، دراسة في ضوء نظرية التواصل – زهراء جياد عباس البرقعاويّ – أطروحة دكتوراه – كلية الآداب – جامعة الكوفة – ٢٠١٤ م .
- أمالي القالي : أبو علي القالي إسماعيل بن القاسم ، (المتوفى: ٣٥٦هـ) ،عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية ،ط٢، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م .
- الأمثال في القران الكريم ، د. محمد جابر الفياض ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، [١٤٠٩ هـ]-١٩٨٨م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار النشر لمدرسة الإمام علي عليه السلام، ط١، ١٤٢٦ق- ١٣٨٤ش.
- الانسجام النصي في القرآن الكريم ، رحيم مجيد راضي ، (رسالة ماجستير) ، جامعة ذي قار – كلية الآداب ، ٢٠١٤م.
- الانسجام النصي وأدواته، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٨، ٢٠١٢م.
- الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور انموذجاً)، (أطروحة دكتوراه)، نوال لخلف، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧م.
- الانسجام في النص القرآني (مظاهره وجمالياته)، (أطروحة دكتوراه)، عبد الله خليف خضير عبيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،تحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط: ١ - ١٤١٨ هـ
- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تح: شاكر هادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٨م – ١٩٦٩م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن

هشام الانصاري (ت٧٦١ هـ) ، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحـ أوضح المسالك تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا – لبنان ،د،ط،ت.

- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- البحر المحيط في التفسير – أبو حيان الأندلسيّ – اعتنى به : صدقي محمد جميل – (د . ط) – بيروت – ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- البديع في البديع – في نقد الشعر – تأليف اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ (ت ٥٨٤هـ) حققه وقدم له عبد علي مهنا – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط ١ – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
- براءة آدم حقيقة قرآنية ، السيد جعفر مرتضى العاملي ،سلسلة الكتب المؤلفة في رد الشبهات،إعداد مركز الأبحاث العقائدية.
- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
- بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية : يوسف بديدة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الحاج لخضر ــ باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩ م .
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر ،ط: ١، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية – المعاني والبيان والبديع - ، د٠ أحمد مطلوب ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الجويني، د. ط.، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية .
- البلاغة العربيّة، البيان البديع، د. ناصر حلاّوي ود. طالب محمد الزوبعي، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩١م.
- بناء الجملة العربية:محمد حماسة عبد اللطيف ،دار غريب للطباعة والنشر،٢٠٠٣م.
- البنى الإسلوبية ، دراسة في انشودة المطر للسياب : حسن ناظم ، د ط، ١٩٩٥م .
- بنية العقل العربي، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٦م.
- البيان في روائع القرآن ، د. تمام حسان، دراسة لغوية وأسلوبيه للنص القرآني ، طبعة خاصة صدرت عن دار عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٢ م .
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مطبعة المدني، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)،تحـ: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التبيان في المعاني والبديع والبيان – شرف الدين بن محمد الطيبيّ – تحـ : هادي عطية الهلاليّ – ط ١ – عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربيّة – بيروت – ١٩٨٧ م .
- التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسيّ ، تحـ : أحمد حبيب قصير العامليّ ، ط : ١ ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- تحديث النحو العربي ،موضة أم ضرورة ، أحمد خالد، مكتبة الآداب ، القاهرة .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تحـ: د. حنفي محمد شرف، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة أحياء التراث الإسلامي، (د. ط.)، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ .
- تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص ،د. فايز الكومي، بحث منشور في مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات – العدد الخامس والعشرون (٢) – أيلول ٢٠١١م .
- تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش، (رسالة ماجستير)، فتحي رزق الخوالدة، جامعة مؤتة، ٢٠٠٥م.
- تحليل الخطاب في الدراسات الإعلامية، صفاء صنكور، دراسة في الأسس النظرية؛ رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة؛ جامعة بغداد، ١٩٩٦م.
- تحليل الخطاب، بروان ويول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، د.ط.، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، ١٩٩٧م.
- التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- تحليل لغة القرآن وأساليب فهمه – محمد باقر سعيديّ لوشن – ترجمة : علي عباس الموسويّ – ط ١ – دار الولاء – بيروت – ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م .
- التذييل في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ،سورة البقرة انموذجا، فاطمة الزهراء معزوز، رسالة (ماجستير)، الجزائر .
- الترابط النصّي بين الشعر والنثر، د. زاهر بن مرهون الداودي، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.
- الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني ، دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص ، رسالة ماجستير : عيدة مسبل العمري ، كلية الآداب ن جامعة الملك سعود، ١٤٣٠ هـ.
- الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب : خليل بن ياسر البطاشي ،ط١ ، دار جرير ،عمان ـــ الاردن ، ٢٠١٣ م.
- التطور الدلاليّ بين لغة الشعر ولغة القرآن – عودة خليل أبو عودة – ط ١ – مكتبة المنار – الأردن – ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

- التعريفات ،علي بن محمد الجرجانيّ ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت – ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- تفسير ابن عجيبة : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الفاسي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ط: ١٤١٩ هـ
- التفسير البسيط : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، تحـ: أصل تحـه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه ،الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ط: ١ ، ١٤٣٠ هـ.
- التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني: سامي وديع عبد الفتاح ، الناشر: دار الوضاح، الأردن – عمان.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، تحـ: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط: ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن بالقرآن، نشأته وتطوره، د. كاصد الزيدي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد (١٢)، ١٩٨٠م.
- التفسير الكبير : مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: ٣، - ١٤٢٠ هـ .
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)،تحـ: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: ١.
- تفسير من وحي القرآن ، دراسة في ضوء علم اللغة النصيّ – مؤيد عبيد صوينت – رسالة ماجستير – كلية الآداب – الجامعة المستنصريّة – ٢٠٠٦ م .
- تفصيل آيات القرآن الحكيم : چول لابوم : ترجمة : محمد فؤاد عبد الباقي : ٢٣٩.
- التكرار، د. حسين نصّار، ط١، الشركة الدولية للطباعة، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، د. محمد مفتاح، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
- تماسك النص ، الأسس والأهداف ، د. حسن محمد عبد المقصود ، مركز تنمية العلوم واللغات- جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، كلية التربية- جامعة عين شمس، مصر.

- التماسك النصي في ديوان أغاني الحياة ، لأبي القاسم الشابي - دراسة أسلوبية ، كريمة صوالحية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات – جامعة الحاج لخضر- باتنة ، الجمهورية الجزائرية ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ،مؤسسة التمهيد ، ط١، ٢٠٠٧م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحـ: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: ١، ٢٠٠١م .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحـ: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحـ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحـ: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- جمالية الخطاب في النص القرآني : د. لطفي فكري الجودي ، مؤسسة المختار للنشر،ط١، ٢٠١٤م.
- الجملة في القرآن الكريم ،صورها وتوجهها البياني، رابح بو معزة ، دار ومؤسسة رسلان ،٢٠٠٨م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحـ: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط: ١ - ١٤١٨ هـ .
- الجيم: أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء (المتوفى: ٢٠٦هـ)، تحـ: إبراهيم الأبياري ،راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- حاشية الصبان على شرح الأشمونيّ – محمّد بن عليّ الصبان – تحـ : محمود بن الجميل – ط ١ – مكتبة الصفا – القاهرة – ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- حبك النص (منظورات من التراث العربي)، محمد العيد، مجلة الدراسات اللغوية، م٣، ع٣، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الحجاج في القرآن ، عبد الله صولة ،منشورات كلية الآداب ، جامعة منوبة ، تونس ، ط١ ،١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابر ماس ، محمد نور الدين أفايا، أفريقيا الشرق ، ط١ ، ١٩٩١م.
- الحذف البلاغي في القران الكريم ، الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مصطفى عبد السلام أبو شادي ، مكتبة القرآن الكريم للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة (د.ط) (د.ت).
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجه الحموي ، شرح: عصام شعيتو ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. محمد محمد أبو موسى، ط٤،

أميرة للطباعة، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
• الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمي، مطبعة دار الكتب المصرية، د. ط.، ١٣٧٦هـ/ ١٩٧٥م.
• الخطاب القرآني ،دراسة في العلاقة بين النص والسياق ، خلود العموش، عالم الكتب الحديث،ط١ ، ٢٠٠٨م.
• الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، د. عبد الله الغذامي، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
• خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د. تمّام حسّان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
• دراسات لغويّة تطبيقيّة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ، (د. ط)، (د. ت) .
• الدرس النحويّ النصيّ في كتب إعجاز القرآن الكريم، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم، د.ط.، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
• دلالات التراكيب : دراسة بلاغية ، د. محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
• دلالة السياق – ردّة الله الطلحيّ – ط ١ – جامعة أم القرى – مكة المكرّمة – ١٤٢٤ هـ .
• دلالة السياق في القصص القرآني ، د. محمد عبد الله علي العبيدي ، وزارة الثقافة ، اليمن – صنعاء، ٢٠٠٤م.
• دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دار عمار للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١، ١٤٠٩هـ
• الدلالة السياقيّة عند اللغويين – عواطف كنوش المصطفى – ط ١ – دار السياب – لندن – ٢٠٠٧ م .
• الدلالة في البنية العربية بين السياق اللفظي والسياق الحالي :الدكتور كاصد ياسر الزيدي ، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل ، العدد السادس والعشرون ، ١٩٩٥م .
• الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ت.
• دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، ط٣، مطبعة المدني، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
• الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل،الدكتور:علي جميل سلوم والدكتور : حسن نور الدين، دار العلوم العربية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٠م.
• دور السياق في الترجيح بين الأقاويل محمد اقبال عروي ، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، ط١، الكويت ن ٢٠٠٧م.
• دور الكلمة في اللغة : ستيفن اولمان ، ترجمه وقدَّم له وعلَّق عليه: كمال بشر، الناشر مكتبة الشباب ، القاهرة،١٩٨٨ م.
• دينامية النصّ (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م.

- الربط حروفه ومعانيها في الأبنية اللغوية ، د. نعيمة سعدية، جامعة محمد خيضر – بسكرة بحث منشور على شبكة الأنترنيت .
- الربط في الجملة العربية ، عبد الخالق زغير عدل، ، د.ط ، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- رسائل الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ه) ، تحـ وشرح :عبد السلام هارون، الناشر مكتبة الخانجي ،القاهرة – مصر،ط ١ ١٣٩٩ ه-١٩٧٩ م.
- الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النّص): ورود سعدون، اطروحة (دكتوراه) جامعة القادسية / كلية الاداب ، ٢٠١٦م.
- الرصف وعلم لغة النص ، د. خليل محمد سعيد ،و زينب عادل كعيد، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب ، العدد السابع – السنة ٣، ، ٢٠١٢م.
- روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ،دار الفكر – بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى:١٢٧٠هـ)، تحـ:علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،ط: ١، ١٤١٥هـ .
- الروض المريع في صناعة البديع، ابن البنّاء المراكشي، تحـ: رضوان بنشقرون، دار النشر المغربيّة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.
- السبك النصي في القرآن الكريم (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، (رسالة ماجستير)، أحمد حسن حيال، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- السبك في العربيّة المعاصرة بين المنطوق والمكتوب – محمد سالم أبو عفرة – ط ١ – مكتبة الآداب – القاهرة – ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- سرّ الفصاحة – ابن سنان الخفاجيّ – قدّم له ووضع حواشيه : إبراهيم شمس الدين – ط ١ – كُتاب ناشرون – بيروت – ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م .
- سورة البقرة ، دراسة في ضوء علم لغة النص – خالد سعد جبر – رسالة ماجستير – كلية التربيّة ، ابن رشد – جامعة بغداد – ٢٠١٢ م .
- السياق (المفهوم ،المنهج ، النظرية) ، طه جابر العلواني ، مجلة الإحياء ، عدد ٢٦.
- السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، عبد الفتاح محمود المثني، (رسالة ماجستير) جامعة اليرموك ، ٢٠٠٥م.
- السياق القرآني وأثره في التفسير ، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن عبد الله المطيري ، (رسالة ماجستير) كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٨م.
- السياق وأثره في المعنى ، المهدي ابراهيم الغويل ، أكاديمية الفكر الجماهيري ، طرابلس ، ط١ ، ٢٠٠١م .
- السياق ودلالته في توجيه المعنى ، فوزي ابراهيم عبد الرزاق، (رسالة دكتوراه) كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٦م.

- سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة ، رشيد الإدريسي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م.
- سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، د.ط.، أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م.
- شرح الرّضيّ على الكافية، محمد بن الحسن الرّضيّ الأستراباذي (ت ٦٨٦ه)، تح: يوسف حسن عمر، ط٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، (د. ت.).
- شرح الكافية الشافية، ابن مالك الطائي الجياني ، حققه وقدم له : د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث ، ط١ ، ١٩٨٢م.
- شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣ه)، د.ط.، المنيرية، القاهرة، مصر، د.ت.
- شرح جمل الزجاجي: أبو حسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، قدَّم له ووضع هوامشه وفهارسه : فواز الشعار بإشراف اميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٩ ه-١٩٩٨ م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي (ت ٣٩٥ه)، تح: د. عمر فاروق الطبّاع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الصحاح في اللغة، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تح: أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط٤، ١٩٨٧م.
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحـ: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت ،عام النشر: ١٤١٩ هـ .
- الضمائر في اللغة العربية : محمد عبد الله جبر ، دار المعارف ، ط ١،١٩٨٣م.
- ضمير الشأن في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية ، عمار نعمة الزياديّ ، مجلة جامعة كربلاء العلمية ، مج ٤ ، ع ٣ ، أيلول ، ٢٠٠٦م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، (د. ط.)، مطبعة المقتطف، ١٣٣٢ه/ ١٩١٤م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، د.ط.، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- العربية وعلم اللغة البنيوي ، د. حلمي خليل ، دار نوبار للطباعة، شركة ابو الهول للنشر، القاهرة .
- العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، محمود توفيق محمد سعد ،ط١، مصر: ١٤٢٤هـ
- العلاقات الملفوظة والعلاقات الملحوظة في النص القرآني : د. تمام حسان ، مجلة الدراسات القرآنية ، المجلد الثالث ن العدد الثاني ، كلية الدراسات الشرقية والأفريقية ، جامعة لندن ٢٠٠١م.
- العلاقات النصية في القرآن الكريم – دراسة نحوية لجهود المفسرين د. مصطفى احمد عبدالعليم – ط٢-٢٠٠٦م .
- العلاقات النصية في لغة القران الكريم : د. احمد عزت يونس ، دار الافاق العربية ،ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٤م.

- العلاماتيّة وعلم النص (نصوص مترجمة)، اعداد وترجمة: د. منذر عيّاشي، ط١، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.
- علم الدلالة – اف – ار – بالمر – ترجمة مجيد الماشطة – الجامعة المستنصرية – مطبعة العمال المركزية – بغداد ١٩٨٥ .
- علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق (دراسة تاريخية تأصيلية نقدية)، د. فايز الداية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٥، مكتبة دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- علم اللغة العام، فرديناند دي سوسور، تر: د. يؤئيل يوسف عزيز، (د. ط.)، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، يحيى عبابنة وآمنة الزعبي، د.ط.، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- علم اللغة النصيّ (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- علم اللغة النصيّ بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجاً)، نادية رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج ٩، ع ٢، ٢٠٠٦م.
- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، تر: سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.
- علم النص ونظرية الترجمة ، د. يوسف نور عوض ، مكة المكرمة ، دار الثقة للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤١٠هـ .
- علم النص، جوليا كريستيفيا، تر: فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.
- علم لغة النّص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر الجديدة، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٤م.
- علم لغة النّص بين النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، سوريا، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- العمل الأدبي من المعنى إلى الشكل ، عباس أمير ن دار الفكر ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيديّ ، تحـ : مهدي المخزوميّ ، إبراهيم السامرّائيّ ، (د . ط) ، دار الرشيد للنشر – بغداد – ١٩٨٢ م .
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمّد بن حسين القمي النّيسابوري(ت٨٥٠ه)، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه: الشّيخ زكريا عميرات، النّاشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٦ه-١٩٩٦م .
- الفصل والوصل في القران الكريم : د. شكر محمود عبد الله ، ط ٢ – منشأة المعارف – الأسكندريّة – ١٩٩٧

- فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عن محيي الدين بن العربي، نصر حامد ابو زيد، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- فن القول ، أمين الخولي ،القاهرة ، ١٩٤٧م.
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانيّة، آفاق جديدة، د. سعد عبد العزيز مصلوح، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.
- في اللسانيات العربية المعاصرة (دراسات و مثاقفات): سعد عبد العزيز مصلوح ط١، عالم الكتب ، القاهرة ، ٢٠٠٤م .
- في اللسانيات ونحو النص :إبراهيم خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة – عمان – الأردن ، ط ١ ،١٤٢٧ ه-٢٠٠٧ م.
- في أنواع السياق : نحو علم للترجمة : نيدا ، ترجمة: ماجد النجار، مطبوعات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٧٦م.
- في ظلال القرآن – سيّد قطب – ط ٣٤ – دار الشروق – القاهرة – ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، د. بشرى حمدي البستاني، د. وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، م ١١، ع ١، ٢٠١١م.
- في نظرية الادب وعلم النص ، ابراهيم خليل ، منشورات الاختلاف ،ط ١ ، ٢٠١٠م.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى(المتوفى:٨١٧هـ) تحـ: مكتب تحـ التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار ضياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. علي دحروج، نقل النّص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناتي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت ،ط: ٣، - ١٤٠٧ هـ .
- الكلمة دراسة لغويّة معجميّة، د. حلمي خليل، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.
- الكليّات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغويّة – أبو البقاء الكفويّ – تحـ : عدنان درويش ، ومحمد المصريّ – ط ١ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٤٣٣ هـ .
- لباب النقول في أسباب النزول – جلال الدين السيوطيّ – خرّج أحاديثه وعلّق عليه : عبد الرزاق المهديّ – (د . ط) – دار الكتاب العربيّ – بيروت – ٢٠١٢ م .
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي أبو حفص، تحـ: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ،ط: ٣، - ١٤١٤ هـ .
- لسانيّات النصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١م.
- لسانيّات النصّ النظريةّ والتطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجاً، ليندة قيّاس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة : خالد حميد صبري ، منشورات الاختلاف ،ط١، ٢٠١٥م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، د.ط.، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٧م.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، د. فاضل صالح السامرائي،د:ط ، د:ت .
- مباحث في التفسير الموضوعي : د. مصطفى مسلم ، منشورات الضفاف ، ط١ .
- مباحث في علوم القرآن – صبحي الصالح – ط ٥ – دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٦٨ م .
- مبادئ اللسانيات العامة – أندريه مارتينه – ترجمه د. أحمد الجمو – دمشق ١٩٨٤ م – ١٩٨٥ م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن والفرقان – الفضل بن الحسن الطبرسيّ – ط ١ – دار الأسوة – طهران – ١٤٢٦ هـ .
- مجمل اللغة.. ابن فارس – (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ت ٣٩٥هـ). دراسة وتح الرسالة، عبد المحسن السلطان، بيروت (د.ط) مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٩٨٦.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحـ: علي النجدي ناصف ود. عبد الحليم النجار ود. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٤م.
- المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحـ: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- المحيط في اللغة ، الصاحب إسماعيل بن عباد (توفي ٣٨٥ هـ)، تحـ : الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب .
- مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحـ: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- مختصر المعاني ، سعد الدين التفتازاني ، ت ٧٩٣هـ ، ط١ (دار الفكر : قم ، ١٤١١هـ) .
- مدخل إلى البلاغة العربية ، يوسف أبو العدوس ،ط٢، ٢٠١٠م، عمان ،دار المسيرة .
- مدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ،عبد الجواد خلف محمد عبد الجواد، دار البيان العربى – القاهرة.
- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانجهاينه مان وديترفيهفجر، تر: فالح بن شبيب العجمي،

(د. ط.)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩ه.
- مدخل إلى علم النّص (مشكلات بناء النص)، زتسيسلاف واورزنياك، تر: د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، تر: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد، د.ط.، مكتبة التربية، نابلس، مطبعة دار الكاتب- سمير أميس، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانجهاينه مان وديترفيهفجر، تر: سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو واللغة، د. مهدي المخزومي، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، ت ٧٧٠هـ ، د.ط (المكتبة العلمية : بيروت ، د.ت) .
- المصباح في المعاني والبيان والبديع ، بدر الدين بن مالك ، تحـ : د. حسني عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ، د:ط .
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان بوقرة، ط١، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٩م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغنو، تر: محمد يحياتن، ط١، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٨م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أَبُو مُحَمَّدٍ الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)،تحـ: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت،ط١، ١٤٢٠ هـ
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٨م.
- المعايير النصية في السور القرآنية : د. يسري نوفل ، دار النابغة للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠١٤م.
- المعايير النصيّة في القرآن الكريم – أحمد محمد عبد الراضي – ط ١ – مكتبة الثقافة الدينيّة – القاهرة – ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن – جلال الدين السيوطيّ – تحـ : أحمد شمس الدين – ط ١ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- معجم البلاغة العربية ،د. بدوي طبانة ، دار ابن حزم بيروت، ط :٤، ، ١٩٩٧م .
- معجم السرديات ، محمد القاضي و آخرون، ط١، ٢٠١٠م، مؤسسة الانتشار العربي – لبنان .
- المعجم العربي الأساسي ، تأليف وإعداد : جماعة من كبار اللغويين العرب ، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، ١٩٩٩ .

- المعجم الفلسفيّ – جميل صليبا – ط ١ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٣٨٧ هـ .
- معجم المصطلحات الأدبية ، إبراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، دار محمد علي الحامي ، تونس ، د . ت .
- معجم المصطلحات البلاغية ، د. احمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ،مجدي وهبة وكامل المهندس ، ط ٢، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو– دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمّادي صمّود،
(د. ط.)، مطبعة المغرب للنشر، منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.
- معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية ، د. محمد ابراهيم عبادة ، الناشر للمعرفة ، الاسكندرية ، د ط ، ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط.، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المعنى النحوي في ضوء التراث وعلم اللغة والحديث : د . مصطفى النحاس ، منشورات الاختلاف ، ط٢ .
- المعنى وظلال المعنى ،محمد محمد يونس علي ،دار المدار الاسلامي ، ط : ٢ ، ٢٠٠٧م .
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، (د.ط.)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- المفارقة الروائيّة: الرواية العراقيّة نموذجاً، صالح محمد عبد الله: أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد ، كلية التربية ابن الرشد.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- مفردات ألفاظ القرآن ، العلامة الراغب الأصفهاني ،تح: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ،دمشق ، ط ٣،، ١٩٨٣م .
- مفهوم الاتساق (مايكل هاليداي ورقية حسن)، أ. بلحوت شريفة ، جامعة تيزي وزو، مجلة الخطاب ، العدد: ٩ ، جوان ٢٠١١م.
- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، د.نصر حامد أبو زيد ، ط ٤، ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٨ .
- مقالات في اللغة والأدب، د. تمّام حسّان، ط١، عام الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط٧ ، ١٩٨٥م .
- من الجملة إلى الخطاب ، قراءة في علم المناسبة ، محمد عبد الباسط عيد، مجلة جذور، جزء ٣١، مجلد١٢، جمادى ١ ١٤٣٢ه،أبريل ٢٠١١م.
- من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، بول ريكور، تر: محمد برادة، حسان بورقيه، ط١، دار روتابرينت للطباعة، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م.

- من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مراد حميد عبد الله، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، مج٥، حزيران/ ٢٠١٠م.
- من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل وعلم المعاني)، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي، ع١-٤، الجزائر، أيلول/ ٢٠٠٤م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمّام حسّان، د. ط.، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي د.ط.، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين ، د. أحمد نصيف الجنابي، المعجمية العربية ، أبحاث الندوة التي عقدها المجمع العلمي العراقي ١٩٩٢م .
- منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مجلة فصول، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ، ١٩٩٦م.
- الموافقات في أصول الشريعة – الشاطبي : أبو أسحاق أبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠ هـ) تحـ الشيخ عبد الله دراز ، المكتبة التجاريه – القاهرة.
- الموجز في قواعد اللغة العربية : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (المتوفى : ١٤١٧هـ)، دار الفكر - بيروت – لبنان ، طبعة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب(شرح الاعراب عن قواعد الاعراب)، خالد بن عبد الله الأزهري، تحـ : عبد الكريم مجاهد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م.
- الميزان في تفسير القرآن – العلامة السيد محمد حسين الطباطبائيّ – ط ١ – منشورات ذوي القربى – قم – ١٤٣٠ م .
- نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، فصول مجلة النقد الأدبي، مج١٠، ع (١، ٢)، ١٩٩١م.
- نحو القرآن ، د. أحمد عبد الستار الجواري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤م.
- نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحويّ)، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- نحو النص (نقد النظرية... وبناء أخرى)، د. عمر محمد أبو خرمة، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٢٥م/ ٢٠٠٤م.
- نحو النص بين الأصالة والحداثة – أحمد محمد عبد الراضي – ط ١ – مكتبة الثقافة الدينيّة – القاهرة – ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

- النحو بين عبد القاهر وجومسكي : محمد عبد المطلب ، مجلة فصول ، مج ٥، ع١، ١٩٨٤م .
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي، القاهرة – مصر ، دار الشروق ، ط٥ ، ٢٠٠٢م .
- نحو نظرية أسلوبية لسانية : فيلي ساندريس ، ترجمة : د. خالد محمد جمعة ، ط١، دار الفكر بدمشق، ٢٠٠٣م.
- نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م.
- النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، محمد عزام، د.ط.، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير،المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة ، ط : ١ ، ١٩٩٧م .
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمّام حسّان، ط١، الناشر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- النص والسياق ، استقصاء البحث في الخطاب الدلاليّ والتداوليّ – فان دايك – ترجمة : عبد القادر قنينيّ – (د . ط) – دار أفريقيا الشرق – المغرب ، بيروت – ٢٠٠٠ م .
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، ط١، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
- نظرية السياق القرآني ، دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، د. مثنى عبد الفتاح محمود ، دار وائل ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٨م.
- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين ، عبد النعيم خليل ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .
- نظرية النَّص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، د. حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٠م.
- نظرية النقد الأدبي الحديث : يوسف نور عوض ،ط١، دار الأمين ، ١٩٩٤م.
- نظرية جون سيرل في القصديّة: دراسة في فلسفة العقل : د. صلاح إسماعيل،
- نظرية علم النصّ (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د. حسام أحمد فرج، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .
- النيوكوزن موطن الخيول (دراسة في قصيدة النثر العربية) : خالد سليمان ، مجلة الأديب العاصر ، ع٤١ ، ١٩٩٠م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع – جلال الدين السيوطيّ – تحـ : أحمد شمس الدين – ط ٢ – دار الكتب العلميّة – بيروت – ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- الوحدة البنائية للقرآن المجيد، طه جابر العلواني ، سلسلة دراسات قرآنية ، (٣) ، ط١، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

Abstract

This thesis presents the concepts of this field of linguistic studies , which is the appendix concept , which is the notification appendix that makes it composited solid statement for the text which replace one by one to be unified statement , that's means complete the meaning and logic for the appendix words . which approaches the meaning of the text and the appendix , and between the meaning of the two concepts also between the concept of the text and the role standards its compound and its means within the text , this research seeks to show the phenomena of the text contains of Koran text and its suitability with the texts and parts , at the appendix statement of Koran through its harmony elements and its buildings intended and media (grammar and dictionary etc.) this process will be done within the text of Koran and its importance of contains which related to inimitability of Koran . in this respect the appendix elements and contains are very focuses effects professionally on the previous elements .